

هادي العلوي

فصول عن المرأة



دار النور الأدبي

فصول عن المرأة

هادي العلوي

فصول عن المرأة

المرأة في الجاهلية

المرأة في الإسلام

المرأة في الصين

قاموس المرأة - مستل من
مخطوطات المعجم العربي المعاصر

دار الكُنُوز الأدبيّة

هادي العلوي
فصول عن المرأة
الطبعة الاولى ١٩٩٦
جميع الحقوق محفوظة
دار الكنوز الادبية
ص .ب. / ٧٢٢٦ - ١١ بيروت / لبنان

الإهداء

إلى هُذْية بنت الحاج عباس البغدادية

في كل حركة انتصار للفقيرات يكون صوتك هو الأصل
فمنك عرفت كيف تواجه المرأة الجوع بالكرامة
وكيف يزيدها الفقر قوة على الحياة
إليك يأم الرزايا

أهدي هذا الحديث المنتصر للمرأة أمّاً واختاً وزوجة وسيدة في مجتمع حر
متساوي خارج عبودية القانون وظلم الاقتصاد وانحلال الغرب.

هادي

مفتح

تتناول هذه الفصول وضع المرأة في الجاهلية والإسلام من خلال موضوعتي الحريات والحقوق وتفاوتها ما بين العصرين ومقدار ما حصلت عليه النساء من مكاسب وما فقدته من حريات في الإسلام بالنسبة إلى الجاهلية. ويستعرض الكتاب مواقف الفقهاء والمفكرين من قضايا المرأة وتطور الأحكام المتعلقة بها في الشرع ما بين صدر الإسلام المحكوم بالتأثير الجاهلي المباشر والعصر العباسي حيث اكتمل المجتمع الإسلامي في نظامه الأبوي الذكوري المعقد. واتجه الكتاب إلى الدراسة المقارنة في بعض مفاصله لكي يُظهر المسرى الطبيعي والمتورخ لقوانين المرأة في الإسلام والأفكار المتعلقة بها. وتنتهي فصول الكتاب من ثم إلى المشروع الناجز لتحرير المرأة في الصين الشيوعية كمحطة بارزة في تاريخ النضال النسوي تقف خارج الذكورية الحاكمة في الحضارات القديمة والإباحية الجنسانية لحضارة الغربيين الحديثة.

الحق بالفصول قاموس للمرأة والعائلة وما يتعلق بهما مستل من مخطوطات "المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

وليس لهذا الكتاب علاقة بالمؤتمر الأمريكي للمرأة المنعقد في بيجينغ مع تحرير هذه الفصول، وإنما جاء التوقيت على جهة الصدفة

هادي العلوي

دمشق / أوائل تشرين الأول ١٩٩٥م

أوائل جمادى الأولى ١٤١٦هـ

فواتح لفوية:

مرأة مؤنث مرء. ومرء في السامية القديمة: مرا ومؤنثه مراة ويعني السيد المولى. وورد في نص آرامي: "مراي ملك آشور" أي مولاي ملك آشور. وهو في السريانية مار ويلقب به شيوخ الدين: مار فلان بن فلان... وتطور معناه ولفظه في العربية إلى مرء ومرأة ويعني الرجل وأثناه. وليس له جمع من جنسه. ومرأة لها عدة صيغ فالى جانب مرأة نقرأ إمراة ومرة ومراة، والأخيرة على اللفظ السامي القديم. والمرء والمرأة هما الدارجان في لغة الكلام المعاصرة والأولى أشيع وتستعمل الثانية في النسبة غالباً. يقول المصريون مراتي وكذا يقولها عرب بخارى المعاصرون. ويقول غيرهم مَزْتِي. والمرء وردت في الشعر كقول أبو طاهر القرمطي يسخر بالعباسيين:

يابني العباس من ينصركم أصبئي أم خصي أم مَرّة؟
يشير إلى تحكم نساء البلاط والخصيان بالخليفة.

وتدخل ال التعريف على المرأة والمرء ولا تدخل على إمراة إلا في الشواذ. وجمع المرأة نساء ونسوة ونسوان. والنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني. والنسوان هي الدارجة في لغة الكلام المعاصرة. وينسب إليها بعض المفردات فيقول العراقيون: نُسَيْنَاوي لمن يتدخل في أمور النساء ويقول أهل الشام نسونجي لوزير النساء.

اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزاً بين المؤنث والمذكر ويتقاسم التأنيث والتذكير مفرداتها وأدواتها بالمناصفة. وليس ذلك بسبب الحاجز الاجتماعي بين الجنسين كما يزعم الأكاديميون الغربيون الذين يبحثون في أمور الشرق بأسلوب الصحف الشعبية في بريطانيا، إنما يرجع إلى المكانة التي تمتعت بها المرأة في

الحضارات السامية. وقد انبثقت هذه الحضارات من مجتمعات الهلال الخصيب والعربيا المشاعية فحملت من منظومات المرحلة السابقة الشيء الكثير فيما يخص الاقتصاد والمجتمع ومنها احتفاظ المرأة بمكانة انعكست في التشريع كما انعكست قبل ذلك في بروز التأنيث في لغاتها. ولا تعكس اللغات السامية ماتعكسه اللغات الأوروبية من ذكورية طاغية لظهور الأخيرة في مجتمعات أبوية مكتملة. فالرجل في اللغات الأوروبية هو الإنسان والإنسان هو الرجل والمرأة مشتقة من الرجل man-wo وإذا أريد في الإنجليزية مثلاً أن يشار إلى كاتبة قالوا: woman writer لأن الأصل فيها هو المذكر "كاتب" ولإجراء التأنيث يجب إلحاق اسم المرأة: "كاتب امرأة". وهكذا : عالم امرأة، وفنان امرأة ، وعامل امرأة... الخ وبسبب توحيد الإنسان في الرجل عند الأوروبيين يقع مترجمونا في التباسات كثيرة عند النقل من إحدى اللغات الأوروبية فيشتون كلمة رجل في مصطلح قد يكون مشترك بين الجنسين والمقصود به الإنسان لا الرجل. وتطغى الذكورية على الترجمات فيقولون: رجال العلم ورجال الأعمال ورجال الدولة نقلاً حرفياً عن اللغات الأوروبية. والإنسان في العربية من "المستوي" حسب اصطلاح اللغويين إي الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: هو إنسان وهي إنسان، هذا إنسان وهذه إنسان. ولا يجوز تأنيثه إلى إنسانة. ووردت في الشعر لكن الشعراء ليسوا حكام جيدين على اللغة لأنهم يخضعون لدواعي الوزن والقافية. وقد عالجت هذه المشكلات في مقدمات "المعجم العربي المعاصر". ولا تزال الذكورية تفرض بعض تأثيراتها على الغربيين رغم امتلاك المرأة كامل حريتها وكامل حقوقها في الغرب بعد الثورة الرأسمالية. ومن مظاهرها تلقيب الزوجة بلقب الزوج وفيه إقرار رسمي بتبعية المرأة للرجل. وأخذت به عندنا فئات المثقفين والساسة وهم في جملتهم متأهلين في الثقافة الغربية، وتقبلته نساؤهم ولم ينتبه إلى دلالاته السلبية غير نوال السعداوي التي استنكرته في كتاباتها النسوية وشتت على من تقبل به من نساءنا. ونأمل الإقلاع عن هذه العادة السيئة وأن تتولى النساء بأنفسهن إبطالها ورفضها. كانت بعض النساء في مصر قد تضايقن من نون النسوة ودعن إلى إخراجها من اللغة فكتب أحدهم قصيدة يذكر فيها هذا المطلب قال فيها:

هلا اتاك حديثهنّ النون ليست نونهنّ
النون تخدش سمعهنّ ومارق شعورهنّ

وهذا من التخليط في المطالب ذلك أن حذف نون النسوة يعني تذكير النساء وإلحاقهن بالرجال فقد وقع فيما هربن منه. ورغم أنني أرى أن نون النسوة يجب أن تعالج في لغة الكتابة كما عولجت في لغة الكلام لتخفيف نطقها فإن حذفها تماماً سيكون لصالح الرجال وحدهم^(٥).

قلنا أن التأنيث والتذكير متعادلان في اللغات السامية. ونجد العربية، وهي أكمل اللغات السامية وأحدثها، تؤنث الكثير من مظاهر الطبيعة والمجتمع الكبرى كالشمس والسماء والأرض والحرب والسلام والقبيلة والدولة والحكومة والسوق.. وتؤنث جموع التكسير كلها وإليه يشير القول المشهور لأحد النحاة:

لأبالي بجمعكم كل جمع مؤنث.
وتتناصف أعضاء الجسم تذكيراً وتأنثاً. وهكذا جملة القاموس العربي. ويستعمل لتمييز المؤنث نفس العلامة السامية وهي الهاء والتاء المربوطة ويزاد عليها الألف المقصورة والألف المدودة ويسمى هذا مؤنث لفظي. وهناك مؤنث بلا علامة. وهذا النمط يجوز تذكيره وتأنثه إلا في المشهورات كالشمس والأرض.



* ندرج هذا المطلب في باب الالتحاق بالقوى أو المتفوق لنشذان التحرر أو التقدم. إن المطالبة بحذف نون النسوة تقوم على افتراض المطابقة بين الذكورة والتحرر فلكي تتحرر المرأة يجب أن تلتحق بالرجل بوصفه مصدر القوة والحرية. وهذا كالمطالب التي يطرحها مثقفو الحداثة بالاندماج في الغرب حتى يتخلص العرب والشرقيون من أنوثتهم الحالية فيصبحوا أحرار.

في الجاهلية

المجتمع الجاهلي في الأصل هو مجتمع البداوة المحكوم بالنظام القبلي. وحياته الاقتصادية منظمة بأصول المشاعية الآسيوية ويتداخل فيه دور الفرد ودور الجماعة فتظهر فردية الجاهلي في حريته القائمة على انعدام الدولة أي انعدام مؤسسة قمعية تتحكم في سلوكه وخياراته، وتظهر في نفس الآن جماعيته المقننة بالنظام القبلي؛ فهو عضو في القبيلة وخاضع في فرديته لأصول الحياة الجماعية المتمثلة في التملك المشاعي وللأساس الجماعي الذي تتحرك عليه القبيلة في مجمل حياتها الداخلية كما في علاقتها مع القبائل الأخرى. ومن مظاهر هذا التداخل بين الفردي والجماعي الفخر المزدوج للشعراء بأنفسهم وبقبائلهم فالشاعر الجاهلي الذي قصيدة الفخر عمدة عمله الشعري يعدد مآثره الشخصية ومآثر قبيلته على السواء فهو ابن القبيلة لكنه أيضاً ابنها الحر، وهو جزء في جماعة لكنه فرد، كائن جزئي، أيضاً.. ويتحرك الفرد الجاهلي من وراء منظومة القيم الجاهلية في عمومها ويحرص على التكامل معها ولكن ضمن فرديته نفسها. وفي هذه الحدود الحرجة تتفاوت الاستجابة للمتعارضات وتندرج الشخصية في اكتمالها تبعاً لوضع الفرد، الفرد كذات، أي كتكوين نفس جسدي يرجع إليه أصلاً محكم التكامل بين الفردي والجماعي في أفراد واختلاله في أفراد يفتقرون إلى المقومات النفسجسمية التي تساعدهم على استحضار استجابات قوية للمحيط*. ويمكننا من قراءة نصوص الجاهلية وأخبارها أن نقف على خليط من القرارات البشرية يتحدد تفاوتها في تفاوت استجابتها لمنظومات القيم ودرجة

* من هنا تكون التوعية التي تأخذ شكل الحكمة والمثل والنصيحة والموعظة لما يراد به بناء الشخصية وفق منظومة القيم الحاكمة في المجتمع. وكان لها حيز واسع في الثقافة الجاهلية.

استيعائها لظروف حياتها الاجتماعية بتعارضاتها المتعددة. والثابت الأكبر في هذا الموروث الواسع هو القيم التي يرى الفرد الجاهلي نفسه ويراها الآخرون من خلالها. ويستند الهجاء الجاهلي كما المدح والفخر بل الغزل إلى حد كبير، إلى المنظومة نفسها ويكون المدح والهجاء بقدر القرب أو البعد عنها. ولننظر في هذه الشتيمة المنشورة لأحدهم:

إنكم لتعصرون العطاء

وتعيرون النساء

وتببيعون الماء

البخل (شدة الحرص على المال الشخصي) ضعف الغيرة (عدم الحرص) على المرأة، ثم بيع الماء: الخرق الأكبر للأصول المشاعية الحاكمة. والجاهلية تقوم في أصلها على شيوعية المال دون شيوعية النساء: ومن هنا يأتي ذمه لهن بإعارة المرأة وصيانة المال. وهذه مرحلة متقدمة في استيعاء الشيوعية والوصول إلى نصابها الأم. لأن المرحلة المبكرة من المشاعية تقتزن بشيوعية النساء أيضاً. وقد وُجدت بعض مظاهرها في أشكال الزيجات الجاهلية كما سنشرحها، واستمرت إلى نهاية العصر الجاهلي لكنها لم تكن نظام شامل للعائلة الجاهلية وإنما كانت بقايا شيوعية نساء قديمة تفرقت في بطون وأفخاذ وعشائر وغالباً على شكل ممارسات فردية. وفي مجرى تطور غير مقنن فإن بقايا طور سابق تثبت عادة بالبقاء عن طريق هكذا بقايا وممارسات. وفي الطور اللاحق، نهايات العصر الجاهلي، كانت المرأة قد تخصصت وانفصلت عن شيوعية النساء، واستقر نظام العائلة الأبوية كمنحى غالب في المجتمع الجاهلي. ولم يصلنا عن هذا الطور من شخصياته الأدبية والاجتماعية من يرجع نسبه القريب إلى زيجة ذات أصل مشاعي سوى زياد بن أبيه المفترض أنه ولد لمومس وإن كان الظن قد ينصرف إلى أن سمية لم تكن مومس بل مراھطة.

وضع المرأة الجاهلية يتعين ضمن الوقائع التالية:

١ - حريتها كفرد غير محكوم بدولة. وكانت سافرة مع غطاء الشعر التقليدي الذي يستعمله الرجال أيضاً، إنما محتشمة على النهج السائد في حضارات الشرق، وتختلط بالرجال وتسافر وحدها ولا يمتنعها من ذلك سوى شرط الأمان في الطريق. وكانت تركب الخيل ولو أن الفارسات قلة بحكم الفارق البيولوجي مع الرجل. ولم

تخضع في تحركها لشرط المحرم وكان لها أن تسائر الرجل الغريب أو تستقبله في منزلها مع غياب أهلها وهي ملزمة بأداء حقوق الضيافة لمن ينزل عليها من الرجال إن كانت وحدها، وتعفى منه إذا وجد الرجل من أهلها في المنزل.

٢ - وكان لها موقع في الحياة الثقافية. وقد ظهر من الجاهليات شواعر كبيرات وحكيما وكاهنات. ومن طرائف الصاحب بن عباد أن أبو بكر الخوارزمي وفد عليه فاستأذن عليه من حاجبه وكان الصاحب يعرف بوصوله فأراد مناكدته فقال للحاجب قل له أن مجلسي لا يدخله إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فقال الخوارزمي للحاجب: قل له هذا من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فقال الصاحب: ينبغي أن يكون أبا بكر الخوارزمي قل له فليدخل! وكانت الخنساء خاتمة شواعر الجاهلية العظام. وفي خبر عن بشار بن برد أنه قال مرة: مامن شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف. فاعترضه أحد جلسائه: والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصى! ومن بين الشعر الكثير في السيرة، وهو امتداد للشعر الجاهلي، نقف على قصيدتين هما في الذروة منه: قصيدة عبد الله بن الزبيري في التشفّي بقتلى أحد من المسلمين، وقصيدة لامرأة من قريش يوم فتح مكة تناشد النبي محمد أن يحمي قريش من سعد بن عباد. وتكشف القصيدة أن مكة لم يكن فيها في تلك اللحظة شاعر بقوة هذه المرأة ولا عبد الله بن الزبيري الذي خاطب النبي معرباً عن توبته وندمه بأبيات باردة ركيكة...

٣ - وكانت تملك حق الطلاق كما يملكه الرجل.

٤ - وكان لها الحق في إقامة علاقة حب مع رجل تختاره وتخلو به بشرط عدم المساس بجسدها. والحب الجاهلي يتحدد بقاء منفرد للحديث والغزل وأقصى مايسمح به التقبيل كما تقول امرأة سئلت عن الحب ماهو؟ فأجابت: "مص الرقيقة ولثم العشيقة والكف عما دون ذلك". وكانوا يقولون أن للصديق مافوق السرة وللزوج ماتحتها. ولا يفهم من هذا اجتماع الزوج والصديق، فالصداقة حق مخصوص للأيم (التي لزوج لها) ولايجوز لها اتخاذ أكثر من صديق في وقت واحد والتي تخالف هذا الشرط تسمى الصنوط وهي التي يكون لها صديقان أو أكثر. ويُسمى فعلها صنطد. وعليه قول أحدهم يخاطب صديقه وقد جمعته مع آخر:

تريدين كيما تضمدينني وخالداً وهل يُجمع السيفان ويحك في غمد؟

وأخطأ الشيخ الجليل عبد الله العلايلي في وضع ضَمد مقابل تعدد الأزواج في معجمه "المرجع" فالضمد لتعدد الأصدقاء أما تعدد الأزواج فله اصطلاح آخر سنأتي عليه بعد قليل.

وقد استمرت المرأة العربية تمارس هذا الحق إلى وقت متقدم من الأوان الأموي.

٥ . لكن المرأة الجاهلية كانت محرومة من نصيبها في الإرث، الذي يوزع حسب مشيئة الأب على الأبناء ومن غير حصص مقننة للأبناء أنفسهم. وإذا مات الأب عن بنات ولم يكن له وريث من الذكور ذهب ميراثه إلى من يادر للاستيلاء عليه من الإخوة والأعمام وأبناء العم.

٦ . وكان الزواج الضرائري عادي وغير خاضع لحد أعلى من الزوجات. لكن النساء من فئات معينة تقع ضمن قبيلة أو عشيرة أو بطن أو فخذ كن يتزوجن أكثر من رجل واحد. وهذا الزواج يسميه الجاهليون "نكاح الرهط" والرهط من الرجال مابين ثلاثة إلى تسعة. وقد وردت أخبار عن نساء كان لهن تسع أزواج في وقت واحد.. ومر بنا في السطور السابقة احتمال أن تكون سمية أم زياد مراهطة لامومس. على أنه كان من النوادر ويقتصر على أوساط معزولة فهو من بقايا شيوعية النساء التي ترجع إلى طور مبكر من الجاهلية. والمراهطة قديمة وهي من لوازم المشاعية الصرفة المتصلة بيواكبر المجتمع البدائي ويؤخذ من المدونات الرافدانية الغابرة أنها منعت بقرار من الملك السومري اوركا جينا المتوفى عام ٢٣٧١ ق.م. ومنعها في ذلك الزمن البعيد لا يعني أنها انتهت فالأمر يتعلق بتطور مجتمع معين من حالته البدائية إلى النظام الأبوي بينما تكون مجتمعات أخرى معاصرة أو لاحقة في حالة بدائية خالصة. ووجود بقايا المراهطة في الجاهلية دليل على ذلك. وقد اختفت نهائياً مع انتشار الإسلام في العربية.

٧ . ومن الزيجات السفاحية عند الجاهليين نكاح المقت وهو استيلاء الابن على زوجة أبيه بعد موت الأب. وكان شائعاً. واستيلاؤه عليها يعني وضعها تحت وصايته يتزوجها إن شاء أو يزوجه لآخر ويستولي على مهرها.

وبإجمال، كانت المرأة الجاهلية تتمتع بالحرية التي يتمتع بها الرجل في مجتمع بلا دولة ولا شريعة. لكن حقوقها كانت قليلة. وكانت الجنسية تحكم علاقة الجنسين: التحيز ضد الأنثى، العاجزة عن فرض المساواة مع نحو النظام الأبوي

وتراجع سلطتها. وقد تعقدت كراهية الأنثى بتأثير حالة الغزو السائدة في المجتمع الجاهلي مما يعكسه القرآن بهذه الآيات: "وإذا بشر أحدهم بالإنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به: أيمسكه على هون أم يدسه في التراب؟" وظهرت بنتيجته عادة الوأد أي دفن المولودات عند ولادتهن. وسبب الوأد الهروب من عار السبي إذ كان من المعتاد أن تؤسر المرأة صغيرة أم كبيرة وتصبح في حكم الجارية لأسرها. ورغم أن المرأة في الريف والبادي العربية هي أكثر حرية من زميلتها في المدينة فإن الشعور بالعار مما يجري عليها من الرجال يكون عند البدو والفلاحين أشد منه عند أبناء المدن. ولا تزال عادة "غسل العار" سائدة عندهم حيث يقدم ولي المرأة من أب أو أخ على قتلها إذا اتهمت بعلاقة غير شرعية. والجاهلي يتحسس لهوان المرأة في علاقتها مع الجنس الآخر وهو يرفض حتى الزواج الشرعي لابنته أو أخته من رجل غير عربي. وقد رد النعمان بن المنذر طلب كسرى برويز أن يزوجه من إحدى بناته مع أنه كان ملكاً صغيراً يدير مملكة تابعة لكسرى. وذكر أبو الفرج في إغانيه أن هذا الرد من النعمان كان سبب تنكيل كسرى به وهو قد يكون سبب مباشر لسبب أكبر إذ كان كسرى يتخوف من طموح النعمان إلى إنشاء مملكة عربية مستقلة عن امبراطوريته. ويعبر عن هذا النزوع "زواج الأكفاء" وسيأتي الحديث عنه.

ومن مظاهر عقدة المرأة عند الجاهليين مسألة البكارة. وهي مشتركة مع كثير من مجتمعات آسيا. ومن المعتاد أن يطلق الرجل زوجته إذا لم يجدها عذراء إذ يفترض أنها كانت على علاقة غير شرعية مع رجل آخر. وفي دعائم الإسلام "للداعية الإسماعيلي النعمان بن حيتون أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب وقال له: إني تزوجت امرأة عذراء فوجدتها غير عذراء، فقال له علي: إن العذرة تذهب من الوثبة والقفزة والحيض والوضوء وطول التعنيس.. (٢٣١/٢). لكن تخريجات علي لم تحمل محمل الجدل حتى اليوم.

وكانت المرأة من أسباب الحرب باعتبار هذه العقدة. بينما كان وجود النساء مع المقاتلين ضروري لدعم المعنويات لأن الفرار في المعركة يكون عندئذ عار مزدوج: فرار من الحرب، وترك المرأة للعدو. وفي معركة فتح البصرة كان عدد العرب قليل بالقياس إلى الجيش الساساني فخرجت النساء تقودهن زوجة عتبة بن غزوان وهي ترتجز:

"إن يغلبوكم يولجوا فينا الغُلف"

فاستقتلوا حتى أزاحوا الجيش عن مواقعه واستكملوا فتح البصرة بأقل كلفة. وفي الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧ كانت قبيلة الدليم، موالية للإنجليز ثم انقلبت عليهم بسبب امرأة، فقد تحرش الجنرال البريطاني ليتشمان بكنته شيخهم ضاري المحمود فشكته إلى عمها فامتشق سيفه وخرج يبحث عن الجنرال. وكان يملك بندقية لكنه أثر استعمال السيف. ووجد الجنرال قد توجه إلى بغداد وهو في الفلوجة فلحقه إلى هناك ودخل عليه مكتبه فأهوى على رأسه بالسيف فقطعه بضربة واحدة. وجرت أحداث كبرى على إثر ذلك وخسر الإنجليز ولأه القبيلة التي لم تشارك أول الأمر في مقاومة الاحتلال لأنها من القبائل السنية. وكان فقهاء السنة قد تعاونوا أوتهاونوا مع الاحتلال فلم يصدروا الفتوى الشرعية لتحريك قبائلهم في هذا الاتجاه. وكانت القبائل العراقية في ذلك الوقت شديدة الارتباط بالمرجعية الدينية.

ولست هذه غيرة على المرأة كذات بل غيرة على الرجولة لأن الجنسية تحكم كما قلت علاقة الجنسين، والمساس بالمرأة يفسر على أنه تحدي لرجولة الرجل، وقد ساعد ذلك على وضع حدود فاصلة صلبة ما بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال في النظام القبلي منذ الجاهلية ضمن المعادلة التي تجمع صيانة المرأة إلى ابتذال المال. ونقف كثيراً على هكذا مركبات في الهجاء كقول دعبل الخزاعي يهجو شاعر آخر:

قل لابن خائنة البعول وابسن الجوادة والبخيل
يعني: ابتذال جسد المرأة وصيانة المال. كما يزعم الشاعر الذي يكرر بلغته الخاصة به تهمة "بيع الماء وإعارة النساء" وهذا بخلاف الوضع الطبيعي: ابتذال المال وصيانة الجسد.

وتبقى المرأة مع كون المعادلة واقعية ومأخوذة في منظومة القيم موضوع للفعل لا ذات فاعلة لأن الفعل هو للرجولة في جنسيتها التي تتعامل مع عنصر السلب الحاكم في المرأة. وكان هذا هو الوضع الغراري للمرأة الجاهلية: كائن يحرك ولا يتحرك. وتحريكه ليس بالإلهام الأثوي المشترك في علاقة الجنس الموجب بالجنس السالب عند عامة البشر إنما هو بالتعارض القائم ما بين شيوعية المال

وشيوعية النساء. والحروب الجاهلية تذكيتها المرأة بهذا السلب المحرك للموجب الرجولي متداخلاً في النادر مع/ أو منفصلاً في الغالب عن أنوثة هيلين الطروادية.. وكان التنافس على المرأة أقل إثارة للنزاع والقتال من عقدة العرس.

العائلة الجاهلية أبوية في العموم وتعيش الزوجة في بيت الزوج. ووجد مع ذلك نكاح العثرة وهو انتقال الزوج إلى بيت الزوجة، ويمكن اعتباره من بقايا الزواج الأمومي والعائلة الأمومية. ولا تزال تحدث حالات من هذا القبيل لكنها غير تابعة للتقاليد التي استقرت على أبويتها الصارمة منذ الإسلام إنما هي أمور خاصة وشخصية جداً ترجع إلى ظروف عائلية أو اقتصادية. ويسمى العراقيون الرجل الذي يعيش مع أهل زوجته فقعيداً على التصغير المشعر بعدم الاحترام. وفي حال استقلال الزوج عن أهله يعيش الزوجين في بيت مستقل وهذا حين يبلغ الابن مبلغ الرجال ويعتمد على نفسه في تدبير حياته. ويشار إلى ذلك بقولهم: "بنى بأهله أو بنى بها"، ويراد به حسب تفسير الأصمعي بناء بيت للزوجية وهذا هو البيت الشرعي في الفقه. وينشأ الأولاد مع أبويهم والمسؤولية عنهم مشتركة بينهما. والقيمومة للرجل وهو الذي يقرر مصير الأولاد ويتولي تزويجهم باختياره وتبعاً لحساباته الخاصة به. والزواج أباعدي وأقاربي ويسمى الأباعدي تفشلاً والأقاربي: إضواء ولا علاقة للتفشل بالفشل ولم أعثر له على أصل في العربية ولا في الساميات القرية. أما الإضواء فاختصوه بزواج الأقارب لأن النسل الناتج عنه يكون ضاوي أي ضعيف النمو. و"أضوى فلان" ولد له ولد ضاوي لزواجه من قرية. ومنه الحديث النبوي: "اغتربوا لاتضووا". ولاهتمام الجاهليين بسلامة النسل جنحوا إلى التفشل. وعانت المرأة بسبب ذلك من مشكلة الغربة فهي فضلاً عن نزوعها للأهل كثيراً ماتتعرض لسوء المعاملة لكونها غريبة عن أهل الزوج. وقد ضربوا المثل بمرأة الغريبة في الوضوح والصفاء، وفسروه بأن الغريبة تعني دائماً بشكلها وزينتها حتى تظهر لأهل الزوج بمظهر لائق وتتجنب العيوب والمذام ولذلك تختار أفضل المرايا(*).

*... كقول الشاعر يصف وجه حبيبته:

"ووجه كمرأة السغريية نسجج"

والوجه الأسجج الطويل في اعتدال واستواء.

ولم يعرف الجاهليون سفاح القربى فالزواج محرم بالقطع من الأخت والأم والبنات وكان مسموحاً به عند جيرانهم الفرس. ومارسوا نكاح المقت، وقد بيناه.

وعانت المرأة الجاهلية من "العُضْل" وهو المنع من الزواج من جانب الأب أو الأخ. وعرفت هذه العادة عند الفقهاء بالعُضْرَة وهي محرمة عندهم. إلا أنها لا تزال في البوادي والأرياف. ويسمونها العراقيون نهوة فَعْلَة من النهي وتسمى في بوادي الشام ونواحي الشمال الفراتية حيار (فعال من الحيرة) وتكون هذه من قريب المرأة إذا أرادها غريب فينهى عنها ليتزوجها هو وإذا رفضته تمنع من الزواج وهذا هو العضل أو العُضْرَة.

وتشددوا في "زواج الأكفاء" ويعني زواج العربية من العربي وعدم السماح بزواجها من أعجمي. ويشمل ما بين العرب زواجها من عشيرة أو قبيلة أدنى مكانة. وقد تمسك به الأمويين بعد الجاهليين فيما يخص العربية وسعوا لجعله حكماً شرعياً وقال به بعض الفقهاء الموالين لهم لكن المعارضة رفضته، وأبطله عمر بن عبد العزيز في خلافته. على أنه استمر عملياً حتى اليوم، (من النادر في هذا العصر أن تتزوج عربية من أجنبي ولا سيما أوروبي) وقد اتسع مداه بعد الإسلام فامتد إلى الزواج من رجل على غير دينها. وتمنع المسلمة العربية من الزواج من مسيحي عربي، وهو محرم شرعاً. كما تمنع المسيحية العربية من الزواج من مسلم عربي وتكون عقوبتها الطرد من الأسرة. في حين يسمح المسيحيون الغربيون بزواج بناتهم من عرب مسلمين أو مسيحيين، لأن الغربيين مع تعصبهم العنصري لا يدققون في أمور الزواج، وعنصريتهم تفعل في متون أوسع عالمية الأفق.

وزواج الصغيرة مألوف في الجاهلية ويسمى "الاهتجان" وهو الزواج قبل البلوغ بالنسبة للبنات و"الالتباء" بالنسبة للولد، والمقصود بالأخير تزويج الولد صغيراً بعد البلوغ، والغرض منه تكثير نسله. وزواج الصغيرة البالغة من المسن مألوف أيضاً

* يمارس زواج الأكفاء عند الغربيين على أساس طبقي إذ يمنع زواج المرأة من أسرة أرستقراطية من رجل عامي كما تمنع الأميرات من الزواج إلا بمن يجري في عروقه دم ملكي.

لكن السائد في الزيجات تقارب العمر.

والزواج الجاهلي مرتب، وأمر البنت بيد والدها فإن مات فبيد إخوانها أو أعمامها، ومنهم يخطبها الخاطب. ولم أقف على صيغة عقد زواج جاهلي إلا أنه يتضمن المهر وشروط من أحدهما أو كلاهما. ومن المعتاد أن تكون الخطيبة معروفة للخاطب وأنها يكون قد رآها وحادثها لأنها غير محجوبة ولا محجبة. والمهر في الغالب من الأنعام (الإبل خاصة) وقلما يستعمل النقد إلا في المدن التجارية مثل مكة. ومنه سمي المهر "سياق" أخذاً من قولهم ساق إليها مهرها أي ساق إليها الإبل التي اتفقوا على أن تكون مهرها. والكلمة لاتزال في اللهجات العراقية بلفظها الجاهلي، وتطلق على المهر عموماً وهو نقدي في الوقت الحاضر طبعاً. وكانوا يُعنون بالزفاف وتقام له حفلات غناء ورقص يقدم فيها الطعام والشراب. والوليمة أساسية في العرس الجاهلي. لكن العروس الجاهلية لاتبالغ في الزينة والملابس المزركشة. ومحاسن المرأة كما يكشف عنها الشعر الجاهلي هي جمالها الأصلي مع رائحتها الطيبة وكانت العناية بالتعطر أكثر من العناية بزركشة الملابس. ويختلف الجاهليون في ذلك عن الشعوب الزراعية التي تبالغ في التلوين والزينة. ومن ملاحظات ابن الراوندي عن ملابس أهل الجنة من السندس والاستبرق وأساور الفضة والذهب أنها تجعلهم يشبهون عروس الأكراد أو النبط. وابن الراوندي يصدر هنا رغم فارسيته عن ثقافة عربية تنفر من البهرجة.

لم يكن للمرأة الجاهلية دور مرموق الى جانب الرجل شأن المرأة في أي من الحضارات الغابرة. وقد تكون الكاهنات ابرزهن في هذا المضمار وهن نساء يملكن ثقافة سحرية وشخصية مؤثرة في العوام وكن يجمعن بين وظيفة القراف وتحلال المشاكل وتفاوت فعلهن ما بين الاصلاح والتخريب تبعاً للخصال الشخصية للكاهنة الفرد. وكان للنساء موقع في الطب وذكر مصادر السيرة الطبية من بني اسلم تدعى زُفيدة اتخذت لها خيمة في المسجد الأول لمداواة المسلمين وجرحاهم في حروب العهد النبوي. وكانت في نفس الوقت ترعى ذوي الحاجة من أهل يثرب أو الوافدين عليها. وفي خيمتها عولج سعد بن معاذ الذي اصيب بسهم قاتل في معركة الخندق. على أن الموقع الأرمق لهن كان في الشعر وقد برز الى جانب الحنساء شواعر مثل جليلة وخِرثم وكبشة وهي أخت عمرو بن معدي كرب وكانت ناقدة للشعر يحضر الشعراء اليها فيقرأون لها

قصائدهم لتقييمها.

وبالرجوع الى الأوان القبجاهلي نقرأ في المدونات الآشورية عن ملكات عربيات حكمن في انحاء من العربية منهن شمس وزبيبة. والمعلومات عنهن لا تتعدى ذكرهن في تلك المدونات. وينبغي التنبيه الى كلمة عرب في اللغات السامية فهي تختلط بمفهوم البادية والبدو وما تزال الكلمة تستعمل في لغة الكلام للأشارة الى أهل الريف. فالعامي من العراق يقول رحنا للعرب ويريد رحنا للريف، والواحد من أهل الريف عندهم هو العربي بضم العين وجمعه عُرَبان. وهذه الكلمة وردت في لغة العصر الاسلامي واستعملت لنفس المعنى. وهي ما كان يعنيه ابن خلدون في الفصل المعنون من المقدمة "في ان جيل العرب في الخلقة طبعي" فجعلهم جيلاً أي طوراً من أطوار المجتمع البشري. وهذا يعني أنه قصد بهم البدو أو الأعراب*. أما العرب كأمة فهم موجودون في جميع الأطوار وليسوا جيلاً واحداً.

ومن هنا لا يمكن اعتبار اهل الاوان القبجاهلي عرب بالمعنى الحاصر للامة التي تكونت وتبلورت في غضون العصر الجاهلي. ولم تكن لغة اولئك الشعوب الذين ذكرتهم المدونات الآشورية هي لغة الجاهليين وينبغي الشك في قراءة اسماء مثل شمس وزبيبة فهي قد تكون شمسو او شمشو وقد تكون زبيبة بالألف لا بالهاء أو زبيبو. وهذا ما تهدينا اليه النقوش الشمودية والصفوية ونقش التمارة الاحداث والأقرب الى الجاهلية وهي لا تنطق بعربية المعلقة وتختلط بالنبطية التي شكلت المرحلة الوسطى بين الآرامية وعربية الجاهليين.

يأخذنا ذلك الى قضية زنوبيا التي تسميها المصادر العربية الزباء، ويسميها بعضهم زينب ويسميها الرومان زنوبيا وهي تحريف لاسم زينب لكن زينب بلفظها الذي يجب أن يكون مختلف بعض الشيء عن لفظها الحالي ولعلها من صيغ اسمها الأصلي وهو الزنبي. والمؤرخون من العرب والرومان متفقون على انها عربية من جهة الأب. وادعت هي لها نسب يصل الى كليو بطرا المصرية. و"عروبها" تفهم على الشرط الذي بيناه. وزمنها يقع في العصر الجاهلي الأول - القرن الثالث الميلادي. حيث كانت اللغة العربية هي اللغة الموزعة على الشمودية

* العربة في العبرية هي الصحراء.

والصفوية ولغة الثمارة والمختلطة بالنبطية. اما تدمر فكان اهلها خليط من الآرامي والنبطي والعربي - العربي بشرطه الذي اوردناه، واسمها عندهم تدمور أو تدمورو. وعند الجاهلين تدمر. ونورد هذا النقش من عهد الزباء لمقارنته مع العربية الجاهلية:

صَلَمَت سَفْتِيْمِيَا بَت زَيْي نَهِيْرَتَا وَزِدَقْتَا، مَلَكْتَا سَفْتِيْمِيَا زَيْدَا رَب حِيْلَارِيَا
وَزَيْي رَب حِيْلَا دِي تَدْمُور قَرْطُسْطُوَا أَقِيْم لِمَرْتَهَوْنَ ب يَرْح أَب دِي شَنَةِ

صلمت (صنم - تمثال) سفتيميا (اسم علم) بت زبي (الزباء) نهيرتا (الفاضلة) وزدقتا (الصديقة) ملكة ابناء سفتيميا (وهما) زيدا رب حيلار (قائد الجيش) - الحيل القوة - الأكبر (ربا) وزبي قائد الجيش التدمري، وأن قرطسطو (القائدان) أقاماه لسيدتهم (امراتهم - المرأة في غير العربية هي السيدة والمرء (مرا) السيد ب يرح (شهر - ورخ - تاريخ) آب دي شنة (لسنة) كذا..

هكذا فالزباء - وهواسمها الأصلي كما يتبين من النص التدمري - ليست عربية بالمعنى الدال على الامة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. لكن هذه الشخصية التاريخية تتوج البدايات الأولى لنشوء الأمة العربية من وراء صراع هائل يذكرنا بصراع هاني بعل ضد روما القديمة خاضته الزباء ضد روما الميلادية التي كانت تحتل بلاد الشام. وكانت تدمر دويلة حاضرة تحت الحماية الرومانية وكان آخر ملوكها أدينت الذي سماه الجاهليون أذينة يصانع الرومان ويخدم مصالحهم فلما مات استولت زوجته على الحكم. وكانت كما يدل تطور الأحداث قد وضعت خطة لاقامة دولة حقيقية مستقلة وتصفية الاحتلال الروماني لسوريا. وتحالفت لهذا الغرض مع القبائل العربية التي كانت قد استوطنت اجزاء واسعة من سوريا وشكلت ما يمكن اعتباره طلائع الامة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. (من هنا اعتبار العرب الجاهليين للزباء بأنها عربية)

أقامت الزباء دولة راقية ذات مدنية مثقفة وهي من الملوك المعدودين مثقفين وكانت تتكلم عدة لغات فبالاضافة الى لغتها التدمرية واللهجات السامية الأخرى المنتشرة في محيطها كانت تتقن اللاتينية والقبطية. وكان عصرها هو عصر الثقافة الهلينية التي هي مزيج من ثقافة اليونان وثقافات آسيا الغربية. وقد استفادت الفيلسوف الروماني كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس ليكون في معيها وجعلته مستشاراً لها. وكان كاسيوس صديقاً للفيلسوف فرفوروس الصوري أحد شراح

ارسطو(فرفوريوس لم يكن يوناني الأصل بل من أهالي مدينة صور حين كانت مزيجاً من بقايا الكنعانيين والآراميين). كما استدعت المؤرخ كليكراتس وهو من اهل صور أيضاً. ولوبوكوس البيروتي وهو لغوي وفيلسوف، وبوسانياس الدمشقي المؤرخ، ونيقوماخس وهو مؤرخ وكاتب ومن شراح الفلسفة اليونانية. وكان الأول كاسيوس اوثق مستشاريها وقد أسره الرومان في نهاية الحرب مع تدمير وقتلوه تحت التعذيب. ولا أعرف مادعاه الى الالتحاق بالزباء وهو روماني بخلاف زملائه الآخرين.

وكان من بين سكان تدمير عدد كبير من اليهود الذين كانوا لجأوا إليها بعد احتلال القيصر تيتوس لبيت المقدس عام ٧٠م وقد رعتهم الزباء ووجدوا الامن في ظلها الا انهم لم ينجحوا معها في الصراع ضد مضطهدهم الرومان؛ واليهود لم يحسنوا التحالف مع أحد في كل تاريخهم الطويل.

امتدت مملكة الزباء من الفرات الى البحر المتوسط ومن صحراء العرب الى آسيا الصغرى. وقد تقدمت لاسترجاع مصر من البطالمة، ويقترن ذلك بادعائها النسب المصري، لكنها لم تفلح في السيطرة النهائية على مصر. ودامت مملكتها سبعة عشر سنة. وكان قد وصل الحكم في روما في هذه الاثناء الامبراطور القاسي اورليانوس فعقد العزم على تصفية مملكة الزباء بعد أن توجس من خطرها على امبراطوريته. وحساسية الغربيين لاي نهوض في هذه المنطقة تزيد على نظائرها ضد البقاع الاخرى من العالم لانهم يرون فيها النقيض القاتل لوجودهم. وتقدم اورليانوس بقوات ضاربة نحو تدمير فتصدت له الزباء في انطاكية وخاضت ضده معركة ضخمة أنهت باندحارها امام قواته المتفوقة في العدد، وانسحبت الى تدمير فلحقها إليها. وحاصر المدينة وقطع عنها امدادات الأغذية فأضطر أهلها إلى الاستسلام بعد مقاومة شديدة. ولم تستسلم الزباء وانما حاولت مغادرة المدينة من بعض ممراتها السرية. ولعلها كانت تفكر باللجوء الى حلفائها من القبائل في صحراء العرييا. لكنها وقعت في قبضة الرومان، فأخذوها أسيرة الى روما عام ٢٨٤م. ولم تعش طويلاً في الاسر فقد ماتت في السنة التالية. ويقول المؤرخون أن الاخبار التي بلغتها عن أفاعيل الرومان في تدمير واستباحتهم لها وتخريبها قد عجلت في نهايتها. وهي من حكام يعتبرون الهزيمة هزيمة.

الزباء من عجائب التاريخ النسوي ويصعب العثور على قرين لها في النساء. يمكن اعتبار جان دارك الفرنسية نسخة منها لكنها نسخة مبسطة واقل ايجاءً لأن جان دارك لم تؤسس دولة مزدهرة وثقافة كدولة الزباء وانما قادت حرب المقاومة الفرنسية ضد الانجليز وقدمت حياتها ثمناً لوطنها. وربما استطعنا مقارنة الزباء بالامبراطورة الصينية وو تزو ثيان من اسرة تانغ (سيرد ذكرها في الفصل الثالث) وهي مثلها استلمت العرش بعد وفاة زوجها وقادت الامبراطورية في طريق القوة والرخاء وظهرت من القدرة على الحكم ما تفوقت به على الكثير من الأباطرة. الا أنها لم تكن مضطرة الى خوض حروب دامية كالتي خاضتها الزباء كما أنها ورثت دولة مستقرة مستقلة والزباء ورثت دولة تابعة مستضعفة فحولتها الى امبراطورية.

من حيث التقييم التاريخي للزباء يمكن وضعها في المسار الطويل للصراع بين الساميين والغريين. وهي من هذه الجهة وريثة هاني بعل امبراطور قوت حُدش (قرطاجة). وقد خاضت نفس حروبه مع الاحتلال الروماني. اما وريثها هي فقد ظهر من الامة التي شهدت الزباء بدايات نشوئها وهو عمر بن الخطاب ورب حيله الأكبر خالد بن الوليد. وبخلاف هاني بعل ووريثه الزباء انتصر الوريث المسلم على الرومان وأخرجهم من بلاد الشام نهائياً. وقد تم ذلك على يد رب حيله الذي اختلف معه في اخلاقيات الحرب لكنه كان الاقدر عسكرياً على ملاحقة الثعبان الاوربي لقطع رأسه واعادة الذنب الى داخل القارة.

على أن عمر لم ينتصر لانه ذكر والزباء انثى. وانما انتصر لانه ظهر في مجرى حركة تاريخية صاعدة اطلقها محمد وسار بها هو الى غايتها المرسومة. ومن حيث الكفاءة لا فرق بين عمر والزباء. بل ان هذه الزباء لو جاءت اليوم ورأت حكام العصر والقت نظرة على مثقفيه ثم قارنت مع نفسها ومع مثقفيه فلعلها ستستنزل آية جديدة تقول: "النساء قوامات على الرجال..." وهي على اي حال توفر دليل مُتَوَرِّخ على صحة مذهب ابن رشد في المرأة.

على ملاك الجاهلية يمكننا وضع نبيه بني تميم سجاح. والسجاح من السجاجة وهي الاستواء والاستقامة والرجاحة. وتميم قبيلة كبرى توضع في عداد الشعب لا القبيلة ولها فروع تأثرت بالزرادشتية والمزدكية وخرج منها شعراء متميزون

كالفرزدق ومعارضون كعامر العنبري، من بني العنبر احد فروع تميم وتأتي سجاح ضمن هذا الوضع التميمي المتميز. وقد اعلنت نبوتها بعد وفاة النبي القرشي وتحالفت مع نبي بني حنيفة مسليمة. وبالطبع لم يكن لها أن تنجح امام المشروع المتكامل لنبي قریش مع محدودية مشروعها ومشروع مسليمة. وانتهت الى الفشل المتوقع لامثالها. وعلق احد بني تميم على نبوتها قائلاً:

اضحت نبيتنا انثى نطوف بها واصبحت انبياء الناس ذُكرانا



في الإسلام

كان مؤسسو الإسلام الى جانب محمد رجل وامرأة. الرجل هو أبو بكر، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد الأولى، والأرمق، وأم أولاده الوحيدة. واعتبار خديجة أول من أسلم من النساء كاعتبار أبو بكر أول من أسلم من الرجال افتتحت على السيرة لأنهما من المؤسسين. ولدورها التأسيسي علاقة بابن عمها ورقة بن نوفل، القرشي المنتصر، الذي ترجع إليه أقدم ترجمات الكتاب المقدس، وهي الى ذلك من وجوه مكة وتجارها وأبرز شخصياتها النسوية. وقد عاشت مع محمد قبل الدعوة خمسة عشر عام وبعدها عشر سنوات، ولم تكن مجرد زوجة لرجل يصغرها بخمسة عشر عام، بلي ويمكن الافتراض أن عرضها الزواج عليه لم يكن لرغبتها في الرجال وقد ناهزت الأربعين. وأسرار محمد لاتعرفها إلا السماء. لكن سر العلاقة مع ابن العم قارئ الكتاب المقدس معروف، ولعلها بهذه العلاقة كانت همزة الوصل بين زوجها وابن عمها. ويحتاج موقع هذه المرأة الغامضة في دعوة محمد إلى إعادة نظر في ضوء هذه المعطيات. ومايعنينا في إفاضتنا هذه أن يعلم قراؤنا أن للمرأة ثلث الحصة في هذا التأسيس المعجز لإحدى أخطر الحركات في تاريخ العالم.

انخرط في الحركة منذ البدايات نساء غير خديجة وأقل أهمية منها كن من العبيد في الأغلب لكنهن سجلن أمثلة صمود نادرة في تاريخ النساء وقتلت إحداهن، سمية أم عمار بن ياسر، وهي صامدة للتعذيب فكانت أول شهداء الإسلام.

وفي الدائرة الصغيرة لنشاط المرأة في التاريخ ظهرت في حياة السيرة بعد الطور المكّي نساء من طراز خديجة وسمية كن يشكلن مايشبه الحاشية النسوية لصاحب السيرة، وكان منهن أم عُمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية والزُميصاء أم سُليم، وكان

يصطحبهن في حملاته الكبيرة وشهدن معه صلح الحديبية، الذي شهدته أم سلمة زوجته الأميز بعد خديجة. ويناظر عدد الصحايات بالوصف المقبول للصحابي أربعمئة من مجموع عشرة آلاف وهو عدد مرموق في قياس الدائرة النسوية. وكان للنساء حضور مشهود في المسجد الأول واعتضت إحداهن على تخصيص الكلام في القرآن بالرجال فصارت الآيات من ثم تعطف النساء على الرجال في كل مناسبة تقتضي ذلك فتقول: المؤمنين والمؤمنات، الصابرين والصابرات، الصادقين والصادقات... أو تقول: "إني لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى."

هل كان لهذا الحضور النسوي في الإسلام الأول علاقة بموقف معين من المرأة؟ لنضع في الحساب أن النساء ساهمن في حركات التغيير الثوري على امتداد التاريخ من غير أن ترتعن مساهمتهم بالنسوية كمحور نضال. ومساهمة المرأة في هكذا منعطفات تأتي منها كعنصر اجتماعي غير مشروط بالجنس بل هي قد تنصدر حركة أو تحكم جماعة من غير أن يترتب عليه تغيير في الوضع التشريعي للجنسين. لكن المنعطفات الكبيرة تجلب معها في المعتاد تغيرات اجتماعية تطال شتى وجوه الحياة. وهو مايسعنا تلمسه في الإسلام بخصوص المرأة.

هنا نجد أن وضع المرأة في الإسلام تبدل في اتجاهين متعارضين سيكونان محور البحث في هذا الملف المكرس للمرأة في تاريخنا العربي ثم الإسلامي وهما في تعارضهما يتشكلان كظاهرتين تاريخيتين تمتدان في بعضهما ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى وكان لهما كليهما أثر مشترك في تحديد وضع المرأة العربية حتى اليوم كما سيتضح من هذا البحث.

في المنحى الأول

رأينا في عرضنا المجلد للمرأة الجاهلية أنها كانت تتمتع بحرية واسعة تكاد تتكافأ مع حرية زميلها الرجل في مجتمع عديم الدولة. ولم يكن المنزل يعني عندها أكثر مما يعنيه للرجل إلا في حساب التدبير المنزلي، المعهود إليها، واعتبارات الأمان التي تجعلها أقل قدرة من الرجل على الحركة في الخارج. وقد تبدل هذا الحال في الإسلام ففقدت المرأة كثير من حريتها وفرضت عليها قيود لا يعرفها أهل الجاهلية. ويتصل هذا التحول باكتمال تطور المجتمع العربي في الإسلام نحو الأبوية الذكورية الناجزة مع نشوء الدولة القائمة في جوهرها السياسي والتشريعي على اقتصاد التملك الخاص

والمدارة من طرف الرجال. ويعني وجود الدولة كمظهر شامل وجود القيد على حرية الأفراد رجالاً ونساء. لكن قيود المرأة كانت أشد، ونجملها فيما يلي

تقييد الاختلاط: إن المكان الذي تحدد في الإسلام لتجمع الناس هو المسجد بوظائفه المتعددة: الصلاة، مقر النبي والخلفاء حتى نهاية الراشدين، الدراسة، الانتداء.. وقد استمرت وظائفه هذه عدا كونه مقر للحاكم، طيلة العصور الإسلامية. ولم تمنع المرأة في صدر الإسلام من حضور المسجد والمساهمة في فعالياته. ولم يفرد لهن مكان مخصوص فيه وإنما كان يفصل بينهم في قاعة الصلاة فتكون بين النساء والرجال مسافة بضعة أذرع إذا كن قدامهم ومسافة أقل إذا كن وراءهم. وفي "المُسند" عن عبد الله بن عمر أن النساء والرجال كانوا يتوضأون معاً في زمان رسول الله (الحديث ٥٧٩٩). ولم يقيد حضورهن بوقت الصلاة فقد كن يحضرن في أي وقت ويشاركن في الكلام والمناقشات مع الرجال ومع المتصدر في المسجد من الخليفة ومن يليه.

والاختلاط يكون أيضاً في الطواف حول الكعبة. وهو جاري الى اليوم. وكان قد منع لبعض الوقت بأمر خالد القسري والي مكة للوليد بن عبد الملك بعد أن سمع شاعراً يقول:

**ياحبذا الموسم من موقفٍ وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتي يزاحمننا عند استلام الحجر الأسود
وعاد الاختلاط بعد انقضاء ولايته.**

ثم أخذ المسلمون بعد نهاية الأوان الأموي بتقييد حرية المرأة في حضور المسجد وترد في هذا الشأن أحاديث مختلفة الصيغ بعضها يبيح الحضور بإطلاق وبعضها يقيد بإذن الزوج. ووضع الغزالي هذه القضية في نصاب محسوم ومحدد فقال في إحياء علوم الدين "أذن رسول الله للنساء في حضور المسجد، والصواب الآن المنع إلا للعجائز" - كتاب آداب النكاح. وحكم الغزالي هنا هو اجتهاد في موضع النص ورد مباشر وصريح على النبي محمد. على أن الاختلاف بقي بين الفقهاء بخصوص الاختلاط. وهو اليوم ممنوع في العراق للمساجد والحسينيات (مساجد الشيعة) ومسموح به في سوريا مع تخصيص أماكن لهن. لكن الشيعة يسمحون به في مزاراتهم قياساً على الطواف في الكعبة. ويختلط الزوار الشيعة ببعضهم داخل

المزارع مع وجود أماكن مخصصة لهن إذا اردن الصلاة اذ ليس من المألوف ان تصلي المرأة والرجال يروحون ويجيئون من حولها. وكانت النساء يحضرن المساجد في العصر العباسي انما بنسبة اقل هي التي اراد الغزالي كما يبدو منعها نهائياً. وساهم بعضهن في التعليم في المسجد وغيره. وقد وصلتنا لوحة للرسم يحيى الواسطي من القرن السابع تصور امرأة تلقي دروس على الرجال، وهي مكشوفة الوجه محجبة الشعر. لكن رجال الدين تشددوا في المنع ووضعوا احاديث على لسان محمد والصحابة وائمة اهل البيت بالزام المرأة بيتها. وهو حكم مخصوص بنساء النبي فقط ولايعم غيرهن، ويتصل هذا الاتجاه بتعدد المجتمع الاسلامي مع العصر العباسي واتساع الجنسية الذكورية لدى عموم الرجال. وقد تحكمت فيه عقدة الخوف من العلاقة المحرمة وأظهر مسلمو العصر العباسي تحسس شديد ضد الاختلاط مفترضين حضور العلاقة الجنسية في اي اتصال بين الجنسين وبالغوا في تقديرهم لعنف الغريزة الجنسية وامكان انفلاتها إذا اسلس العنان للعلاقة بين الرجال والنساء، ولم يقولوا كثيراً على الانضباط الذاتي اذ افترضوا اولوية الغريزة على العقل. وكان المجتمع الاسلامي قد شهد مظاهر فساد واسعة لم يعرفها المجتمع الجاهلي بعلاقاته المفتوحة واتسخت فئات واسعة بالعلمنة التي حولها ابو نواس وتلامذته الى لون من الادب الفاقع تتغنى به أوساط شتى. وترافق ذلك مع كثرة الجواري اللواتي مارسن شكلاً من الاباحية يقترب من البغاء الرسمي من غير أن يكون مقنن أو محدد باماكن مخصوصة. وقد دفع هذا الوضع الى التشدد في حجب الحرائر ومنعهن من مقابلة الرجال حتى في المنزل وبحضور افراد العائلة. وكان شعارهم في ذلك: "المرأة رَئِحة لا قهرمانه" ونسبوا وصايا الى علي بن أبي طالب تقول: "إذا استطعت ان لايرين غيرك فافعل" وعلي هو الذي استخدم المحرضات في صفين لتأجيج حمية مقاتليه، وكان فيهن من يتفوق على رجاله في شدة الصوت وبلاغة الخطاب. ولم يعد ممكن للمرأة استقبال ضيف بغياب زوجها كما كانت الجاهلية تفعل وإنما يسمح لها بالتطلع من شقوق الباب فاذا كان رجل كلمته من وراء الباب لتبلغه أن رب البيت غائب. وكان النبي محمد يسلم على المرأة اذا صادفها في الطريق ثم صار السلام عليها من المحظورات. وكان الخاطب يرى مخطوبته وتراه قبل اجراء الخطوبة ثم صارت تُزف اليه مقتنة فلا يراها الا في غرفة النوم ليلة الدخلة.

يرجع هذا التطور بتمامه الى العصر العباسي الثاني، حوالي القرن الثالث هـ ودخلت المرأة العصر الحديث على وضعها ذاك. وقد عم العالم الاسلامي بشتى أطرافه سوى مطارح قليلة حافظت على تقاليدها السابقة وهي في الغالب معاشر شبه بدائية لم تعرف القيود المشددة على النساء. وتحدث ابن بطوطة عن جزر محل ديب (مالديف) التي سماها ذية المهل فذكر أن نساءها يختلطن بالرجال ولا يلبسن الحجاب وأنهن يظهرن في الغالب مكشوفات الصدر وقد سعى لتحجيبهن أثناء اشتغاله قاضياً في الجزر فلم يوفق فاكتفى بأن فرض على المتقاضيات ان لا يدخلن عليه بلا حجاب.

المنع من السفر: يتفق الفقهاء على عدم جواز سفر المرأة ثلاثة ايام إلا ومعها احد محارمها. والثلاثة ايام هي مدة الطريق وليس مدة الاقامة وتعادل حوالي مئة ميل فالمقصود هو السفر خارج مدينتها. ولا سبيل للجزم ان كان هذا الحكم من الاسلام ام من اضافات الفقهاء في العصر العباسي

القيومة:

اتخذت قيومة الرجل على المرأة وضعها القانوني في الاسلام بنص الآية ٣٤/نساء: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان عالياً كبيراً" والقيومة ترجع الى الجاهلية مع تقدم النظام الأبوي وغلبته على عموم الحياة وجاءت الشريعة فكرست ما هو قائم واكملته بالتشريع الذي ازال ما تبقى من مظاهر النظام الامومي في زوايا المجتمع الجاهلي. وقد فسر تخصيص الرجل بالقيومة عند المفسرين بتفوقه على المرأة ب"العقل والعزم والحزم والرأي والقوة والجهاد وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث وملك النكاح والطلاق وإليه الم انتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم.." ويدمج المفسرون بهذه الافضليات مظاهر القيومة وأحكامها الشرعية في مظاهر وأحكام الطبيعة المفترض انها أصل القيومة ومسوّغها. وبما يثير الانتباه هنا اعتبار العمائم من الاسباب الموجبة للقيومة! وقد وردت في تفاسير ترجع الى القرن السابع وكان المسلمون في هذا القرن قد أخذوا يتركون لبس

العمائم في الكثير من الاقاليم الاسلامية. وظهر العقال والكوفية عند عرب البادية والارياف مع بدايات القرن السابع بينما اكتفى رجال غرناطة بلبس القلانيس. وفي الوقت الحاضر يلبس رجال الاهوار في جنوب العراق الكوفية والعقال وتلبس نسائهم عمائم صغيرة سوداء. وفي جنوب الصين تلبس نساء قومية ثياو عمائم ملونة كبيرة بحجم عمائم المسلمين قديماً.

نرجع الى الآية فنراها تستطرد الى حكم النشوز من حكم القيمومة. ويرجع الاستطرد الى سبب النزول كما أورده المفسرون ومؤلفو "اسباب النزول". والمتفق عليه عندهم أنها نزلت لتقرير حكم في حادثة أو عدة حوادث شكت فيها النساء أو أهلوهن من ضرب الرجال لهن وأن محمد حكم أول الامر بالقصاص ثم تراجع فتلا آية القيمومة التي اباحت ضمن حقوق الرجل ضرب المرأة ومنعت العكس. والمفسرون والفقهاء متفقون على انه ضرب غير مبرح فهو بالنتيجة "ضرب إهانة وتسلط" لا "ضرب تعذيب" بما يفيد معنى الضغط النفسي دون الجسدي. أما حكم النشوز كما تقرر في الفقه فله تفرعات تتعلق بالطلاق والخلع سنأتي عليها فيما بعد.

ومظاهر القيمومة تشمل التصرفات العادية للمرأة. وقد اختلفوا في التفاصيل لعدم ورود نص قاطع يقننها. واتجه الذكوريون المتعصبون من الفقهاء الى تقييد جميع تصرفاتها بإذن الزوج حتى الذهاب الى المسجد واعتبروا طاعة الزوج حكماً سابقاً على طاعة الله، فالثواب الذي تكسبه المرأة من حضور صلاة الجماعة، أو أدائها لفرض الجمعة يصبح تالياً لالتزامها أمر الزوج بعدم الذهاب الى المسجد. وتنتقض طاعة الرجل فقط إذا تضمن أمره معصية كأن يأمرها بترك الصلاة أو يحملها على الزنا أو البغاء. ويضعها الغزالي في هذه الصيغة المغلقة: "النكاح نوع رق، فهي رقيقه له فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ماطلب منها في نفسها مما لامعصية فيه" - كتاب آداب النكاح من الإحياء-. وتسربت دونية المرأة عند الذكوريين المسلمين الى اللغة ففي تاج العروس يكتب الزبيدي:

"الحذاء: الزوجة لأنها موطوءة كالنعل. نقله أبو عمرو المطرز"

وقد سير اللغويون القدماء اللغة العربية في مجرى ذكوري مخالف لتكوينها الأصلي فعبروا عن الإنسان بالرجل، على طريقة الذكوريين الغربيين، وطلعت هذه

الصيغة على معاجمهم مع أن العربية تفرق بدقة بين مفردات إنسان ورجل وامرأة. والإنسان لفظ مستوي، أي مشترك للجنسين ولذلك لا يؤنث الى "إنسانة" لأنه متضمن للتذكير والتأنيث معاً فيقال: هذا إنسان وهذه إنسان. وفي شروحهم للمفردات يهمل المعجميون "إنسان" ويستعملون رجل فيقولون: رقد الرجل أي نام، أكل الرجل أي تناول طعاماً، قام الرجل ضد قعد الرجل، وضحك الرجل وبكى الرجل... الخ. وتعززت هذه النزعة في العربية الحديثة بتأثير اللغات الأوروبية وهي لغات ذكورية خالصة لنشوتها في مجتمع أبوي مكتمل، ولذلك لا تفرق بين إنسان ورجل تستعملهما بمعنى واحد فيترجمها المترجمون على حالها الأصلي فيقولون: لو أن رجلاً طلع من هذه الزاوية، ويقصدون: إنساناً، وينام الرجل إذا أدركه التعب، ويشفى الرجل إذا أخذ الدواء ويتصبب العرق من الرجل إذا بذل جهداً عضلياً وحمرة الخجل في خد الرجل عرض طارئ غير لازم ويكي الرجل على موته... الخ ويقول المترجمون رجال العلم ورجال الفن ورجال الأعمال ورجال الإدارة ومأشبه وكلها من نتائج الترجمة الحرفية للنصوص الأوروبية مع الجهل بأسرار لغتهم وتمايزاتها الصرفية والقاموسية.

ومن لوازم قيمومة الرجل عدم صلوح المرأة للرئاسة ويكرس ذلك حديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة." وهو مروي في ثلاثة من الصحاح الستة وفي مسند أحمد والطيالسي مما يقوي صحته، ولا أرى من جهتي سبب لانكاره لأنه يتماشى مع حكم القيمومة. لكن أثره في الفقه يقف عند الخلافة التي يشترط فيها الذكورية بما في ذلك إمامتها للصلاة؛ وجمهور الفقهاء على عدم الجواز عدا الطبري وصاحبه ابو ثور فقد أجازها على الإطلاق وأجازها الشافعي للنساء. وفي القضاء أجاز الطبري أن تكون قاضية وأجازها أبو حنيفة فيما تصح به شهادتها أي في القضايا التي تجوز فيها شهادة المرأة وهي قضايا واسعة لكنها غير شاملة. وفي المناصب الأدنى تسامح. وللفقهاء اسبقيات من عهد الصحابة تسمح باعطاء المرأة دور في الإدارة فقد كانت الصحابية سمراء بنت نهيك تتولى أمور السوق وكانت تتجول في أسواق المدينة وفي يدها سوط لتأديب المخالفين. ومثلها الشفاء بنت عبد الله التي كانت مقربة الى عمر بن الخطاب ومن جملة مستشاريه وكان يكلفها الاشراف على الاسواق أو يعهد إليها ببعض شؤونها. وليس في جملة هذه المناصب نصوص قاطعة معها أو ضدها والمقطوع به فقط هو عدم توليها الخلافة.

العدة

من القيود التي خضعت لها المرأة الجاهلية والمسلمة قيد العدة. وتلزم بها المطلقة ومن ترملت للتو. المطلقة ثلاثة اشهر والتمرلة اربعة. وليس على المطلقة قيد يزيد على عدم الزواج في هذه المدة. وهو نفس القيد بخصوص التمرلة. والقصد من هذا القيد التأكد مما اذا كانت المرأة حامل من زوجها المطلق او المتوفى حتى تتعين نسبة المولود لايه ولا تختلط مع الزوج الجديد. وكان الجاهليون يمددون عدة التمرلة الى سنة تلزم فيها المرأة باجتناب الزينة وتلبس الثياب الخلق الخشنة وتلزم بيتها. وهذا نوع من العقوبة يمكن ان نتلمس فيه بقايا مجتمع قديم لم يعرفه العرب الا أنه قد يكون مستبطن في نزعة كامنة مشتركة في الذكور. وأحيل هنا إلى طقوس دفن المرأة مع زوجها المتوفى في مجتمعات غابرة جمعت بين ملامح مجتمع بدائي متداخل مع مجتمع عبودي عولمت فيها المرأة كالعبد حسبما رأيناه في تخريجات ارسطو. وعندئذ سنجد في عدة التمرلة الجاهلية قدراً من المسؤولية عن الزوج المتوفى يتعين على المرأة اداؤها بالامتناع عن الزواج ولزوم البيت سنة مع لبس اخشن الثياب واهمال الزينة. وتخرج عدة التمرلة هنا عن كونها لمجرد تعيين الحمل والتأكد من وقوعه. فهذا الغرض يبرر في عدة المطلقة التي لم يفرض عليها قيد سواء. وقد عالج الاسلام عدة التمرلة على غرار عدة المطلقة سوى زيادة الشهر على مدة العدة، وقتنها بالتأكد من ظهور علامات الحمل. ومن هنا أعفيت التمرلة من استكمال العدة اذا كانت حامل وولدت فتكون في حل من الزواج بأخر فور انتهاء مدة النفاس وهي اربعين يوم. وثبت هذا الحكم بنص قرآني، الآية ٤/طلاق: "وأولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن" اي اجل العدة ينتهي بالولادة. وليس في القرآن والحديث والسنة نص آخر فيه قيود زائدة على التمرلة. لكن التشريع لم يقضي نهائياً على التقليد الجاهلي وإن يكن قلص المدة من سنة الى اربعة اشهر ونجح فيها فقط لصراحة النص عليها. واستمر قيدالبقاء في المنزل حسب فتوى لابن عمر اخرجها مالك في باب العدة من المؤطأ. ولم يتمكن الفقهاء من ملاحظة الفرق بين النص القرآني وفتوى الصحابي وكون الاخير قد يكون خاضع لفعل التقاليد. وفيما عدا فتاوى لفقهاء يعرفون رسالتهم الحقوقية ويؤدونها بحزم، استمرت القيود الجاهلية على التمرلة المعتدة واضيف اليها قيد آخر هو ان لا ترى المعتدة رجل غريب في عدتها وان يقتصر لقاءها في منزلها على محارمها من الابناء والاخوة وابناء الاخ والاخت. والحكم الآن في المعتدة ان تدخل حجرتها اذا جاء ضيف الى منزلها واذا تمكنت ان لا تسمع صوته فهذا أفضل وتلتزم المؤمنات من النساء بالفتوى

الاكثر قيوداً لرجال الدين المتشددين. وشهدت مؤخراً حالة من هذا القبيل عراقية استشهد زوجها ولها بنات وليس لها ابن افتاها رجل دين متسامح بعدم لزوم العدة لها وأفناها آخر بوجوبها فالتزمت قول الاخير وسجنت نفسها في المنزل اربعة اشهر وعشرة ايام.

يصدر الفقهاء في تقرير هذه القيود عن اجتهاد في موضع النص، كالذي صدر عنه الغزالي في الرد على النبي بخصوص حضور النساء المسجد. ففي "جواهر الكلام" للشيخ محمد حسن وهو اكبر موسوعات الفقه الشيعية يورد المؤلف احاديث عن جعفر الصادق تميز للمعتدة ان تخرج من بيتها وان تتزين لغير ربة (اي من غير ان تقتصد اظهار زينتها لاغراء الرجال وهذه مسألة تتعلق بالنية) والجواز هنا غير مشروط اي انها تستطيع أن تفعل ذلك لغير ضرورة. ثم يرد الشيخ على امامه فيقول انه مكروه بغير ضرورة. (٢٧٨/ ٣٢) - (٢٧٩) ومؤداه عنده ان المعتدة تضطر الى الخروج للطبيب مثلاً، وفيما عدا ذلك يجب ان تلزم منزلها حسب العادة الجاهلية. ويمكن العثور على حالات من هذا القبيل ابطال فيها الفقهاء نصوص قطعية متعين مبدأ الاجتهاد في موضع النص، لكن في جميع هذه الحالات تقريباً يكون النص الاصلي هو الاصول والاكثر عدلاً. ولهذه الظاهرة ملاسبات تخرج عن مقتضى البحث. وبخصوص مانحن فيه يمكننا رؤية المجرى الطبيعي لتطور المجتمعات خارج النطاق المحدد لشرائعها. وقد فرضت ذكورية المجتمع الاسلامي، التي اكتملت وتصلبت في عصر تالي لعصر صدر الاسلام، خروقات كهذه للنصوص المقدسة. وتجتمع في قيود العدة نزعتين: الاولى اسلامية وهي التحسس من مثيرات الفتنة لمن فقدت زوجها، والثانية مشتركة تحمل البقايا الغابرة لمسؤولية بقاء الزوجة بعد وفاة الزوج والزامها بطقوس توديعها كعقوبة رمزية لقاء مسؤوليتها هذه بعد ان كانت عقوبتها الدفن معه. ومن هنا يشمل حكم العدة العجائز اللواتي تجاوزن سن الزواج والحمل وهن غير مشمولات بها في النصوص الاصلية. وشموله للعجائز يؤكد القرار الذكوري فيه. ويشير ذلك بوجه عام الى غلبة التقاليد على القانون في عموم المجتمعات^(٥).

* اهملت امور كثيرة تضمنتها النصوص الاولى لتنظيم الحياة الاجتماعية والحضرية ولم يؤخذ بها. من ذلك تقبيل الرجال لبعضهم عند اللقاء والفراق، عادة ذميمة وضارة صحياً نهى عنها النبي محمد فتوقف عنها الناس في القرنين الاول والثاني ثم عادوا اليها مع القرن الثالث. ومانزال سارية حتى عند المثقفين وبينهم مثقفي الحداثة الاكثر تطرفاً والاكثر مزايده على محمد في مبادئ الحضارة والصحة الشخصية.

من مظاهر الجنسانية الذكورية الاخرى عدم مساواة المرأة بالرجل في الدية. والدية هي العوض المالي عن قتل الخطأ ويسمى الحقوقيون المعاصرون "تعويض" والدية حاصرة في دلالتها اما التعويض فيقال بالتواطؤ على امور كثيرة. ولعلمهم اهملوا جريانها على السنة العامة.. وحكم المرأة عند اكثر الفقهاء ان ديتها نصف دية الرجل. والدية هي ثمن الدم ويعني تصنيفها ان دم المرأة ارخص من دم الرجل بمقدار النصف. وانفرد ابو حنيفة وبعض فقهاء القرن الاول، وهم الانضج من بين الفقهاء، بالمساواة في ديتها اي مساواة دميها في القيمة. واستند الجصاص الحنفي الى حديث "المسلمون تتكافأ دماؤهم" في مساواة دم المرأة والرجل والحر والعبد الشريف والعامي. ويتعدى الحنفية نطاق الحديث الى المساواة في دم غير المسلم وهو سواء عند ابو حنيفة والشافعي^(٥) (احكام القرآن ١/٤٣).

* * * * *

في المنحى الثاني لوضع المرأة المسلمة نقف على مسألة الحقوق. ففي مقابل ما فقدته المرأة من حريات جاهلية حصلت على حقوق حسنت من مركزها الانثوي والمالي. والاسلام ثورة اولاً وثورة ذات ماهية ابوية ذكورية ثانياً. وفي إطار هذا المزيج نمضي في تقرير وضع المرأة المسلمة في تناقضاتها التشريعية والعملية معاً.

نأتي أولاً الى قضية الزواج الضرائري (تعدد الزوجات)، الذي عرفته جميع المعاشر والمجتمعات القديمة بعد انتقالها من حالتها البدائية -الأمومية- الى التحضر الأبوي الذكوري. وكان في الجاهلية بلا قيود وليس له حد أعلى للزوجات. وقد خطا الإسلام خطوة هامة بتحديد حد أعلى هو أربع زوجات. وكان من الأحداث البارزة في السيرة ترتب عليه تسريح ما زاد على الأربعة منهن وورد في "المحبر" لابن حبيب أسماء من كانت لديهم عشر زوجات فسرخوا منهن ستة وهم من رجالات ثقيف وإنما ذكرهم ابن حبيب لمكانتهم وإلا فقد يكون لغيرهم مثل هذا العدد ولم يذكروا لأن التأريخ لا تقوم على الاستغراق وإنما تحصى النخب (ص ٣٥٧). ويفهم من ذلك أن القرآن لم يشرع الضرائرية وإنما قيدها بحد أعلى. ويبقى السؤال عن السبب الذي لم يجعل محمد يرجع الى شرع المسيح فيلغي التعدد نهائياً؟ فنجد بادئ ذي بدء أن الإسلام في طوره الأخير، الذي تحدت

* في بعض الاحاديث فسرت كلمة "مسلمين" بتعميمها على الناس. وبها أخذ ابو يوسف في كتاب الخراج في استخلاص احكام عامة من احاديث مخصصة لفظاً بالمسلمين.

ملاحمه النهائية مع فتح مكة صار أقرب الى موسى منه الى المسيح، أعني بإيجاز أن الإسلام قد تماشى في نبوة ودولة كاليهودية ولم يعد نبوة خالصة كاليسوعية كما كان في التطور المكّي. وكان من مستلزمات هذا التطور الإبقاء على الضرائية بعد تحديد الحد الأعلى للزوجات، فقد كانت هناك حاجة لتكثير عدد العرب، والمسلمين فيما بعد. وكان محمد شديد الهم بها. ومن أحاديثه: "سوداء ولود خير من حسناء لاتلد"، "واني مكاثر بكم الأمم" - أخرج الطبراني وابن عساكر والشيخ الصدوق وغيرهم. ومن إجراءاته جعل الزواج سنة، شبه الوجوب، لتسديد هذه الغاية. وكان عدد العرب في زمانه خمس ملايين ولا يخرج من هذا العدد جنود يكفون لفتح الأرض كلها! (قارن مع سكان الصين يوم ذاك وهو ستون مليون) وكان للنقص في عدد العرب أثر في توقف الفتوحات عند الخطوط التي انتهت فيها. وإليه يرجع عدم نجاح خطة موسى بن نصير لاجتياح أوروبا. وكان قد أعدها وعرضها على الوليد بن عبد الملك بعد فتح الأندلس فوجدها مستحيلة عملياً.^(٩)

من جهة العلاقة الجنسية لم يظهر محمد ميول يسوعية تنظر الى الجنس كفعل قابل للانضغاط. هو يرى فيه إثماً كما يراه المسيح، وإلى هذه الرؤية يرجع الأمر "بغسل الجنابة" أي اغتسال الطرفين بعد الجماع. ولم يكن يتوخى منه النظافة فقط، وهي من أولويات شريعته، فثمت بعد تطهري يدل عليه المعنى الأصلي للجنابة التي تدل في العبرية والسريانية على السرقة (بما يتضمن معنى الإثم). إلا أنه تحاشى المثالية في التشريع وأبقى التحسس من الجنس في زاوية الشعور الفردي. وفي تعارض تام مع الوعظ الديني بالتعفف والصبر، صدرت الشريعة عن مجارة للجنسانية الذكورية هي التي جعلتها تبيع ما كان سائداً قبلها وهو التَّسَرُّي. وكان المفترض لدين موحى به من المطلق السماوي أن ينتزه عن هذه القاذورات^(١٠).

* في فتح الأندلس كان على العرب بعد فتح كل مدينة أن يتركوا فيها حامية لصد الهجمات المضادة وقد اعتمدوا على يهود اسبانيا لهذا الغرض إذ لم يكن عددهم يكفي للتوزع على حاميات. ولاشك أن الوليد نظر الى هذا الاعتبار العملي وعدم إمكان تحقيقه في غير إسبانيا حين رفض الخطة. ولينتيه القارئ أننا نذكر الوليد ونعني جميع مستشاريه وخبرائه وليس هو بشخصه. ** التي تنزه عنها إثنان من مؤسسي الإسلام أبو ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني وأدانها فيما بعد عمر بن عبد العزيز باعتباره إياها من أبواب الزنا ولو أنه لم يتجرأ على تحريمها لوجودها في نص قطعي

- التسري اتخاذ السراري أي الجواري.

تقليص الضرائرية على أي حال الى أربع زوجات خطوة تأتي في مجرى الإصلاح الذي تقوم به الثورات للمجتمعات القديمة. وقد استعجل أبو ذر وصاحبه روزية فالترما بالعائلة الوحداية الصرفة مع الامتناع عن التسري. لكن خطوة كهذه كانت بانتظار ثورة أخرى يتمخض عنها التطور اللاحق للمجتمع الإسلامي. وكانت هذه هي الثورة الاسماعيلية وبتنها القرمطية التي ألغت الزواج الضرائري ولو أنها لم تستمر شأنها شأن التحولات الثورية المجهضة دوماً في عموم آسيا. وفي دائرة الفكر كان المعري هو المروج الأكبر للعائلة الوحداية لكن ثورته هو الآخر بقيت في بطون الكتب. وانفرد الدورز فيما بعد بإبطال الضرائرية وهم فرع من الفاطميين يشير من بعيد الى بقايا الثورة المجهضة.

عني الإسلام أيضاً بتزويج البنات. وهذه مهمة يتفق الشرقيون على ضرورتها. وكان أهل بابل يجمعون في كل عام من أدرك سن الزواج من بناتهم وأبنائهم ويصنفون الأبناء حسب الفقر والغنى، والبنات حسب الجمال والدمامة. ويبدأون أولاً بتزويج الجميلات للشبان الأغنياء ويأخذون مبلغ محدد من كل شاب لقاء زيجته. ويجمعون المال في نهاية الشوط الأول ثم يبدأون بتوزيعه على الشبان الفقراء فيأخذ كل شاب نفس المبلغ لقاء تزوجه من البنت غير الجميلة. وبهذه الطريقة لا تبقى بنت بلا زواج. ولأهل الصين عناية مماثلة وإن لم يكن لهم تنظيم كالتنظيم البابلي. وكرس كبير مسرحيي الصين في القرن الثالث عشر ومبتدع المسرحية الاجتماعية قوان هان تشينغ إحدى مسرحياته لقضية زواج البنات. وكان يميل الى تشجيع البنات على الزواج من رجال أسن منهن لسببين: تسهيل الزواج وعدم تعليق مصير البنت على أهواء الشباب، ولأن الزوج الأسن يداريها أكثر ويدللها... بيد أنه لا يقصد بالأسن من بلغ الشيخوخة فالرجل الذي رشحه للزواج من البنت في المسرحية يكبرها بحوالي ثماني عشرة سنة، فإذا كانت هي في العشرين فلا بد أنه أقل من الأربعين.

وحرم الإسلام العُضُل أو العُضرة (ويعني منع البنت من الزواج) وجعل تزويج البنت البالغة من السنّة. ويضع عامة المسلمين في هذا الاعتبار الحاجة الجنسية للأُنثى بوصفها من الحاجات التي يجب تطمينها كإطعام الجائع وشفاء المريض. وكنت أسمع أهل حارتنا وأنا صبي يتحدثون عن رجل من الحارة عضل أخواته "إن الله يحاسبه بعد كل غسلة تغسلها أخواته".. وفهمت بعد ذلك أن المقصود هو الغسل من الحيض بانتهاء دورته ففي هذه الفترة تشتد حاجة المرأة الى الرجل. ومع تفصيل

الدولة في هذه المهمة كان أهل البر والإحسان يخصصون جزء من أموالهم لتزويج البنات ويعتبرونه مكافئاً لأموال الزكاة التي يدفعونها للفقراء. ولم يُحترم هذا الحق كثيراً في العصر الذهبي للحضارة وإنما جرى عليه أهل القرنين الأول والثاني. ويكتب الجاحظ في رسالة له عن "النساء" أن فرص الزواج للمرأة في الماضي كانت أوفر مما هي في زمانه (القرن الثالث) وأن أهل زمانه يجعلون زواج المطلقة أو المترملة عاراً، بخلاف أسلافهم^(٥). وكانت المرأة في صدر الإسلام والأوان الأموي لا تبقى بدون زوج مادامت في حاجة إلى رجل.

وكانت معظم الشخصيات النسوية من عصر الصحابة والتابعين ممن تزوجن بأكثر من رجل مطلقات أم مترملات. ولا يختلف حال النساء عن عامة الناس. وإفادة الجاحظ تستند إلى معرفته لهذه الحقائق. وهي تفسر عناية الصحابة وفقهاء التابعين بأحكام العدة لعلاقتها المباشرة بالزيجات المتجددة، ويرجع التغيير الذي تحدث عنه الجاحظ إلى اشتداد ذكورية المجتمع الإسلامي والإفراط في الحجر على النساء تبعاً لذلك.

فيما يخص حرية الزواج للمرأة، تدور مباحث الفقه حول حديث مختلف الصيغ ومعناه واحد وهو حسب رواية مسلم في الصحيح: "لا تنكح الثيب حتى تُستأمر ولا تنكح البكر حتى تُستأذن". والثيب هي من تزوجت سابقاً فامتلكت تجربة وعقلاً يخولانها تقرير الزواج بإرادتها. وفي عقد زواج من القرن الثالث مكنوب على ورقة بردي بمصر ورد بعد ذكر اسم الزوجة أنها "امراة ايم" بالغ تلي نفسها" وجملة الفقهاء والمذاهب متفقون على هذا الحكم بخصوص الثيب. وهناك اختلاف في مسألة الولي في عقد الزواج فبعضهم يشترطه وآخرون يعتبرونه شكلي يثبت العقد بدونه. والذين اشترطوا الولي، ومنهم عمر بن الخطاب، نظروا إلى رأي أهل في زواج البنت وإعطائهم كلمة فيه تمنع انفراد المرأة به مع إقرار حقها في الاختيار^{***}، ومن لم يشترطه استند إلى عمومية منطوق الحديث وجعل حرية المرأة في ذلك مطلقة.

والخلاف أشد في خصوص البكر. ونص الحديث يقضي بأخذ الإذن منها وهو أخص

* الرسالة مفقودة ووصلت منها شذرات طبعت طبعة رديئة من قبل دور النشر التجارية ببلن.
** الأيم: التي بلا زوج. تلي نفسها: تتولى الولاية على نفسها وليس لغيرها ولاية عليها لأنها بالغ رشيدة.
*** يحصر الفقهاء الولاية في الأب والجد للأب ولا يسمحون بها لغيرها من أخ أو عم.

من الاستثمار للثيب إذ يمكن أن يفهم منه أن الأب وافق على الزواج قبل أن يبلغها به ثم طلب منها الموافقة على شكل استئذان. وحسب منطوق الحديث يجوز لها النطق بالرفض، أما الموافقة فدليلها السكوت لأن العذراء الصغيرة تخجل من النطق بقبول الزواج وتبقى حرية البكر أضيق من حرية الثيب /مع امتلاكها حق الرفض/ بحكم الفرق بين الاستثمار والاستئذان. وقد أتاحت هذه الصيغة الملتبسة للحديث لبعض الفقهاء ومنهم تابعين أن يجتهدوا في النص فيعطوا الأب حق تزويج البكر بدون رضاها. وهذا مذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وقال به مالك بن أنس أيضاً. لكن الميل العام لدى الفقهاء والقضاة هو اعتبار كراهة البكر إذا زوجت بدون رضاها. وهناك حديث أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس أن بكراً زوجها أبوها وهي كارهة فأنت النبي فذكرت له أن أباهاً زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله، أي أعطاهها حق الانفصال (٤٥٤/١) من تهذيب عبد القادر بدران).

على أنهم فرقوا البكر الصغيرة عن البكر الراشدة مع استوائهما في البلوغ. ويقول المحقق الحلبي في "شرائع الإسلام" أن في الولاية عليها روايات أظهرها سقوط الولاية عنها وثبوت الولاية لنفسها ولو زوجها أبوها لم يُمضَ عقده إلا برضاها (كتاب النكاح من الجزء الثاني) وللشيعة حكم غريب في نكاح المتعة إذ يجيزون للبكر الراشدة أن تمتع نفسها وليس لوليها حق الاعتراض عليها (نفس المصدر) وفي التهذيب عدم جواز اقتضاها إلا بإذن أبيها فالتمتع بها لا يشمل الجماع (٢٥٤/٧).

وأجاز معظم الفقهاء الاهتجان، زواج غير البالغ، وعمموه على الذكر والأنثى فلولي، الأب أو الجد تزويج الغير بالغين من أولاده ذكوراً أو إناثاً. واختلفوا في حقهما في الفسخ بعد البلوغ وأكثرهم على عدم جواز الفسخ. وأجازه صاحب الجواهر وهو شبه معاصر. ولهذا الزواج نظير في الصين القديمة ويكون بأن تقدم عائلة فقيرة بنتاً لها غير بالغ إلى عائلة موسرة لتعيش عندهم وتخدمهم ولكن في صورة بنت متبناة يقرن بينها وبين أحد أبنائهم الغير بالغين. وهي تكون عندهم في حكم الجارية وأقل مكانة من الزوجة العادية وليس لها أن تفسخ الزواج إلا أنها لا تعتبر زوجة للإبن قبل البلوغ رغم اقترانهما بعقد زواج. ومثل هذه الزيجات تكثر في إيران والهند حتى اليوم.

ويدخل في حق الزواج الشرعي شرعية حقها في الإشباع الجنسي. وفي توجيه

عن علي بن أبي طالب: "إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعاجلها وليمكث يكن منها مثل الذي يكون منه" (تحف العقول ص ٨٣)^(٥) وتأتي ضرورة هذا التوجيه من الإهمال لحاجة المرأة في العلاقة الجنسية في الفئات الأقل تحضراً كالبدو والفلاحين وهم عامة أهل الجاهلية وصدر الإسلام. وقد فصله الغزالي على النحو الآتي:

"إذا قضى وطره منها فليتمهل حتى تقضي هي أيضاً نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر بتهيج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر إذا كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال ألد عندها ليشغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي".

واعتذر عن الغزالي لارتباك عباراته إذ خائنه كما يبدو لي بلاغته العلمية المعهودة في هذا المقطع من كلامه وأوضح مراده فأقول أنه يوصي الرجل بالتطابق مع المرأة في وقت الذروة، وأن عليه أن لا يهيجها ثم يتركها لأن في ذلك إيلاًماً لها، وهو يرى أيضاً أن التوافق في الذروة يزيل عقدة الحياء من المرأة لدخولهما معاً في حالة هياج.. وأعطيت المرأة حق الشكوى إذا قصر الزوج في إشباعها جنسياً. ووضع حد أقصى يجوز بعده رفع دعوى قضائية وهو أن يتركها لمدة أربعة أشهر. ويشمل حق الشكوى حالات العجز والعتة.

ويجوز لها طلب التفريق في حالة العنة. أما إذا تركها مع قدرته فلها الشكوى عليه والمدة القصوى التي يجوز بمرورها رفع الشكوى هي أربعة أشهر كما بينا. وقد مارست النساء هذا الحق في العصر الإسلامي وألزم القضاء بالنظر في الشكاوى. ومن أخبارهن أن امرأة جاءت إلى عدي بن أرطاة، والي البصرة لعمر بن عبد العزيز، تشكو من زوجها وتقول أنه عنين. فقال عدي: إني لاستحي أن المرأة تذكر مثل هذا.. فردت عليه: لم لأرغب فيما رغبت فيه أمك فلعل الله يرزقني ولدأ مثلك؟..

وهب النبي الجنة لمن كثرت بناته فصبر عليهن وأدبهن وزوجهن. وندد القرآن بسوء استقبال الجاهليين لمولد البنت. ومع إدراك محمد لصعوبة تغيير العادات واصل في أحاديثه وعلاقاته الشخصية ترويضهم على المساواة بين الجنسين من أولادهم.

* تحف العقول من مصادر القرن الرابع الحيدة الوثيق. والنسبة إلى شخصية بعينها تقبل الشك مادام الأمر متعلق بذاكرة الرواة فقد يكون التوجيه لعلي أو غيره من الأئمة. والمعول في ذلك على النص ذاته وليس على قائله.

أخرج ابن عساكر عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي فجاء ابن له فأخذه فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت ابنة له فأخذها فأجلسها الى جنبه. فقال رسول الله: هلا عدلت بينهما؟ (٢٥٤/٤) من تهذيب عبد القادر بدران). وقد جرى على هذا النهج كبار الصحابة وأئمة آل البيت كما التزم الفقهاء والمتكلمون تكرار الحث على المساواة المنزلية بين الأولاد فقال الغزالي في إحياء علوم الدين أن من آداب الولادة أن لا يفرح بالذكر ويحزن بالأنثى فإنه لا يدري الخيرة له في أي منهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له ولد أو يتمنى لو كانت بنتاً، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل (٤٦/٢ - كتاب آداب النكاح).

روعت هذه الأصول من جانب المثقفين من متكلمين وفقهاء ومتصوفة وعلماء كشأن غيرها فيما يتعلق بالنساء في هذه الأوساط. لكن عامة الناس ظلت على نزعتها الجاهلية حتى اليوم. وأعطانا الجاحظ في كتاب الحيوان أمثلة من الارجاز التي كانت تُشدها القوالب أو الأمهات في ساعات الولادة يتفائلن بولادة الذكور. منها:

ايا سحاب طرقي بخير
وطرقي بخصية واير
ولاثرينا طرف البظير

أو:

وما لبالي ان اكون مُحَمَّقة
إذا رايتُ خصيةً معلَّقة

ووضع الذكور يون أحاديث تناقض آيات القرآن منها حديث: "دفن البنات من المكرمات" وقد تناوله السيوطي في "اللئالي المصنوعة" وأثبت بطلانه. على أن الخوف على مصير البنت يمنع أحياناً من التماسك حول مبدأ المساواة ويعبر منصور النيمري عن هذا الوضع بأبيات فاجعة يذكر فيها وحيدته العديمة الأم:

لولا أميمة لم اجزع من العدم ولم افاس الدجى في حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
تهوى حياتي واهوى موتها كرمًا والموت اكرم نزال على الحرم
ولم يكن في المدن ما يحمل على التحيز ضد البنات لأن اقتصاد المدينة لا يعتمد

حصرأ على العمل العضلي لأفراد العائلة بخلاف الحال في الريف. وإنما يتعلق الأمر هنا بقوة التقاليد مع ما يلحقها من مخاوف على مستقبل البنت من عدم زواجها أو جنوحها في علاقة محرمة فتسبب العار لأهلها. ولم يضع الغزالي هذه الاحتمالات في حسابه حين دعا إلى المساواة في النظر إلى الجنسين من الأولاد وجعل السلامة في البنت أكثر. ويرجع ذلك إلى أن الأوساط الفقهية لانتظر إلى جنوح الفتاة بوصفه معجبة للعار كما هو عند أفراد القبائل وأهل المدن المتأثرين بالامتداد القبلي والريفي وإنما تتعامل معه كإثم يعالج بالتوبة.

وأعطى الإسلام حق الميراث للمرأة وكانت محرومة منه في الجاهلية. وكان الذكر هو الوارث الوحيد، وإذا لم يكن بين الأولاد ذكور يذهب الميراث إلى العم. واستمر الحال على ذلك إلى أيام معركة أحد حين قتل الصحابي سعد بن الربيع وخلف بنتين فجاء عمهما واستولى على الميراث ولم يترك لهما شيء. فجاءت أمهما إلى النبي شاكية فاستمهلها حتى ييت في الأمر، ويبدو أنه لم يكن قد سبقها إلى التفكير فيه، فنزلت عليه عندئذ آية الموارث فدعا عمهما وقال له: اعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن ولك ما بقي. وكان ميراث سعد بن الربيع أول ميراث يقسم على البنات والأم. وإلى هذا يشير عمر بن الخطاب في قوله الذي أخرجه مسلم في الصحيح (١٩٠/٤): "والله إن كنا في الجاهلية مانعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم."

ومع أن حصة المرأة من الميراث كانت النصف فإن مبدأ توريث المرأة كان خطوة كبيرة للثورة الإسلامية في مجتمع كان يفرض الحرمان التام على النساء. وبالمقارنة مع الغير، نجد المرأة الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة محرومة عموماً من الإرث. وكان الإرث في بريطانيا يذهب جميعه إلى الابن الأكبر فتحرم منه ليس البنات فقط وإنما بقية البنين. وعند الساميين القدماء والسومريين أعطت شريعة أورنمو حق الإرث للبنت العازبة إذا كانت وحيدة والدها. ويجري الحكم نفسه في شريعة حموربي إذ يقتصر التوريث على البنت العازبة وتحرم منه المتزوجة. وخصص الميراث في الإسلام شاملة للأولاد جميعاً بنين وبنات متزوجين وعزاب. وكان من المنتظر مع تطور المجتمع الإسلامي أن يعاد النظر في الحصص لتكون متساوية للجنسين وهذا ما قام به الدرود /الإسماعيليون في الأصل/ والشريعة الدرزية تساوي بين الإبن والابنة في الميراث. ولاعلم لي بما فعل القرامطة في دولتهم ويمكن الافتراض أنهم لم يعنوا

بمسألة الإرث لأن نظامهم الاقتصادي لم يكن يساعد على تكوين أموال شخصية تكفي للموارث. وهذه المسألة تكون ثانوية في الأنظمة المشاعية والاشتراكية ولاحظت بنفسني أن الصينيين حتى عام ١٩٧٩ وهو عام الانقضاء على نظامهم الشيوعي لم تكن لديهم قضية موارث بعد إلغاء الملكية الخاصة وإعادة توزيع الثروة الاجتماعية على الناس بالتساوي فلم يبق لدى أحد مال شخصي يوزع على الورثة. الفكرة السائدة حول الطلاق أنه من حق الرجل وحده. ومر بنا أن من جملة مظاهر القيمومة على المرأة هو الطلاق. وكانت المرأة في الجاهلية تتبادل هذا الحق مع الرجل. ثم تكرر له في شرع الإسلام الناجز الأبوية. وهنا ترد نقطتان أولاهما أن حق الطلاق ليس مطلقاً فهو يخضع لأصول نص القرآن على بعضها وجرت في بعضها الآخر على أسس المروءة الجاهلية. ومن أخبار عمر بن الخطاب أن رجلاً جاءه يريد طلاق زوجته فسأله عن السبب فقال: لأحبها. فقال له: "وهل بنيت البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية والتدم؟" ولم يسمح له بالطلاق. على أن الفقه السني حوّل الطلاق إلى لعبة فهو يقع حسب هذا الفقه بمجرد القسم به مع الحنث أو بمجرد أن يقول لها أنت طالق. كما يقع الفراق بالظهار وهو أن يقول لها في ساعة غضب: "أنت علي كظهر أمي" فتحرّم عليه.

النقطة الثانية أن المرأة تملك هي الأخرى حق الطلاق في صيغة المخالعة. ويستند هذا الحق إلى قضية زوجة ثابت بن قيس المتفق عليها بين الفقهاء وأهل الحديث. وصورتها كما وردت في صحيح البخاري أنها جاءت إلى رسول الله وقالت له: "يا رسول الله ثابت بن قيس ماعتب عليه في دين ولاخلق ولكنني أكره الكفر في الإسلام". وكان ثابت دميماً. فسألها النبي: أتردين عليه حديثه؟ قالت نعم. فدعاه وقال له: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة". وكانت حسناء فأعطاه في المهر بستاناً وهو المقصود بالحديقة. وتسمى هذه بالمخالعة أو الخلع. ونص عليها القرآن في الآية ٢٢٩/ بقرة "ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به" ومفاد الآية أن مهر الزوجة ملكها الشخصي الذي يجب أن لا ينتقص منه شيء عند الطلاق لكن المرأة يمكنها التنازل عنه إذا رغبت هي في الطلاق. فالفرق بين الطلاق والخلع هو في المهر. إن قضية زوجة ثابت هي تطبيق لحكم الآية وسبب التفريق فيها هو دمامة الزوج مع استقامته ديناً وخلقاً وحسن مداراته لها. وقد استخلصوا منها قبول التفريق

بالخلع لوجود سبب مثل الدمامة في هذه القضية الأم أو كراهتها لأخلاقه أو لوجود ماينفرها منه. وهذه أسباب تخصصها شخصياً إذ يمكنها أن تتحملها وتتواصل عيشها معه ويمكنها أن تطلب المخالعة وعندئذ تنازل عن مهرها. وهناك حالة أخرى وهي أن يكون ظالماتها ومضيقاً عليها وعندئذ يرغب على طلاقها. وفي هذه الحالة يقع طلاق لاخلع وتأخذ حقوقها منه بموجب أحكام الطلاق. وتوجد حالة ثالثة وهي انصرافها عنه إلى وجه آخر، أي "على وجه الفساد وما لا يحل" وفي هذه الحالة يحكم عليها بالنشوز وتجبر على العيش معه. ويشبه هذا الحكم حكم عمر بن الخطاب في رد طلب الطلاق من رجل لأنه لا يحب زوجته. ويستند موقفهم إلى افتراض إمكان بقاء العائلة والرابطة الزوجية مع انعدام الحب الزوجي.

عملياً كانت حالات الطلاق أكثر من حالات المخالعة. ويتصل ذلك بجملة أمور أولها تساهل الفقه السني في توقعات الطلاق وعدم الالتزام كثيراً بنصوص القرآن والسنة في هذه الأمور. وكثر ذلك في أحقاب التدهور السابقة والمساوقة للعثمانيين حيث انحلت مؤسسة القضاء ولم يعد القضاء من فئات الفقهاء المجتهدين الكبار وصار القضاء ارتزاقاً كغيره من وظائف الدولة. الثاني أن بعض الفقهاء علقوا إيقاع المخالعة بموافقة الزوج خلافاً للمدلول الصريح في قضية زوجة ثابت. ويرجع ذلك إلى زيادة تعقيد المجتمع الإسلامي في الأطوار المتأخرة عن القرون الأولى وجنوحه أكثر نحو جنسوية متطرفة كما رأينا في تغيير وإلغاء أحكام أصلية تحت تأثير هذا التطور.. الثالث ملاسبات مسألة الحقوق فالكثير من الفقهاء والقضاة يستندون في معالجة هذه القضايا إلى ضمان حق المرأة في المهر والنفقة فهم لا يميلون إلى المخالعة لأنها تحرم المرأة من هذه الحقوق. والنساء من جهتهن لا يجدن متسع للتنازل بدون سبب قاهر. والتخلي عن حقوق مادية يتطلب قوة إرادة وشخصية متعالية تتميز بها النماذج. وتظهر سيورات العلاقة الزوجية بتعقيداتها وتناقضاتها أن المرأة كثيراً مارهنت نفسها بعقدة المهر وجعلتها محور خياراتها في حياتها الزوجية. يضاف إلى ذلك أن الناس في العصور المتأخرة لا ينظرون بارتياح إلى المرأة التي تخلع زوجها مالم يكن ظلمه لها معروف وبإيدي للعيان ولو أن امرأة منهم تصرفت مع زوجها على طريقة زوجة ثابت بن قيس لرموها بالتهم.

أحكام وقضايا

إشكالات حول المهر:

المهر هو ما يعطيه الرجل للمرأة من مال نقدي أو عيني لقاء زواجه منها. ويسمى أيضاً الصداق ، وأصدقها: أعطائها الصداق أو سماه لها وكذلك أمهرها. ومن أسمائه الأخرى السياق وقد شرحناه فيما سلف من هذا المؤلف. وينظر إلى المهر على أنه ثمن جسد المرأة ولذلك يطلق على أجرة المومس التي تسمى في الفقه "مهر البغي". وهو من المحرمات. وبهذا الاعتبار يكون معنى المهر هو ثمن التمتع بجسد الزوجة وينبغي هذا المعنى على افتراض أن الزواج حاجة للرجل دون المرأة وأن التمتع بالجسد يكون من جانب واحد. وهو افتراض مسلم به لدى البدو والفلاحين لكن الإسلام يجعل منه كذلك حقاً للمرأة يوفرها احتياط مالي إذا انفصلت عن الزوج وفقدت المعيل.

واختلفت المذاهب في وجوب المهر وما إذا كان عقد الزواج يصح بدونه. فاعتبرته الحنفية ركناً في العقد وجعله الشافعي جوازياً وهو قول المحقق الحلبي في "المختصر النافع" إلا أنه في "شرائع الإسلام" يذكر وجوبه في عقد المتعة خاصة. وينقل الإسماعيلية عن علي: لا يكون تزويج بغير مهر (دعائم الإسلام ٢/٢٢٢). ويراد بوجوبه استحقاق المرأة له فإذا أغفل ذكره في العقد صح العقد لكن حق المرأة لا يسقط بإغفاله ويحق لها عندئذ المطالبة به فتعطى مهر المثل وهو المهر الذي يخصص لمن هي في مثل وضعها ومؤهلاتها. والهام في هذه المسألة هو صحة عقد الزواج بلا نص على المهر فالمهر ليس شرطاً في العقد إنما هو حق ثابت للمرأة إذا طالبت

به. ويعني ذلك إمكان إسقاط المهر من عقد الزواج إذا اتفق الزوجان وارتأت المرأة أن تتنازل عن ثمن جسدها للزوج. والأمر متوقف عليها وحدها وليس في أحكام النكاح في أي مذهب ما يجعل صحة العقد متوقفة على ذكر المهر. وحين يصار إلى الفهم الصحيح للعلاقة الزوجية بوصفها علاقة تكافؤ وحاجة متبادلة، بما في ذلك وفي الأساس الحاجة الجنسية، لا يبقى لثمن الجسد معنى لأن التمتع بالزواج مشترك للزوجين وهو بذلك يختلف عن "مهر البغي" لأن التمتع في هذه العلاقة هو الرجل وحده. وإنما جرى التشدد في المهور بسبب فقدان المرأة مصدر عيش إذا انفصلت عن الزوج وهو الغالب في العصر الماضي أما وقد دخلت المرأة مضمار العمل وصار لها مصدر عيشها المستقل فإن استمرارها في شرط المهر هو إقرار من جانبها بأن قبولها الزواج من فلان يعني أنها تبيع جسدها له. وينبغي التمييز بين المهر وعقد الزواج إذ كثيراً ما يختلطان في أذهان الناس ومنهم عامة المثقفين الذين لا يعرفون إلا القليل عن أمور الحياة المحيطة بهم. وبهذا المعنى للمهر لفقت المعارضة التقليدية في العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وظهور الشيوعيين إلى العمل العلني أهزوجة (هوسة) نسبتها إلى الشيوعيين تقول:

بس هالشهر. ماكو مهر ذبوا القاضي بالنهر..

يقصدون عقد الزواج.

وربما دغدغت هذه "الماكو مهر" بعض (الشيوعيين) فعلاً وهم على الأكثر من مثقفي الحركات الشيوعية الذين تعلموا الإباحية من الغربيين وألصقوها بالماركسية. وقد قال لي شيوعي سوداني، من كبارهم، لقيته في الصين أن الماركسية ليس فيها زواج. وكانت هذه فتوى منه لتسويغ العلاقة المفتوحة مع النساء شأن الفتاوى التي يصدرها رجال الدين وتدخل في باب الحيل الشرعية لتمشية مصالح التجار أو مجارة الجنسية الذكورية*. وفيما يخص الأهزوجة (العراقية) فهي تجمع بين المهر وعقد الزواج وهذا الجمع في العامة التي تسمى جلسة عقد القران (كُتِبَ الكتاب) "مهر" فيقال: "اليوم مهر فلانة". وهو من باب التغليب في اللغة لكنه مثير لبلبلة اجتماعية بجمعه بين مصطلحين شرعيين لا يتشارطان.

* يميل مثقفونا على العموم إلى شيوعية النساء أكثر من ميلهم إلى شيوعية الأموال.

تحديد النسل:

وردت أحاديث عن العزل لمن لا يريد الإنجاب من علاقة جنسية مع امرأة ما. وتختص غالباً بمن يقيم علاقة مع امرأة لا يراها صالحة لأن تكون أم لأولاده. ويأتي ذلك استثناء من سياسة محمد في تكثير النسل. لكن الغزالي دافع عن تحديد النسل بوجه عام ورد على رجال الدين القائلين بتحريمه (إحياء علوم الدين- كتاب آداب النكاح) وكان العرب والمسلمون قد كثروا في زمان الغزالي واكتظت المدن الإسلامية بالسكان فانفتت الحاجة إلى تكثير النسل. وقد رأينا الغزالي يعدل أحكام نبيه في بعض الأمور. وهو في هذه المسألة يخالفه أيضاً بمراعاة اختلاف الظروف. وأقر بالتحديد المحقق الحلبي من الشيعة وهو من مراجعهم الكبرى ووسيلته عنده هي العزل أيضاً واشترط أن يكون باتفاق الزوجين ورضاهما (المختصر النافع ١٩٧).

والمقصود بالعزل أن يقذف خارج الرحم لمنع الحمل. وبحث الأطباء المسلمون في وسائل طبية لهذه الغاية. وتردنا وصفة ترجع إلى طبيب العرب المخضرم الحارث بن كلدة تختص بالرجل يقول فيه كما نقلت عنه المصادر الإسلامية أن من أراد أن لا يأتيه ولد فليدهن رأس الحشفة بدهن قبل الجماع. ولم تذكر المصادر ماهية هذا الدهن وتركيبه. واستحضر الأطباء المسلمون فيما بعد دواء مأخوذ من التنعاع يكون على شكل تحميلة تُحشى في الفرج قبل الجماع. وكانت الصيدلة الكيميائية قد تطورت بدءاً من الرازي في القرن الثالث وأمكن استحضار أدوية ومركبات كيميائية تجاوزوا بها الأدوية البسيطة من النباتات. وليس لدينا مع ذلك معطيات عن مدى انتشار أدوية منع الحمل في العصر الإسلامي سوى أنها كانت معروفة لغير الأطباء، وقد ذكر الفيروز أبادي تحميلة التنعاع في الفقرة المختصة به من القاموس المحيط مما يرجح اشتهاها عندهم. أما الاهتمام بتحديد النسل فهو قديم عند العرب من جهة الحاجة إلى تقليل العيال هروباً من الفقر. وسئل حكيم بن حزام من وجوه قريش في أول الإسلام: ما المال؟ فقال: "قلة العيال". وفي نهج البلاغة: "قلة العيال أحد اليسارين". (اليسار الأول هو المال الوفير واليسار الثاني هو قلة الأولاد- اليسار هو اليسر). ورؤي سفيان بن عُيينة على باب الخليفة فقالوا: ما هذا مكانك؟ فقال: "وهل رأيتم ذاعيال أفلح؟" يريد أن عياله ألجؤوه إلى الأخذ من الخليفة لحاجتهم مع كثرتهم.

وبخلاف وسائل تحديد النسل يمنع الإجهاض باتفاق الفقهاء. ووردت مع ذلك أدوية للإجهاض في دساتير الأدوية الإسلامية، فلعلهم مارسوه خارج التحريمات. وقد تأكدت من وجود هذه الأدوية في سوق البزورية بدمشق، وهو من أرق أسواق الأدوية التقليدية في العالم العربي، إلا أن شيوخ الصنعة قلما يوافقون على صرفه لمن يطلبه. هذا مع أن أدوية سوق البزورية أقل تعقيداً من الأدوية الأصلية للأطباء المسلمين.

شروط في العقد:

يجوز أهل السنة شرط الرجل للمرأة في عقد النكاح أن لا يتزوج عليها. ولا يجيزه الشيعة. ويجوز السنة وبعض الشيعة تخيير المرأة بين البقاء والانفصال لغير ماسبب وعمدتهم فيه تخيير النبي لنسائه وهو من أحداث السيرة المتفق عليها. ومن الجانب العملي فإن التخيير مرتبط بأحكام المخالعة والنص عليه في الفقه هو لتقرير مبدأ طبقه النبي على نفسه. ووردتنا شروط في عقود الزواج المكتوبة على ورق البردي أعطاها الرجل للمرأة ففي عقد مؤرخ عام ٢٥٩ هـ يرد مايلي: "وشرط اسماعيل مولى أحمد (وهو الزوج) أن كل امرأة يتزوجها على امرأته عائشة بنت يوسف تقام تلك المرأة بيد عائشة تطلقها كيف شاءت من الطلاق. وهذا العقد محرر حسب المذاهب السنية.

توسع الشيعة في أحكام الجنس: ويدخل فيه إباحة المتعة المحرمة عند غيرهم، ومنهم الشيعة الإسماعيلية الذين يخالفون الإمامية فيها. وأساس الإباحة هو مخالفة عمر بن الخطاب إذ أن بعض أحكام الفقه الشيعي مبنية على المشاكسة بصرف النظر عن خطورتها. وقد أباحوا قتل الفلاحين في حروب الفتح لأن عمر نهى عن ذلك وتشدد فيه. ومن الجانب العملي مورست المتعة في الوسط الشيعي كصيغة شرعية للبقاء وهي تمارس اليوم في إيران وفي حي السيدة زينب بدمشق على هذا النحو ولذلك تمتع منها بنات العوائل وتقتصر على من هي في حكم المومس. والفقهاء الذين سمحوا للبكر الراشدة أن تمتع نفسها بدون إذن وليها لا يسمحون لبناتهم أو أخواتهم بذلك! أما الشيعي العادي فيقتلها غسلًا للعار إذا فعلت. واخرج الطوسي في "التهذيب" وهو من الكتب الأربعة الامهات حديث عن الصادق "لا تمتع بالمؤمنة فتذلها" وعلق عليه: حديث شاذ مقطوع ... واستطرد: "ويحتمل ان يكون المراد به

إذا كانت المرأة من أهل بيت الشرف فإنه لا يجوز التمتع بها لما يلحق أهلها من العار ويلحقها هي من الذل" (٢٥٣/٧) وفي خبر آخر للطوسي ان المتمتع بها ليست من الاربع (أي ليست زوجة) لأنها لا تطلق ولا ترث وإنما هي مستأجرة (٢٥٩/٧) وفي خبر ثالث انهن بمنزلة الإماء .

وللشيعة أحكام جائرة بخصوص الجوّاري (السّراري). ففي "مفتاح الكتب الأربعة": إذا زوج الرجل عبده أمتة (جاريته) ثم اشتهاها قال له: اعتزلها. فإذا طمشت وطئها (جامعها) ثم يردها عليه إن شاءت. (ج ٥ ص ١٠).

والأصل في فروع الكافي ٤١٨/٥ . ويضع المحقق الحلّي هذا الحكم في صيغة أخرى هي: "يحرم على المالك وطء (مجامعة) مملوكته إذا زوجها حتى تحصل الفرة وتنقضي عدتها إن كانت ذات عدة". وفي هذا وقوف على الحكم الشرعي. أما الحكم الذي ورد في مفتاح الكتب الأربعة، فيرتبط بالشهوة الطارئة للمالك ويتضمن إمكان التكرار من غير فرة شرعية فهو من أبواب الزنا، أو المشاركة في امرأة واحدة مع آخر مما يتصل بالمراهطة، لكن المفروضة على الجارية من دون إرادتها وهي قد تكون محبة لزوجها الشرعي ولا تشتهي غيره.

وأحل الشيعة جماع الفهر للجوّاري وهو أن ينام بين جارتين وينقل بينهما في الإدخال ويقذف في إحداها أو يجامع جارية وأخرى قرية تتابع ما يجري بينهما وقد ينتقل إليها ليفرغ فيها. والفهر محرم عند بقية المذاهب. وفي أبواب النكاح من كتبهم باب يسمى "إعارة الفرج". استقصاه الطوسي في "الاستبصار" نقلاً عن محمد الباقر وابنه الصادق وهو أن تكون للرجل جارية فيعيرها لقريبه أو صديقه يتمتع بها ثم يعيدها إليه بعد أن تنتهي حاجته منها. ومبناها على القياس الشكلي بأن الجارية شيء مملوك فهي تعار كما تعار النخلة للاستفادة من ثمرها. واختلفوا في الولد إذا ولدت الجارية المعارة فقال بعضهم يعتبر ابن المالك وقال آخرون أنه ابن المستعير. ونقل الطوسي عن موسى الكاظم وقد سئل عن إعارة الفرج: لأحب ذلك. وفسره فقال: ليس فيه ما يقتضي تحريم ما ذكرنا لأنه ورد مورد الكراهية. وقد صرح عليه السلام بذلك في قوله: لأحب ذلك. فالوجه في كراهية ذلك أن هذا مما ليس يوافقنا عليه أحد من العامة (أهل السنة وغيرهم من فرق المسلمين) وبما يشنعون به علينا فالتزّه عما هذا سبيله أفضل وإن لم يكن حراماً".

سألت بعض وجوه الشيعة عن هذا الحكم فاتهموا به الفقهاء من أصل فارسي والطوسي منهم، وقد يكون الفرس أقرب إلى هذه الأمور لإباحتهم قديماً نكاح المحارم ولأنهم لم يَمروا بمرحلة بداءة ونظام قبلي صارم يسيج المرأة بنطاق شديد من المحرمات، لكن الفقهاء الشيعة من أصل عربي لا ينقضون هذا الحكم وقد أورده المحقق الحلي في كتاب النكاح من "شرائع الإسلام" ونص على جوازه.

تستند هذه الأحكام إلى افتراض أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبجها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة. وتشير من هذه الجهة إلى جنسانية الحضارة الإسلامية التي تشكل فيها كرس مشترك مع الحضارة الأوربية الحديثة كالأبوسائل الخاصة به. لقد تضمنت الشريعة الإسلامية أبواب للجنس تجعل ممارسته ميسورة وقليلة الكلفة وتناولها الفقهاء كأحكام إلهية أما الحضارة الأوربية فانطلقت من نفس المنطلق وهو أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبجها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة، ووسائلها إلى ذلك رفع التابو عن الجنس. ويتوغل الغرييون في الطور الأميركي الراهن إلى مدى تجاوزوا فيه جنسانية الإسلام فأدرجوا في قوانينهم أحكام تتعلق بالشذوذ الجنسي للرجال والنساء تضيفي عليه نفس الشرعية القائمة في الزواج الشرعي. والشريعة الإسلامية تعاقب على هذا اللون من الممارسة الجنسية ولو أن بعض الشيعة ومعهم بعض المالكية من السنة لم يحرموا ممارسة الشذوذ مع الزوجة على كره شديد^(*). والمنطلق كما قلنا واحد في الحضارتين وهو الإفراط في مجازاة الغرائز^(**). لكن المثقفية الإسلامية المعبرة عن وعي أقل حسية والمناهضة للذائذية رجال الدين اتجهت إلى ترقية الغرائز وتهذيبها بالإرادة وغالباً ما جرى ذلك في تنافر مع المسلمات الدينية وجاءت أمثولاته الأرقى من الفئات العقلانية القرية من الإلحاد، وهم بالجملة أقطاب التصوف والفلاسفة وكبار المتكلمين والثوار من

* مع أن الكتب الأربعة للصدوق والكليني والطوسي تتفق على حديث نبوي يحرمها بنص قطعي
** قال الغزالي في الأحياء:

في الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصن المرأة الواحدة ويستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع، فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بها والا فيستحب له الاستبدال. ومفاد كلام الغزالي أن الاسراف في الجنس عند الأقوياء عليه من المستحبات الشرعية التي يثاب عليها المسلم. والغزالي يتكلم ها كرجل دين لا كفيلسوف وهو نفسه متعفف مترفع.

معارضتي الدولة. ومعهم مؤسسو الفقه الأوائل ورواده الكبار في العصور التالية. وقد وصلنا تراث طهراني من هذا الوسط يناصف التراث الجنساني. لكن المجتمع الإسلامي كان في عمومه أشبه بالمجتمع الأوربي الحديث في جنسانيته العديدة الأطراف، والمرعية هنا من الشرع الإسلامي وهناك من الأيديولوجيا الغرباوية: هذا الشرع في مجاراته للغرائز، وتلك الأيديولوجيا في فرديتها الطاغية المستندة إلى نظام الاقتصاد الفردي المتحكم في منظومة القيم الغرباوية* والآيل من ثم إلى اجتراح مفهوم سائب للحرية الفردية يساق بين حرية التاجر الرأسمالي في البحث عن الأرباح وحرية الفرد العادي في الركض البهيمي وراء الغرائز. وجنسانية الغريبيين على أي حال أعدل من جنسانية الإسلام لأنها تعم الجنسين: ولو أنها بهذا العدل فتحت باب أوسع للعاهات الجنسية وآخرها وباء الأيدز الذي هو مرض غرباوي في المقام الأول ومرجعية الغرب فيه كمرجعية الهند في الطاعون.

* أنا مضطر إلى استعمال هذه الصيغة غرباوي بدل غربي لتفادي اختلاطها بالعربي إذا طارت النقطة وهي غالباً ماتطير.

أصل الاختلاط أن غرب في العربية تطور عن الآرامية (هو فيها بالعين فجعلته العربية بالغين والغين من مستحدثاتها) وشاءت الصدفة أن تسمى هذه الأمة السامية بالعرب وأن يكون الغرب نقيضها الأكبر فتجاوران في الكتابة أكثر من غيرهما فبقع الخلط بينهما لضالة الفارق .

الحجاب

كانت الشعوب القديمة تهتم بغطاء الرأس بسبب انكشاف الناس للطبيعة. وتختلف أغطية الرأس بين الشعوب كما بين الرجال والنساء. وكان رجال العرب يتعممون ونساؤهم يتخمرن. والخمار ليس للحجاب بل هو كما يلبس الرجال العمام. وكانت الجاهلية تسدل خمارها على كتفها وتكون حرة في ترك صدرها وبعض ظهرها مكشوفين، مع الوجه. وكانت تزين بالحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ والعقيق وغيرهما مما هو متوفر في العرياء. وليس لدينا ما يدل على أنها كانت تلبس ثياب قصيرة يظهر منها أعلى الساق أو أعلى الذراع. والزبي المشترك لنساء الشرق القديم، عدا المعاصر البدائية، يكون في العادة طويل وفضفاض لا يتقسم على الجسد. لكن الأقدام وقسم من الساعد كانت تظهر عاطلة أو محلاة. وقد استمرت المرأة على هذا الزي بعد الإسلام حتى السنوات المبكرة من الهجرة إلى المدينة. ثم جاء الأمر بالحجاب.

فرض الحجاب بآيتين: الأولى هي الآية ٣١/نور. "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ماظهر منها. وليضربن بخمرهن على جيوبهن".

في هذه الآية أمر بستر الصدر يؤديه قوله: وليضربن بخمرهن (جمع خمار) على جيوبهن. والجيب قديماً هو الزيت الذي ينكشف عن الصدر. والمقصود هو إسدال الخمار الذي يغطي الشعر على الصدر حتى يغطيه. أما الاستثناء الذي تضمنته الآية فيما يخص الزينة فيتعلق بما يسمح بإظهاره منها. والزينة يدخل في عدادها الحلي

والزواقة. وكانت الحلبي هي الأساور والقلائد والخواتم والخلاخيل. أما الزواقة فللوجه. والستر لا يختص بالحلي بل بمواضعها، ويمكن للقلادة أن تدلى فوق الثياب الساترة للصدر. لكن الأساور والخلاخيل والخواتم إنما تلبس فوق الأجزاء العارية. وفي غزلية لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير تحدث عن مشي النساء بخلاخيلهن وأنه تطلع إليهن عسى أن يرى حبيبته بخلخالها أو قلاقتها. ولا يشمل الستر زينة الوجه. وأورد الغزالي في إحياء علوم الدين - كتاب آداب النكاح - مأثور يقول أن أحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وأحب طيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه.

الثانية الآية ٥٩/أحزاب ونصها: "يأبها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين." ويتفق المفسرون على أنها جاءت بعد حوادث تعرضت فيها النساء الحرائر لمضايقات الشباب في المدينة. وكان هؤلاء يلاحقون الجوّاري (الإماء) لكن عدم اختلافهن في الزي عرّض الحرائر للتحرش مع الجوّاري فاشتكت الحرائر إلى أهلبيهن فجاءت الآية تأمرهن بحجاب إضافي يميزهن عن الإماء. وهذا ما صرحت به الآية "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين" وكانت وسيلة القرآن إلى ذلك هي "إدناء الجلابيب".

وبين المفسرين كما اللغويين خلاف حول معنى الجلابيب فقد فسروه بالخمّار أو الملحفة أو القناع أو الثوب الذي يستر البدن من أعلاه إلى أسفله، أو ثوب أوسع من الخمّار ودون الرداء أو كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها. واختار القرطبي في "أحكام القرآن" أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. ولاختياره شاهد في قول المتنبي عن البدويات "حمر الحلبي والمطايا والجلابيب" فقد أراد الملابس لا مجرد الخمّار أو الرداء. وهذا المعنى هو المعروف اليوم في صبغة "جلاية" وهي ثوب فضفاض طويل تلبسه المرأة أو الرجل في شتّى البلدان العربية. على أن المفسرين والفقهاء أخذوا الآية على أنها أمر بستر الوجه كعلامة تميز الحرة عن الجارية، وبهذا التفسير تكون الآية ٥٩/أحزاب ناسخة للآية ٣١/نور، غير أن التفاسير لم تنص على ذلك. ومن متابعة أقوال المفسرين نراهم عند تفسير الآية الأولى يتحدثون عن كشف الوجه وحين يتناولون الآية الثانية يتحدثون عن ستره دون أن يلتفتوا إلى التعارض بين التفسيرين. وهذه مشكلة صعبة الحل ومنشأها تلك العبارة العائمة في الآية الثانية "يدنين عليهن من جلابيهن" لكن في الآية شيء واضح محدد هو التعليل الذي أعطته للأمر بإدناء الجلابيب. وسنعود إليه بعد قليل. ونشير هنا إلى أن حجاب الوجه فرض على النساء

في غضون العصر العباسي بقدر ما يخص الحرائر. أما قبل ذلك أي في القرنين السابقين فالروايات متضاربة. وقد أشارت بعض مصادر التفسير إلى أن نساء المدينة حجبن وجوههن بعد الآية ٥٩/أحزاب. وعليها اعتمد المتشددون من الفقهاء في حجاب الوجه. لكن مصادر الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام والأوان الأموي تفيد أن النساء كن سافرات الوجوه حتى في الطواف حول الكعبة وهو ماصير الحج موسم للحب جعل عمر بن أبي ربيعة يقول:

ليت ذا الحج كان حتماً علينا كل شهرين حجة واعتمارا

ولابد على أي حال أن تكون الآية ٥٩/أحزاب قد أمرت بحجاب إضافي للحرائر لانهرفه بالضبط. وتقول التفاسير أن الإمام كن - شأن الجاهليات - يكتفين بالخمار للرأس والدرع للصدر. والمتفق عليه أن الجواري غير مشمولات بحكم الحجاب. وتخبرنا مصادر التفسير أن عمر بن الخطاب كان يتشدد في منعهن من التحجب، كما تردنا رواية لابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أمر أن لاتلبس أمة خماراً ولايتشبهن بالحرائر - ترجمته في الطبقات - ويفهم من هذا أن الجواري كن يتطوعن أحياناً للتحجب تشبهاً بالحرائر (مما يقع عادة لدى الفئات السفلى التي تنزع لتقليد الفئات العليا بتأثير وهم التحضر)*. والعلة في تشدد العمرين في هذا الشأن هي ضبط سلوك الحرائر مع صيانتهم من الاعتداء لأن الجواري كن منفصلات لعدم انتسابهن إلى عوائل. لكن هذا التمييز في الحجاب له سابقات في الحضارات السامية الأقدم. فقد ألزم القانون الآشوري الحرائر بحجاب يشمل الرأس عند الخروج من بيوتهن ومنع الجواري من ذلك. ولأعرف العلة فيه وماإذا كان قد أريد بها نفس الغاية التي توخاها المشرع السامي اللاحق.

كذلك يمكن الاستنتاج من حكم الآية ٥٩/أحزاب أن الحجاب لم يفرض للتحرز

* كانت نساء بغداد في الجيل الماضي يتبرقعن بالبرقع الفارسي المسمى (بوشي) وكانت نساء ريف العاصمة المسمى كراة (فتح الكاف وتشديد الراء) لايتبرقعن على ديدن نساء الفلاحين والبدو. لكن الموسرات من نساء الكراة كن يقلدن نساء بغداد فيلبسن البوشي. وهذا للإشعار بأنهن قطعن خطوة نحو التحضر يتقدمن بها على أقرانهن الفقيرات. ويخضع هذا التصرف لذات الدافع النفسجتماعي الذي يكمن وراء تشبه الجواري في الحجاب، رغم أن منطق التحرر وبالتالي منطق التمدن هو في هذه المسألة مع الجواري لامع الحرائر ومع الكراديات لامع البغداديات.

من فتنه النساء للرجال فمصدر الفتنة هو الجوّاري في المقام الأول لأنهن في الغالب أجمل من الحرائر وأقدر منهن على التلاعب بعقول الرجال. إن هذا ما جعل المفسر الأندلسي أبو حيان صاحب "البحر المحيط" يخالف زملاءه المفسرين فيقول بعموم الحجاب للحرّة والأمة. وقال أن الفتنة بالإماء أكثر. لكن تفسير أبو حيان هو بمثابة اجتهاد في موضع النص، الذي تضمن تعليل صريح للحكم يحصره في تمييز الحرائر عن الجوّاري. كما أنه متعارض مع تطبيقات الآية في صدر الإسلام. ولو أن الغرض كان درء الفتنة لكان الأمر بالتحجب عاماً، بل ولكان المتوقع أن يتشدد المشرع في حجب الجوّاري ويتساهل في الحرائر.

إن الخوف من الفتنة هو الاعتبار الذي راعته الآية ٣١/نور في نهيهما عن إبداء الزينة - التبرج في اصطلاح القرآن - وأمرها بستر الشعر والصدر. وهذه الآية هي آية الحجاب الأصلية وفيها تتعين حدوده غير المقيدة بوضع أو زمن لأنها صدرت عن التحسس ضد الإغراء لدى المشرع الإسلامي. وهي لم تضيف الكثير على الزيّ الجاهلي سوى ستر الصدر وزيادة الحشمة بعدم إظهار مفاتن الجسد.

وقد استثنيت من قيود الآية فئة من النساء ذكرت في آية لاحقة من نفس السورة رقمها ٦٠ وهذا نصها: "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فلاجتاح عليهن أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة. وإن يستعففن خير لهن - الجناح بالضم هو الإثم والخرج. والقواعد في الآية هن النساء اللواتي بلغن سن اليأس ومافي حكمه مما يوقف حاجة المرأة إلى الرجل، ولا يجعل حالها من جهة أخرى مثير لشهوته. والآية تنص على إعفاء هذه الفئة من النساء من القيود التي فرضت عليهن في الآية السابقة. وهو قول المفسرين في مجموعهم. ويستفاد من هذا الاستثناء أن الآية الأصلية مختصة بالنساء في سن معينة هي التي يكن فيها مستعدات أو قابلات للعلاقة الجنسية - بينما يستدل من الآية الأخيرة جواز خروج المرأة التي تعدت هذا السن حاسرة سافرة.

لم يلتفت الفقهاء، مع أخذنا بتفسيرهم للآية ٥٩/أحزاب أي أنها أمر بحجاب الوجه، إلى أن حكمها موقوف لكونه متوقف على وجود الجوّاري. كذلك لم يطبق حكم الآية ٦٠/نور فيما يخص القواعد من النساء فعاشت المرأة المسلمة تحت الحجاب من صباها حتى شيخوختها. ويصطدم التعامل مع الأولى باعتبارين: افتراض أبدية الأحكام الشرعية استناداً إلى حديث يقول أن حلال محمد حلال إلى يوم

القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وكون الخطاب الإلهي قد انطلق من قرار آخر إلهي أيضاً هو الوجود الأبدي للرق. ومن الملحوظ هنا أن المجتمعات المتأدلجة تزداد انغلاقاً مع ترسخ سلطتها السياسية القائمة على العقيدة. ومن غير أن نهمل الخروقات التي تقوم بها الهرطقة تحت مؤثرات النمو الثقافي والمدني فإن فعل الدوغما غالباً مايتضخم في هذه المجتمعات حتى على حساب النص المقدس. ولقد أهمل توجيه محمدي هام بعدم الغلو في الدين فكانت القيود والتحريمات تتضخم مع انحسار رقعة الفكر الإسلامي وانطفاء العقلانية الكلامية والفلسفية تاركة مساحات متزايدة تنشط فيها العقيدة. ومر بنا أن اجتهادات في موضع النص صدر عنها فقهاء ومفكرون لصالح تسويئ الآثار السلبية للأحكام وكان يمكن أن تخدم هذه الهرطقات الفقهية مصالح التطور نحو الأفضل، فبدلاً من أن يحكم فقيه بمنع النساء من الخروج إلى المسجد خلافاً لتعاليم نبيه كان سيفتي بتقليص عدد الزوجات إلى واحدة بعد أن قلصها أسلافه إلى أربعة.. وهو في كلتا الحالتين يرتكب مخالفة للأصول مجتهداً في موضع النص. يمكن أن نسجل في هذا المقام بعض المفارقة في التعامل مع الشريعة والعقيدة. فبينما تقضي مصالح التطور بإعادة النظر في أحكام الشريعة -أي شريعة- لاستبعاد مالم يعد ملائماً للظروف المستجدة، يصار إلى استبعاد أحكام فيها ملائمة لتلك الظروف لأن نمو العقيدة وترسخها يقضي بزيادة التحريمات. وهذه نزعة شاملة تقع في المجتمعات المتأدلجة من دينية ودنيوية.

حكم المضيّفة ...

المضيّفة عند المعاصرين هي التي تتولى تضييف الناس في موقع ما: واسطة نقل بعيد أو فندق أو مطعم. وهو اسمها الذي يجب أن تتحلّى به بدلاً من خادمة أو نادلة وبه يجب أن يسمى زميلها المضيّف بدلاً من خادم أو نادل أو جرسون. يلفظها الناس بتشديد الياء وهو لفظها في القرآن: "فأبوا أن يضيّفوهما".

أخرج البخاري في كتاب النكاح من صحيحه، الباب السابع والسبعين مايلي: "لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي وأصحابه، فما صنع لهم طعاماً ولاقربه إليهم إلا امرأته أم أسيد. وبلّت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي من الطعام أمأته له فسقته تحفه بذلك"

وفي رواية ثانية جاءت متممة لهذه الرواية: "كانت امرأته يومئذ خادمهم.. انقعت تمرات من الليل فسقته إياها" أي النبي.

ورد الحديث بروايته في باب: "جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". وفي هذا العنوان وفي أسلوب عرض الروایتين مايدل على أنه كان موضع خلاف: "فما صنع لهم طعاماً ولاقربه إليهم إلا امرأته" ويمكن أن نستدل منه أن المسلمين في زمن لاحق لم يهضموا هذا الشكل من العلاقة بين الرجال والنساء فتماروا فيها فجاءت هذه الرواية لتضع حد للخلاف حولها.

وفي هذا المساق كتب محقق جديد من رجال الدين لصحيح البخاري تعليق جاء فيه: أولاً إن ذلك كان قبل أن يفرض الحجاب، وإذ لم يجد دليل في مصادره يؤكد قوله هذا استدرك قائلاً: "على أنه ليس في مجموع طرق الحديث مايدل أنها

جلست معهم أو اظهرت لهم الزينة أو مواضعها، وعليه فلا إشكال ولا ممسك لذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة في مثل هذه الحوادث إذ لا يمتنع دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم إذا كانت هناك حاجة وكانت محتاجة بالحجاب الذي افترضه الله عز وجل".

إن الشيخ المحقق يقف حائراً أمام هذا الحديث بعد أن رأى خطره على ثوابت في فقه النساء فجاء تعليقه مضطرب متناقض، يقول أولاً أن هذا كان قبل فرض الحجاب ثم يعود فيقول أن دخول المرأة مجالس الرجال غير محرم إذا كانت متحجبة. واقتراضه الأول يعني أن أم أسيد خدمت ضيوفها وهي سافرة أما الثاني فيفترض أن الحدث يحتفظ بدلالته على جواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم. واشترطه التحجب تدخل منه في مجرى الحدث إذ لم تنص رواية البخاري أنها كانت سافرة أو متحجبة. ينضاف إليه أن قول الشيخ بجواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم هو فتوى له مستندة إلى الحديث رغم تطهيره منه. ومضمون الفتوى بين في عنوان الرواية: "جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". أما اشتراطه الحجاب عند الخدمة فغير وارد صراحة في قصة أم أسيد. ومن المفروض على أي حال أنها لم تكن متخلعة كما لم تظهر من زينتها ما يصل بها إلى التبرج المحرم. وفيما يخص آية الحجاب الثانية كما فهمها الفقهاء فإن أم أسيد غير مشمولة به لأن الغرض من الآية اتخاذ علامة تميز الحرة عن الجارية في الطرق والأسواق، وأم أسيد كانت في بيتها ويعرف ضيوفها أنها حرة فلم تكن بها حاجة إلى علامة تميزها من جهة الأمر الشرعي وإنما المطلوب هو أن تكون محتشمة الهيئة. وهذه الحشمة هي ما تشترك فيه حضارات الشرق والأديان السماوية الثلاثة. وهي أيضاً ما تتبعته المجتمعات الشيوعية الحديثة قبل انحلالها فقد كانت المرأة السوفييتية حتى نهاية عهد ستالين والمرأة الصينية حتى عام ١٩٧٩ محتشمة في ملابسها لا ترتدي الثياب القصيرة ولا الكيمونو ولا تنسرف في إظهار زينتها أثناء العمل. وسن فصل ذلك في القسم الأخير من المؤلف.. والمشكلة التي تواجهنا في هكذا أمور هي العقيدة وآلية تقويتها بالمزيد من القيود والتحريمات إلى الحد الذي يجعل المؤمنين الخالص يفزعون من بعض نصوص الكتاب والسنة كما يفزعون من كلام المارقين والزنادقة فيسرعون إلى تأويلها لتلا تخريجهم عن يقينهم.

أسماء نسوية

ألف المؤرخ السوري عمر رضا كخالة معجم "أعلام النساء" ضمنه ماوصل إليه استقصاؤه من الشخصيات النسوية في العصر الاسلامي وما بعده ويقع في خمس مجلدات تعطينا مراجعتها فكرة عن دور المرأة المسلمة في حياة عصرها. والدور صغير كما هو في كل زمان ومكان قبل العصر الحديث الذي شهد زيادة كبيرة في مساهمات المرأة التي بقيت مع ذلك صغيرة بالقياس إلى الرجال قبل أن تقفز إلى أرقام قياسية جديدة في المجتمعات الشيوعية المجهضة كما سيأتي لاحقاً. وهذه قائمة أولية بأسماء نساء كان لهن شأن في عصور الإسلام وفيها بعض مافات المرحوم عمر كخالة...

١ - في معركة اليرموك نظم خالد بن الوليد النساء في صفوف وراء المقاتلين وسلحهن بالسيوف وأمرهن أن يقتلن أي هارب من المعركة. وكان أبو سفيان حاضر في الموقع فخفف الأمر وقال لهن: "من رأيتنه هارباً فاضربنه بالحجارة والعصي حتى يرجع". وأبو سفيان رجل سياسة وخالد رجل حرب. والذي حمل على هذا الإجراء هو قلة المقاتلين المسلمين بالقياس إلى البيزنطيين (نسبة ٣/١). وقامت النساء بما طلب منهن حسب توجيه أبو سفيان فاستعملن الحجارة والعصي لرد الهارين إلى الجبهة. وشارك بعضهن في القتال بالسيوف التي سلحهن بها خالد وقتلن الكثير من جنود البيزنطيين المتفهمين.

٢ - كان أشهر الخطباء المحرضين في معسكر العراقيين بمعركة صفين من النساء. ووردتنا نصوص من الخطب النارية التي ألقينها يوم ذاك في كتاب "بلاغات النساء" لأحمد طيفور، من معاصري المأمون. والكتاب مصدر هام وقديم جداً لنشاط المرأة

في صدر الإسلام. ويفتقر إلى طبعة شعبية محققة ومشروحة ليكون في متناول عامة القراء. وآمل أن تنهض امرأة مابهذه المهمة فالكتاب يعدد مآثرهن وبطولاتهن.

٣ - ينفرد الخوارج بكثرة النساء في صفوفهم. وكن يشارن القتال ويقعن في الأسر. وكان زياد وابنه عبيد الله والحجاج يقتلون الأسيرات الخارجيات على خلاف التقاليد العربية التي تمنع قتل المرأة لأي سبب. وأظهروا من البطولة في ساعة القتل ما يثير العجب إذا صدر من الرجال. ولم يردنا الكثير من أسمائهن سوى أم حكيم زوجة قطري بن الفُجاءة وغزالة زوجة شبيب أو أمه أو كلاتهما. وشبيب قد يكون أعظم بطل أنجبه تاريخ الإسلام وكانت غزالة في مستوى عظمتها بالتمام. وإليها يشير شاعر من صنائع الأمويين:

اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولاً قميظاً (تام)
غزالة في مئنتي فارس تلاقى العراقان منها الببطيطا
يريد بالعراقان جنود الدولة في العراقين والعراقين هما البصرة والكوفة. وقال آخر
يعير الحجاج بهروبه منها:

هلا برزت إلى غزالة في الوغى أم كان قلبك في جناحي طائر؟
٤ - كشف المؤرخون عن أسماء نساء مجهولات تولين إدارة التنظيم السري للشيعية في أوائل الأمويين منهن: هند الناعطية وكان بيتها وكر للشيعية في البصرة ولبلى المزنبة مثلها. وكان لليلي أخ يدعى رفاعه على نهجها إلا أنه معتدل فكانت لانتجبه بسبب اعتداله.

٥ - الضريح المسمى باسم السيدة زينب في ضواحي دمشق ليس لها على وجه التحقيق. زينب امرأة مجهولة المصير لا يدري أحد أين ماتت ومتى. كانت قد استوعبت الدور الذي رسمه لها أخوها الحسين في كربلاء وتمكنت من إنقاذ ابنه الوحيد الذي بقي حياً بعد المعركة. وكان قد تعرض للقتل مرتين واحدة على يد والي الكوفة عبيد الله بن زياد والثانية على يد الخليفة الأموي في الشام. وهي التي اضطرت الخليفة إلى لقلفة القضية والإسراع بإعادة الأسرى إلى الحجاز بتأثير الدعاية التي قامت بها في دمشق. وبعد عودتها إلى المدينة تصدرت حملة التشهير بالأمويين. ثم أنها اختفت فلم يعرف لها مصير. وينبغي أن يكون الأمويون اختطفوها إذ لم يجرؤوا على اعتقالها علناً وجرت تصفيتاها من ثم ودفنت في مكان مجهول. ومصير

هذه المرأة من الأحداث الغامضة في تاريخ الإسلام. أما ضريح السيدة الدمشقي فينسبه ابن عساكر مؤرخ دمشق إلى أختها الصغرى وكان اسمها زينب أيضاً. ولم يكن لها شأن يذكر في الأحداث. وقد اخترع الفاطميون ضريح ثاني لزينب الكبرى وأقاموا عليه المسجد الكبير الذي هو الآن من معالم القاهرة. وهو ضريح بلا مضروح.

٦ - كانت لنساء البلاط العباسي والأندلسي وبلاطات السلاطين فيما بعد أدوار سلبية هي الأدوار المعتادة لنساء البلاط في أي مكان لاسيما في أوانات تفكك الأسر الحاكمة وفساد الدول. وبرزت من نساء العباسيين قبيحة أم المقتدر وقهرمانتها تَمَلِّي التي تولت النظر في المظالم برصافة بغداد وكان يحضر مجلسها القضاة والفقهاء. وهذه المرأة وسيدتها ومن على شاكلتها يتقن من فنون الكيد والتآمر أكثر مما يعرفن من أمور السياسة. وهن من مظاهر الفساد اللازمة عن فساد الدولة. ولاشك أن القضاة والفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلسها هم موظفو دار الخلافة وليس الرواد العظام للفقهاء والقضاة.

٧ - مع ازدهار واتساع الحركة الثقافية كان لابد من موقع للمرأة. وهنا لانعثر لها على موقع في النشاط الكلامي والفلسفي. ونعثر على طيبة واحدة فقط في معجم ابن أبي أصيبعة الضخم عن أطباء اليونان والسريان والإسلام. وعلى مساهمات في الأدب والشعر ولكن من غير أن نظهر على شاعرة كبيرة كالخنساء. لكننا نقف على مساهمات جلييلة في الفقه والحديث والتاريخ فنقرأ أن من بين شيوخ ابن عساكر ثمانين امرأة. وابن عساكر أحد كبار مؤرخي الإسلام في جميع العصور وكتابه الأُرأس "تاريخ دمشق" من الأمهات. ونقرأ عن المؤرخ البغدادي ابن النجار في القرن السابع أنه تخرج على ثلاثة آلاف شيخ بينهم أربعمئة امرأة.

وكان لها حضور في التصوف. ورابعة العدوية من الأقطاب. وفي مراجع الصوفية أخبار عنهن تدل على انتشار التصوف بينهن، ويدعو مع هذا أن القليل منهن بلغ القطبانية.. وقلما نعثر في كتب طبقات الصوفية على اسم بوزن رابعة. وفي أخبار أبو يزيد البسطامي أن امرأة تنازلت عن مهرها لزوجها لقاء إيصالها إليه وكان الرجل من عامة الناس وزوجته تنزع إلى التصوف فلما رأت البسطامي وجلست إليه أَلقت الحجاب وسمعت منه وسمع منها فلما انتهى اللقاء قال لزوجها: "خذ الفتوة

من امرأتك"

ونرصد مايلي من الصفحات بأسماء للمشاهير منهن انتقيناها من البداية والنهاية لابن كثير وهن في الغالب من نساء الفقه والحديث.

- أم عيسى بنت ابراهيم الحربي عالمة فاضلة تفتي في الفقه توفيت عام ٣٢٨هـ. وإبراهيم الحربي نسبة إلى قطرة حرب من محلات بغداد الإسلامية لغوي وفقيه من الأبحار أجاع نفسه وزوجته وبناته لرفضه القبض من الخليفة. بعث إليه المعتضد ألف دينار لما بلغه الخبر عن جوعه فلم يقبلها فأعاد عليه الكرة فأبلغه: "إن كنت لاترغب في جوارنا رحلنا عنك" فأمسك..

- ابنة الشيخ أبي الزاهد المكي كانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة وكانت تقعات من كسب أيها من عمل الخوص في كل سنة ثلاثين درهماً يرسلها إليها فاتفق مرة أن أرسلها مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً فلما اختبرتها قالت: هل وضعت في هذه الدراهم شيئاً من مالك؟ أضدقني بحق الذي حججت إليه. فقال: نعم عشرين درهماً. فقالت ارجع بها لاجابة لي فيها ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك. فقال خذي منها الثلاثين التي أرسل بها أبوك ودعي العشرين فقالت: لأنها اختلطت بمالك ولأدري ماهو: (تقصد لأدري من أين كسبت هذا المال).

ملحوظة: الأدلجة الروحية للدين، أي دين، تفرز معادلات اجتماعية من هذا النمط. ومع أن أهل الدين يريدون سعادة الدارين فإن الطاقة الروحية التي تخلقها الأدلجة قد تفعل فعلها في تجريد موضوعها من اللذائذ الدينية.. امرأة ترجع إلى أصول دينية مغلقة تنشئ لها علاقة روحية مع السماء فترتقي في مدارج التجرد إلى حد الاستغناء المطلق عن الرخص الشرعية.

- ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله المحاملي أم عبد الواحد، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والنحو وغير ذلك. وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة. وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة إلى فعل الخيرات. توفيت عن بضعة وتسعين عام ٣٧٦هـ.

- أم السلامة بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل فقيهة محدثة، حدث عنها

الأزهري والتنوخي وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم (٣٩٠هـ).

. خديجة بنت موسى الواعظة وتعرف بينت البقال وتكنى أم سلمة. كانت فقيرة صالحة فاضلة كتب عنها الخطيب (البغدادى مؤلف تاريخ بغداد)

. كريمة بنت أحمد قرأ عليها الخطيب صحيح البخاري في خمسة أيام. (الغرض من القراءة ضبط نصوص الكتاب وشرح مبهمات)

. المروزية (لم يذكر اسمها) كانت عالمة صالحة سمعت صحيح البخاري على الكشميهني وقرأ عليها الائمة كالخطيب وأبي مظفر السمعاني وغيرهم.

. فاطمة بنت علي (بنت الأقرع) كانت تكتب على طريقة ابن البواب ويكتب الناس عليها. وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم وكتبت مرة إلى عميد الدولة الكندي رقعة فأعطاه ألف دينار (٤٨٠هـ)

/خطاطة على طريقة ابن البواب أشهر خطاطي العصر العباسي. والهدنة التي كتبتها بخط يدها هي اتفاقية لوقف القتال مع البيزنطيين. وكانت مثل هذه الاتفاقيات تعقد بين الحين والآخر لإقرار هدنة مؤقتة وتبادل الأسرى./

. فاطمة بنت الحسين بن فضلويه سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما وكانت واعظة لها رباط تجمع فيه الزاهدات. وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره.

. الشيخة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم زوجة النجم بن اسرائيل كانت من بيت الفقر لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام في طريقة الحريرية وغيرهم /يشير إلى تصوفها/ حضر جنازتها خلق كثير سنة ٦٨٨هـ.

. فاطمة بنت عباس أم زينب البغدادية من أهل القاهرة كانت من العائلات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم على الأحمدية^(*) في مواخاتهم النساء والمردان وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال. وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره. وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني (موسوعة فقه حنبلي) أو أكثره

* الاحمدية من فئات المتصوفة في دور الانحلال كانوا اباحيين.

وأنه كان يستعدلها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها....

ملحوظة: لا بد من سؤال عن سبب كثرة المشتغلات في علوم الدين من النساء وقتلتهن في الفروع الأخرى وأجيب أن المرأة هنا لاتواجه معوقات إذ لايجرأ أحد على منعها من قراءة القرآن والحديث وهي إذا أتمت ذلك أمكنها التوجه لدراسة الفقه وقد يحدث لها ميل إلى التصرف فتأخذ بطرف منه قليل أو كثير. وإذا تفقعت يعسر عندئذ منعها من الاجتماع إلى الرجال أو اجتماع الرجال إليها. وكانت هذه طريقة ميسورة لمساهمة المرأة المسلمة في الحياة العامة. ولايحسب القارئ أنني أتحدث عن كيدهن فهذا من تسويلات النفس الباطنة حين تقفل عليها أسباب الحركة فتلتمس لها منافذ. والعلة عندي أن المرأة في الحضارات الأبوية تكون أميل إلى الدين والغيبيات فرجما وجدت المرأة المسلمة تحقق كينونتها في الفقه والحديث أكثر مما في الطب والعلوم الدنيوية الصرفة. وهي على أي حال قد أظهرت كما يتبين من هذه الأمثولات قدرتها على مضاهاة الرجال في مجالات محتكرة لهم وتقدمتهم حين فرضت عليهم التلمذة لها.

ابن رشد والمرأة

تحدث ابن رشد عن المرأة في "جوامع سياسة أفلاطون" وهو من كتبه المفقود أصلها العربي ووصلنا عنه تلخيص لارنست رينان في كتابه "ابن رشد والرشدية". ورأيه في المرأة هو رأي المعاصرين من غلاة أنصارها ونقته بنصه كما أورده رينان مترجماً عن اللاتينية إلى الفرنسية وترجمة عادل زعير إلى العربية في لغة ليست قريبة من لغة ابن رشد وحاولت تقريبها جهد الإمكان بالتصرف في عبارات المترجمين:

"تختلف النساء عن الرجال في الدرجة لافي الطبع. وهن أهل لفعل جميع مايفعل الرجال من حرب وفلسفة ونحوهما ولكن على درجة دون درجتهم، ويفقنهم في بعض الأحيان كما في الموسيقى، وذلك مع ان كمال هذه الصناعة هو بالتلحين من رجل والغناء من امرأة ويدل مثال بعض الدول في افريقيا على استعدادهن الشديد للحرب. وليس من الممتنع وصولهن إلى الحكم في الجمهورية (يشير إلى جمهورية افلاطون) اولا يرى ان إناث الكلاب تحرس القطيع كما تحرسه الذكور؟"

. كتاب جوامع سياسة أفلاطون هو تعليق ابن رشد على جمهورية أفلاطون ثبت فيه أفكاره الخاصة به كما كان يفعل دائماً في شروحه على أرسطو. وهو في حديثه عن المرأة يخالف أساتذته اليونان والمسلمين معاً فينكر الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة ويساويها مع الرجل في الكفاءات الذهنية والعملية. ويرى أن وصول المرأة إلى رئاسة الدولة هو من الأمور الطبيعية الممكنة. وفي هذا رد على حديث "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة". ولاتقل كفاءة المرأة عن الرجل حتى في الحروب. على أن المثال الذي يشير إليه من بعض الدول الأفريقية مبهم وهناك تصرف في الترجمة بخصوص

الكلام على الدول الأفريقية فهذا الإسم كان يطلق على جزء من بلاد المغرب يحوم حول تونس ولم يكن التقسيم إلى قارات متبع عند الجغرافيين. ويتخذ ابن رشد من حالة إناث الكلاب دليل طبيعي على صلوح المرأة للرئاسة، والطبيعة عنده تعمل بقانون واحد في الحيوان والإنسان ويتطابق فعلها فيما يخص هذه المسألة من جهة أن الأنوثة ظاهرة طبيعية تفعل في نطاق مجتمعي.

الزوجة النموذجية عند العربي النموذجي

نقل الشريف المرتضى في أماليه عن خالد بن صفوان وصفاً للمرأة التي يريد لها زوجة له. وخالد بن صفوان من ارسطراطي البصرة ، مدينة التجارة والأرستقراطية في زمنه. وعرف بأدب ثر ولسان طليق وكان يجمع تقاليد البداوة إلى مستلزمات الحضارة فيتكلم بلسان أعرابي فطن يرجع إلى أصالة بدوية صلبة لكنها تتجلى من خلال شخصية متنفذ مدني كثير المال واسع النفوذ. ووصفه للزوجة النموذجية مشترك مع التصورات العربية المتجذرة في الجاهلية والمتبلورة في الإسلام عن النساء كزوجات:

١- أريد بكرةً كتيباً وثيباً كبكر:

- تجمع بين محاسن العذراء وعقل المرأة المجربة

٢- لا ضرعاً صغيرة ولا مسنة كبيرة:

- لا صغيرة السن ضاوية الجسد ضئيلة ولا تجاوزت سن الشباب فترملت وتضخمت.

٣ - لم تقرأ فتجن ولم تنفث فتمجن:

ليست من القراء. والقراء هم قراء القرآن وناسخوه وحفاظه. لزمهم هذا الاسم حتى أوائل العصر العباسي وكانوا بمثابة رجال الدين لذلك الوقت. وتردنا وصفات سلبية لهم تطابق سلوكياتهم مع المعروف عن سلوكيات رجال الدين. ويجعل خالد بن صفوان من صفاتهم الجبن ويضعهم كنفيز للفتيان العيارين. والتفتي هو سلوك طريق الفتان في المجون والشقاوة والسطو. وينسب إلى سفيان الثوري، معاصر لخالد بن صفوان،

من لم يتفتّ لم يحسن يتقرا" يدعو إلى المرور بطور الفتیان والتحلي بصفاتهم قبل الانتقال إلى قراءة القرآن؟ وغرضه ان الفتیان اقرب إلى المثل الجاهلية والإسلامية من رجال الدين الخالص فهو يدعو من يريد ان يكون رجل دين جيد ان ينسلك أولاً في سلك الفتیان العيارين. والزوجة التي يريدھا خالد وسط بين هذين.

٤ - قد نشأت في نعمة وأدرکتھا خصاصة فأدبھا الغنى وأذلھا الفقر:

نشأت في عائلة موسرة منعمة فتهذبت بالترف ونعومة العيش ثم مرت بفترة فقر وفاقة (خصاصة) فتروضت اخلاقها ونخلصت من عجرفة الأغنياء.

٥ - حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد مليحة من قريب:

يميل العرب إلى المرأة الممتلئة الردفين والفخذين والضامرة البطن كما يرمز لهما الجواهري في هذا البيت:

وقد جُنْ وزكك من غيظه سمينٌ يناهضه اعجفُ

مع حسن الوجه ووضاءته.

٦ - لاترفع رأسها إلى السماء نظراً ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً:

منسوقة الشخصية لاتحديق في السماء تحديق المتكبر المغرور او الخفيف العقل ولا تطأطئ كالذليل. ولعله اراد ايضاً اعتدال مطالبها.

خلاصة

تقدم المجتمع الجاهلي في طوره الأخير نحو النظام الأبوي الذكوري مع تقلص رقعة الاقتصاد المشاعي أمام زحف الاقتصاد التجاري والملكية الفردية للقيعان والقطعان، وأخذت مكانة المرأة الجاهلية تتراجع فتفقد الكثير من حقوقها أمام الرجل الذي أخذ يحكم طوق القيمومة عليها. ولقيام الجاهلية على العرف دون القانون كانت العلاقة بين الرجل والمرأة عشوائية وخاضعة لتقلبات المزاج ومقدرة كل منهما في أي ظرف. لكن المرأة الجاهلية حافظت على حريتها الشخصية فلم تخضع لقيود تحد من نشاطها الاجتماعي أو تلزمها بالحجاب أو ملازمة المنزل. إن خطوة كهذه تفقد فيها المرأة حريتها سوف تترتب على نضج النظام الأبوي الذكوري واكتمال مقوماته السياسية والاجتماعية، وهو ما حصل في الثورة الإسلامية التي أقامت الدولة وأنشأت المجتمع الجديد وشرعت له قانون يسير بمقتضاه. والمجتمع الذي بناه الإسلام أبوي ذكوري شأن أي مجتمع متحضر يستند إلى اقتصاد الملكية الفردية وفيه اكتملت قيمومة الرجل على المرأة وشرعت بنص مكتوب. وفقدت المرأة ماتبقى لها من حرية جاهلية بإخضاعها لحكم الرجل وهو اثنان: أب (أوجد) أو زوج. ولم يسمح الشرع الإسلامي بولاية آخر عليها لكنها خضعت في الواقع الاجتماعي لولايات عديدة تمتد إلى أقارب الكلاله. ولم يأمرها الشرع مع ذلك بملازمة المنزل، والآية التي قالت "وقرن في بيوتكن" مخصوصة بزوجات النبي. لكنها خضعت لهذا القيد بدءاً من العصر العباسي. وأخضعت تصرفاتها للوضع الزوجي، فأعطاه بعض الفقهاء حقوق تصرف في مالها غير معلقة على إذن الزوج وعلقها آخرون بإذنه.

والشريعة الإسلامية لم تقنن في أحكام نهائية وإنما تركت للاجتهد فتعددت الأحكام واختلفت باختلاف المذاهب والفقهاء. وحرمت الخلافة على المرأة باشتراط الذكورية للخليفة. ولم يرد نص قاطع فيما هو دون منصب الرئاسة فاختلفوا بشأنه فمنع جمهورهم اشتغالها في القضاء وأجازها الطبري وصاحبه أبو ثور وقيده أبو حنيفة فيما تصح فيه شهادتها. وأجاز القليل منهم إمامتها في الصلاة للرجال ووافق عليه آخرون للنساء. ولا ترد تحريمات للوظائف الأخرى. وللمرأة مكان معترف به في الجيش والإدارة والحياة الاجتماعية. وكانت القيود على الشابة أكثر لفرط التطير عند عامة المسلمين من العلاقة الجنسية غير المشروعة، وأغفيت المرأة بعد سن الشباب أو التي تجاوزت سن الزواج من الحجاب فكان بمقدورها أن تختلط بالرجال وتساهم في الحياة الاجتماعية. وتسمى مثل هذه المرأة "بَزْزَة" وهي التي تبرز للرجال وتفرض احترامها عليهم لقوة شخصيتها.

نظر الإسلام إلى المرأة نظرة غيره في المجتمعات والمعاصر الأبوية فاعتبرها أنقص عقلاً من الرجل فجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد. قال ذلك ووقع في تناقض مع قوله بنصبه عدد من القديسات اصطفاهن على نساء العالمين. وهن مريم في القرآن ثم آسيا زوجة فرعون - حسب الإسرائيليات - وعائشة وفاطمة. وهاته القديسات لسن أعلى مقاماً من الأنبياء لكنهن أعلى مقاماً من رجال المسلمين.

ويتكامل مع ذكورية الإسلام جنسانية شريعته، القائمة من هذه الجهة على نفس الافتراض الأوربي في أولوية الغريزة الجنسية ومجاراتها دون اعتبار لإرادة الإنسان أو الوازع الديني والاجتماعي. وجعلتها الشيعة من خصوصيات رجالهم ففي "دعائم الإسلام" للنعمان الاسماعيلي عن محمد الباقر: "أن الله عز وجل نزع الشبق من نساءنا وجعله في رجالنا. وكذلك فعل بشيعتنا" ١٩٢/٢ .

في مقابل انتهاك حرية المرأة في الإسلام حصلت على حقوق لم تكن لها في الجاهلية فهناك أوشكت المرأة أن تؤول إلى سلعة يكون الرابح الوحيد فيها هو الولي من أب أو جد أو أخ أو عم أو ابن عم. ولم يجعل الإسلام ولاية على البنت لغير الأب أو الجد، وعلى الزوجة لغير الزوج. وبين لها حقوق لا يجوز للولي أن يتخطاها. وجعل مهرها ملكاً لها ومنع الاستيلاء عليه من الولي كما كان الحال في الجاهلية. وقد عمل بهذا الحكم في المدن لكن الأرياف والبوادي استمرت على العادة الجاهلية.

وحتى اليوم يستولي الأب على مهر ابنته في الريف العراقي. وكان الجاهليون يهنؤون من تولد له بنت إذا لم يكونوا من الواصلين بقولهم: "هنيئاً لك النافجة" أي أنك ستزوجها وتأخذ مهرها فينفج مالك أي يكثر. والهنيئاً لاتوجد اليوم في أريافنا لكن النافجة موجودة.

وحصلت البنت على نصيب في الميراث فأعطيت نصف حصة الذكر وحصلت الأم على ثمن الموروث. وكانت هذه خطوة متقدمة في زمانها بل وبقيت متقدمة حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الثورة البرجوازية بتعديل قوانين الميراث في أوروبا.

وأعاد الإسلام الاعتبار للأنتى بتحريمه الوأد والحث على استقبال ولادتها بنفس استقبالهم للذكر. ودعا إلى معاملتها في المنزل معاملة الذكر. والمرأة في الإسلام مخلوق سوي لاتلبسه الأشباح أو الشياطين وإنما وصفت في القرآن بقوة الكيد. وفيه بعض الوجهة فقد يكون الكيد لتعويض الضعف في العلاقة مع الرجال. وأعطيت أهلية التصرف في المال لكن بعض الفقهاء قيده باستئذان الزوج للمتروجة. ولم يرد قيد بخصوص الأيم (التي لازوج لها). والولاية كما بينا محصورة في ثلاثة الأب والجد والزوج فإن فقدوا فالولاية للدولة. والمرأة إذا تزوجت انحسرت الولاية عليها في الزوج فإن فقد الزوج كان لها أن تتصرف في مالها برأيها، وهذا عند من يقيد التصرف بإذن الزوج.

وامتلكت المرأة المسلمة حق الطلاق في شكل الخلع. وفرقه عن الطلاق وهو حق للرجل أن المطلقة تأخذ مهرها من المطلق والخالعة يسقط حقها في المهر. وتجاوز الخالعة لأي سبب يجعل المرأة تطلب الانفصال ولايجوز بغير سبب. ولايعتبر سبباً تغير قلبها عليه وطموحها إلى غيره. والطامحة أو الطمّاحة صفة المرأة التي تتغير على زوجها وتميل إلى غيره. ويقول العراقيون عن المرأة في هذه الحالة "طمحت رجلها" على تعدية الفعل وهو غير متعدي في الأصل، وتعطيه التعدية معنى مزدوج فكأنهم قالو: "تركت زوجها وطمحت إلى غيره". وهذه هي الحالة الوحيدة التي يجوز فيها أن تقسر المرأة على البقاء مع الزوج ويرفض طلبها الخالعة. وهو نفس الحكم الذي طبقه عمر بن الخطاب على الرجل الذي أتى يطلب الطلاق لأنه لايجب زوجته. وفيما عدا ذلك تقبل الخالعة. وفي مثال زوجة ثابت كان الطلب بسبب دمامة الزوج. وهناك حالة أخرى وهي أن يكون الزوج أبخر أي كرهه رائحة الفم فيجيز

بعض الفقهاء للزوجة أن تطلب الطلاق وليس الخلع.

وحصلت المرأة على الحق في قبول أو رفض المتقدم للزواج منها. وكانت في الجاهلية تقسر عليه من أي من ولاية أمرها المتعديين، مع اتفاق الجاهلية والإسلام في "الزواج المرتب". والحق متفق عليه شرعياً فيما يخص الثيب ومختلف عليه فيما يخص البكر الصغيرة. واتجه الإسلام أيضاً لضمان حق الزواج للمرأة وهو مبدأ شرقي يقابله في الغرب حق الجنس/ المشترك مع الإسلام فيما يخص الرجل. وحق الزواج مكفول بالتعاليم دون القوانين إذ لا مندوحة للقانون أن يرغم الرجال على الزواج. ولو أن في طريقة البابليين شيئاً من القانون. على أن الإسلام من جهة أخرى يجعل الزواج سنة والسنة أقل من الفرض وأكثر من الاختيار وكان من بين ما استجوب عليه عامر العنبري وأبو العلاء المعري عدم الزواج ويرى الظاهرية أن الزواج فرض وتاركه مع القدرة عليه آثم. وجعل الزواج سنة مشددة على هذا النحو يوفر من فرص الزواج للنساء ما لا يتوفر في حضارة أخرى لأنه يخفض حالات العزوبة، التي لم تكثر في العصر الإسلامي، ومعها بالتبعية قلة حالات العنوسة. سوى أن فرص الزواج للأرملة والمطلقة تضاءلت فيما بعد كما أخبرنا الجاحظ.

ونأتي إلى حق الجنس فنجد المسلمين يجعلون حاجة الرجل إلى الجنس أكثر من حاجة المرأة وكان من هنا توسيعهم فرص الجنس على الرجال إلى حدود تقرب من الإباحية: أربع زوجات وما لا حد له من الجواري. ومن شأن ذلك أن يضائل نصيب المرأة منه. ويذكر المعري في نقده للضرائية أن المرأة تحصل على ربع الرجل إذا كانت له أربع زوجات. ولم يذكر كم يبقى لها مع وجود السراري. على أن هذا لا يقع بالاستغراق وإنما يتحقق نموذجياً في أوساط الأغنياء وأهل الحكم دون عامة الرجال الذين غالباً ما يضطرونهم عدم توفر المال إلى الاكتفاء بواحدة أو اثنتين على الأكثر وهم بالطبع لا يمكنهم شراء الجواري^(*). ومن هنا يكثر الفساد في فئة الأشراف من الأغنياء والحكام وحواشيهم. ويعطينا كتاب الأغاني فكرة وافية عن فساد هذا الوسط بتغلغل مؤلفه إلى ما وراء ستار الديباج. وهذه حقيقة بكر القرآن في تشخيصها باعتباره الفساد/ في العائلة كما في الأرض/ من فعل المترفين. ولو أنه لم يراعي هذه الحقيقة في توسيعه حق الجنس للرجال.. وتحت التقاليد القبلية الجاهلية

* من تشنعات برجوازي المدن على أهل الريف أن الفلاح إذا حصل على مال زائد إما أن يتزوج به امرأة أخرى أو يشتري بندقية يقتل بها غيره! وهذا من باب كلمة حق يراد بها باطل.

كان التحسس من العلاقة المحرمة لدى النساء شديداً برغم اعتقادهم بأن الحاجة الجنسية للمرأة أضعف منها عند الرجل. ويروي الشيعة حديث نبوي ينهى عن تعليم النساء سورة يوسف (من لا يحضره الفقيه ١٣٣٦ - ١١) والحديث موضوع بلا شك. وهذه السورة أنكرها فريق من الخوارج وقالوا أنها قصة وليست سورة. ولاندري إن كان السبب هو نفسه الذي حمل على وضع هذا الحديث. والخوارج أكثر احتراماً للمرأة من سائر الفرق والمذاهب وقد خلطوها برجالهم فقاتلت معهم وشاركت في نضالهم السري، ويزعم ابن بطوطة أن أحد سلاطينهم في عُمان كان يبيح للفتاة إذا استأذنته أن تقيم علاقات مع رجل تختاره بلا زواج وأن أهلها لا يستطيعون منعها إذا حصلت على إذن السلطان. وهذه قد تكون من مبالغات ابن بطوطة لاسيما وأن سلاطين الخوارج لم يكونوا مستبدين وكان خلعهم ميسور من جانب أهل الحل والعقد فيهم إذا خرجوا على مبادئ الفرقة. وواضح من كلامه أن أمر السلطان مخالف لرأي أهلها مما يعني أن مجتمعهم لم يتواضع على ذلك فهو بدعة من السلطان وهذه تكفي لخلعه.

نذكر أخيراً أن المسلمين هم في طليعة الأمم القديمة التي أقرت تحديد النسل واستندوا فيه إلى مسوغات منها اقتصادي. وهم من استعملوا بعد الفراعنة الوسائل العلمية الآمنة لمنع الحمل. وجواز منع الحمل منصوص عليه في الحديث وتبناه الغزالي ودافع عنه ضد بعض رجال الدين الذين جروا في إنكاره على نهج مألوف في اكليروس الأديان الثلاثة. لكن الإسلام جرى على طريقة زميليه السماويين في منع الإجهاض، ولو أن وجود المجهضات في دساتير الأدوية الإسلامية يدل على أنه استعمل وإن في نطاق سري وضيق^(١).

إن الحقوق الهامة التي وفرها الإسلام للمرأة، مابقي منها نظري ومأخذ به فعلاً لا تنلم من أبويته الذكورية. والباعث عليها ليس الإقرار بمكانة المرأة في مجتمع الذكور بل هي من نتائج دخول قواعد العدل في التشريع. والإسلام كغيره من شرائع الشرق وحضاراته يستند إلى حساسية شديدة لمسألة العدل. لكن درجة حضور العدل في تفاصيل الشرائع تتوقف على مفاعيل الصراع الاجتماعي، وهو فرعان صراع طبقي وصراع جنسوي. ويكون حضوره أقوى في المعارضة لكن السلطة التي تنشأ بعد ثورة اجتماعية تتحسسه بقدر ما فيظهر على قراراتها وتشريعاتها. ويصدق هذا على سلطة الإسلام الأولى: سلطة

(١) من وسائل تحديد النسل عند افلاطون إباحة الشذوذ مع الزوجة وتشجيعه بين الذكور.

محمد وخلفائه الأقربين، وانعكس في الشريعة معروضة في نصوص الكتاب والسنة وسيرة محمد والخلفاء الثلاثة. وانعكاسه لم يكن مطلقاً على أي حال، سوى في سيرة وأفكار اثنين من المؤسسين أبو ذر وسلمان الفارسي (رؤزية) وهما غراران كبيران للشيوعية الآسيوية في قوامها المزيج شيوعية الأموال واحترام المرأة (اللاجنسوية) لكن تأثير هذين الصحابين في التشريع كان ضئيلاً.

لم يصلنا الكثير عن مجتمع القرامطة في السواد ولاعن دولتهم في شرق العرييا لأن النشاط الثقافي في هذين المطرحين كان شبه معدوم ولايسعنا بالتالي معرفة مكانة المرأة فيهما بالضبط. ويفترض على أي حال أن تكون لسابقة أبو ذر وسلمان أثر لانعرف مداه فهما من آباء الفرق الغالية في الإسلام. لكن خطوة كبيرة وحاسمة هي التي سجلها الدروز، من الفرع الإسماعيلي، بمنعهم للضرائرية ومساواتهم في الإرث بين الجنسين^(*). وتتوج الخطوة الدرزية ثورة الباطنية في هذا المنحى وهي ثورة مجهضة والدروز لايملكون الكثير من عناصرها فهم طائفة دينية كغيرها من الطوائف وإنما حملت بصمات حدث أكبر كانت هي في الصميم منه فكانت هذه الخطوة التي انحصرت مع خطورتها في دائرتها الطائفية الضيقة.

هل يسعنا اعتبار أبو العلاء المعري نصير المرأة الأكبر في الإسلام بعد أبو ذر وسلمان؟ المعري نفسه قلما يتجاوب معنا في هذا الاعتبار.. هو من حيث المزاج الفردي متبرم من المرأة لتبرمه من الجنس. وكان في انتقاله الصراع من طور المخلوقية إلى طور الخالقية يعافس حقائق الطبيعة التي تجعل الرجل يلهث وراء المرأة مثل الكلب وراء العظم.. ولاشك أنها كانت عنده من جبهات الصراع، الذي يقول عنه:

والعقل حارب تركيباً يجاهده فالعقل والطبع حتى الموت خصمان

والطبيعة عند المعري غلط كلها. والمرأة، كموضوع للجنس هي من هذا الغلط. وقد عبر بها البشرية جمعاء:

واشرف من ترى في الناس قدراً يعيش الدهر عبد فم وفرج

في إشارة مضمرة جاءته من عامر العنبري أول ناقد للأنبياء في الإسلام...

(*) جاءت أول إشارة ضد الضرائرية من المعز لدين الله الفاطمي حيث ينقل المقرئ في "أعاظ الخفاء" توجيهها للمعز إلى الفقهاء والشخصيات الدينية في مملكته بلزوم الزوجة الواحدة.

المعري إذن لا يحب المرأة ولا يسعنا اعتباره من أنصارها وأصدقائها. إلا أنه دافع عنها ضد انتهاكين اجتماعيين: ضد الضرائرية أولاً فدعا إلى الاكتفاء بزوجة واحدة:

قروانك ما بين النساء أذية لهن فلا تحمل أذاة الحوائر

وان كنت غوراً بالزمان وأهله فتكفيك إحدى الأنسات الغوائر

ويين أن اقتران الرجل بأربع زوجات يعني أن يقسم جسده بين أربعة فلا يكون للمرأة الواحدة منه أكثر من ربعه. ومن المثير للانتباه في هذه المناسبة أن خصوم المعري لم يحاسبوه على هذا الرأي وحاسبوه على عدم الزواج والنباتية. وقد ركز المؤيد بالدين داعي الدعاة الفاطمي على هذه الأخيرة في حوار الابدالي معه. والسبب هو أن الزواج بأكثر من واحدة رخصة والزواج بذاته سنة والتنازل عن الرخصة فضيلة وعدم الزواج تقصير في سنة. أما عدم أكل اللحم فطعن في الحكمة الإلهية التي جعلت رزق الحيوانات على بعضها..

الثاني تشديده على عدم تزويج الفتاة من الشايب. وله نصوص في اللزوميات تندد بهكذا زواج يحرض فيها الفتيات على عدم الرضا به. وكنت قد خالفت بين هذا الرأي عند المعري ورأي آخر للمسرحي الصيني قوان هان تشينغ في مناسبة سابقة. وأنا الآن لأرى بينهما خلاف كبير، إذ أن الكاتب الصيني كان يؤيد الفرق الكبير في سن الزوجين مع تساويهما في طور الشباب: عشرين سنة للفتاة مقابل ٣٨ أو ٣٩ للرجل. ودعوته لاتشمل الزواج ممن هم في طور الشيخوخة. ولعله أخذ في الاعتبار أن القدرة أو الحاجة الجنسية للرجل تستمر بعد الأربعين بينما تبدأ بالاضمحلال عند المرأة في هذا العمر.

على أن رأي المعري في هاتين القضيتين لم يصدر عن اتجاه لاجنسوي أو عن حب للمرأة بل هو محكوم بمسألة الإحساس بالعدل، التي يشترك فيها مع غيره من مفكري الشرق. ويمكن في المقابل اعتبار ثلاثة من عظماء الإسلام من أنصار المرأة بلا تحفظ: أبو ذر الغفاري، روزبة الأصفهاني (سلمان) وابن رشد.. الأول والثاني من خلال رفض الضرائرية والاكتفاء بزوجة واحدة مع عدم التسري. والثالث بتقريره المتفرد عن طبيعة المرأة وتكافئها مع الرجل في القدرة والعقل. على أن المعري يمتاز عن الثلاثة في نضالته ضد الضرائرية إذ أن كل من أبو ذر وسلمان عبرا عن رفض الضرائرية بالتزام شخصي ولم يكن زمانهما زمان نضال من أجل المرأة عموماً لأنها كانت في صدر الإسلام موضوعة

حقوق مكتسبة بفعل الثورة الإسلامية فلم يكن للإثنين مايفعلانه غير تأكيد مبدأ لاحق عبر التزامهما الشخصي. أما ابن رشد فثبت رأيه كفيلسوف. وفلاسفة الإسلام نشطوا في التجريد الفلسفي الخالص ولم تكن لهم مشاركة في الصراع السياسي أو الاجتماعي. وبخلافهم كان المعري يث أفكاره من خلال الصراع السياسي والاجتماعي وهو لم يعبر عن رأي مجرد بل عرضه بلغة مناضل قوامها التحريض والتنديد.

* * * * *

ذكورية الإسلام كما تبينها حتى الآن هي نمط مشترك لحضارات مابعد المشاعية سواء تلك الحضارات التي قامت على نمط الإنتاج الآسيوي أم حضارات المراحل الأوربية. وفيها يتعادل الإسلام مع المسيحية كما تماهت على يد بولص، الذي تكلم عن المرأة بلغة الذكورين المعتادة. والمسيحية تكوين بولصي أكثر منه يسوعي وليس في الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل حديث خاص عن المرأة يعين لها موقعها في المجتمع اليسوعي وإنما كان ذلك في رسائل بولص وأسفاره. ولنقرأها معاً:

- في رسالته إلى أهل كورنثوس: الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل.

الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل. ٦/١٢

- وفي نفس الرسالة ٢٤/١٤ - ٢٥ يمنع المرأة من التكلم في الكنيسة.

- أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما هو أن

المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء.

رسالة إلى أهل أفسس ٢٢/٥ - ٣٣

- النساء يُزَيَّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لابضفائر أو ذهب أو لآلئ

أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم مجبل أولاً ثم حواء وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي.

رسالته الأولى إلى تيموتاوس ٩/٢

- في كلام عن العجائز: ... ينصحن الحداثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن متعقلات عفيفات ملازمات ييوتهن صالحات خاضعات لرجالهن.

رسالة إلى تيطس ٤/٢

أذكر مرة أخرى أن المسيح لم يترك لنا نص حول المرأة يبين موقعها وعلاقتها بالرجل، فهذه لم تكن ضمن رسالته التي كرسها للفقراء والعبيد. وأقوال بولص ليس لها سند في الاناجيل إلا أنها صارت جزءاً من الإيمان المسيحي لأن بولص هو المؤسس الفعلي للمسيحية. والمكسب الأكبر للمرأة في تعاليم المسيح الأصلية هو وحدانية الزواج ومنع الضرائرية وهذا خاضع على الأكثر لاتجاه المسيح إلى الضغط على الغريزة الجنسية وعدم مجاراتها. وقد منع التسري لنفس السبب. ولم تتحدث الاناجيل عن الميراث لأنها موجهة ضد اكتناز الأموال وليس في تعاليمها فسحة لمال يورث. والميراث علامة الكنز. ومن هنا ردهم على أبو ذر في دعوته إلى عدم الاقتناء قائلين له لو صح ماتقول لم يكن لآية الموارث معنى.

نترك بولص فنصعد إلى اليونان، آباء الفكر الأوربي، لنجد أرسطو يقول في كتاب السياسة أن الطبع هو الذي عين المركز الخاص للمرأة والعبد (ك ١ ب ١ ف ٥ - ٦ ترجمة أحمد لطفي السيد) وهذا القول أخطر من قول أهل الأديان أن الله هو الذي عين المركز لأن الطبع مقولة جوهرية في الفكر، والله مقولة اعتقادية. وجعل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثر في نمط التفكير الفلسفي أكثر من مقولة لاهوتية. ويستمر الفكر الأوربي في هذه النظرة الذكورية إلى العصر الحديث رغم الانقلاب الذي حصل في المفاهيم تحت الثورة الرأسمالية. ويذهب هيغل، أستاذ الفلسفة الحديثة الأعظم، إلى القول مستبطناً حديث "كن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة": "إن كانت النساء في رأس الحكومة فالدولة في خطر" وفسره بأن النساء لا يفعّلن حسب متطلبات الكلي بل تبعاً للميول والأفكار العارضة. ويضيف هيغل: "إن النساء يمكن أن يكن مثقفات ولكنهن غير مؤهلات للعلوم العليا والفلسفة وبعض أعمال الفن التي تتطلب الكلية". ويضع هيغل الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحيوان والنبات فالحيوان موازي لطابع الرجل والنبات لطابع المرأة لأنها عنده تمثلن حالة انتشار هادئ مبدأه وحدة الشعور اللامتعينة. (مختارات هيغل - الياس مرقص - باب فلسفة الحق). وفيما يخص الفلسفة يستند هيغل إلى مجرى التاريخ الفعلي. ومن مراجعاتي لتاريخ الفلسفة لم أقف للمرأة على موقع فيه قد يزيد على موقع الإيطالية

الكسندرا دي فيدل، امرأة من القرن الثالث عشر خاضت معامع الجدل الفلسفي الذي أوججته الرشدية حتى ليقول مؤرخو الفلسفة الغربيون أنها استمدت مجدها من الدفاع عن أطروحات ابن رشد. ولأدري إن كان لدى غيري استثناء آخر؟ (وفوق كل ذي علم عليم). على أن ابن رشد لا يوافق بالتأكيد على آراء هيغل. ولنضع في الخلاف أن هيغل كليايني وابن رشد لبرالي. وتختلط في هيغل جنسويته الذكورية مع عنصره البيضاء الساخرة بالشرق ومنظومات قيمه العليا وابن رشد عالمي التفكير بقدر ماهو لاجنسوي.

إن تحرر ذهن الرجال من الذكورية يكتمل مع كارل ماركس وفلسفته الكونية التي أوصلت إلى تطهير الوعي الفلسفي من آثار المراحل الاجتماعية السابقة. وسواء كان ماركس يعبر عن فكر الطبقة العاملة أم عن العقل الكلي للإنسان في لحظة تراكم للفكر العقلي لقيت تفجرها في ذهن عبقرى، فهو الفيلسوف الذي تتكامل في منظومته الفلسفية عناصر التحرر المتفرقة فيمن سبقه. ومن هنا لانجد في فكر ماركس أثر لانحياز طبقي (انحيازه للطبقة العاملة سياسي) أو عنصرى أو أثر لتفكير ديني أو جنسوية ذكورية. ولانفترض هذه الميزات انعدام الخطأ عند ماركس كما يرى المؤمنون به إنما ... نقول أنه، مضافاً -ربما- إلى المسيح/ المفصول عن بولص وكنيستة/ من القلائل بين الفلاسفة والأنبياء: الذين يصعب اتهامهم بالانحياز المصمم في أي موقف وفي تقرير أي فكرة. وإذا كان فكر المسيح يفتقر إلى الاتساق والمنهجية، وهو نبي لافيلسوف، مما جعل اختراقه وتحويله إلى كنيسة ميسور قليل الكلفة، فإن منهجية ماركس المتقنة والمتصلة بأفاق عمل متورخ ومطروح على نطاق الصراع الاجتماعي الكوني أعطت معادلاتها الواقعية في العالم المعاصر فنشأت مجتمعات تهتدي بفكره بأقدار متفاوتة وسجلت في مجال العلاقة بين الجنسين حالة من التكامل زالت فيها تمايزات الذكورة والأنوثة ونظمت العلاقة الجنسية على أسس مكنت من أنسنتها بعد أن تم إعطاء المرأة دورها الكامل في حركة المجتمع. وسنأتي في الفصل القادم من الكتاب على تجربة الصين وهي الأميز من بين التجارب الماركسية بخصوص المرأة. وقد زالت هذه التجارب جميعها الآن وبقي العالم مقسم ما بين ذكورية الشرق الجنسية وانفلات النظام الغربي الذي تحتل فيه المرأة مركز المومس الشرعية مستغرقة دورها الأكبر في حركة المجتمع من خلال إدارتها سيورة جنس تكلف الغربيين مجمل حياتهم اليومية التي تنقضي ساعاتها في لهاث متبادل بين الجنسين.

نصوص ومواقف

ذكرنا في هذا الفصل ان علي بن ابي طالب استعان بالنساء في حرب صفين لاثارة حماس المقاتلين فكن يخطبن او يُنشدن الاشعار الحماسية عند احتدام القتال . وكان منهن: الزرقاء بنت عدي وبُكَارة الهلالية وام الخير بنت الحُرَيْش البارقية وعُكْرِشة بنت الاطرش وسُودة بنت عُمارَةَ بن الاسك والدارمية الحَجُونِيَّة. وبعد انفراد معاوية بالخلافة التقى ببعض هاته النسوة وجرت حوارات ساخنة بينه وبينهن وكن صريحات معه لم يلتمسن عفوًا ولا تراجعن عن موقف وتعامل هو معهن على طريقة العربي الجاهلي في رعاية حرمة النساء وعدم المساس بهن.

ونقتبس هنا خطبة الزرقاء في صفين وحديث سودة مع معاوية.

خطبة الزرقاء

اوردها ابن طيفور في بلاغات النساء. وهي تصح عندي لاعتبارات:

١. أنها نص خطبة مرتجلة لانص مكتوب
٢. وفيها من سخونة العبارة ما يدل على موضع و مناسبة القائها.
٣. اسلوب الخطبة هو الاسلوب البلاغي الذي كان شائعاً في صدر الاسلام والأوان الأموي ومفرداتها هي مفردات الخطب في نفس الزمن.

”أيها الناس إنكم في فتنة غشتكم جلايب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها من فتنة عمياء صماء يُسمع لقائلها ولا يُنظر لسائقها.

أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وأن الكوكب لا يقذف في القمر وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزيف لا يوازن الحجر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد.

الا من استرشدنا ارشدناه ومن استخبرنا اخبرناه: إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار فكأن قد اندمل شغب الشتات والتأمت كلمة العدل وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأتى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ألا وأن خضاب النساء الحياء وخضاب الرجال الدماء

والصبر خير في الأمور عواقباً

إيهاً إلى الحرب قُدماً غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده..

. المحجة: الطريق الواضح. الزيف هنا صغار الحصى. ضالة: حاجة مفقودة.

ينبغي أن تكون الخطبة أطول مما وصل إلينا. ومع أن رواة العرب في ذلك الوقت كانوا يتمتعون بذاكرة كومبيوترية فإن الرواة اللاحقين كانوا أقل استيعاباً. ولعل الخطبة قد تناقصت بانتقالها عبر الرواة حتى وصلت إلى ابن طيفور فدونها. وهو من أقدم المؤلفين الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم وكان من معاصري المأمون وقد فقدت معظم المؤلفات التي كتبت في تلك الحقبة البعيدة من عصور الاسلام.

حديث سودة مع معاوية

هي سودة بنت عُمارة بن الأسك من همدان. وكانت همدان فصيل أساسي في معسكر علي إلى جانب ربيعة. وكان لسودة مؤهلات زعامة في القبيلة وقد اعتمدوا عليها في المهام الصعبة فكانوا يوفدونها إلى المركز حين تتعرض القبيلة للعسف من الولاة. وهي من فريق المحرضين في صفين وكان من بين المقاتلين أخوها. وبعد انفراد معاوية بالخلافة تعرضت همدان للعسف من بشر بن اوطاة أحد عتاة القواد والأعوان في معسكر معاوية، فأوفدت سودة إلى معاوية لعرض الأمر عليه وجرى بينهما

الحديث التالي الذي أظهرت فيه نفس شجاعتها في صفين مع مناورات سفيرة متمرسة...

معاوية: هيه يا بنت الأسك الست القائلة يوم صفين:

شمزُ كفعل أبيك يا ابن عُمارة يومَ الطعان وملنقى الأقرانِ
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
إن الامام اخو النبي محمد عَلِمَ الهدى ومنارة الإيمانِ
فقيه الحتوف وسِر امام لوائه قُذماً بابيض صارمِ وسنان
سودة: أي والله، ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب

معاوية: ما حَمَلَكَ على ذلك؟

سودة: حب علي واتباع الحق

معاوية: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً.

سودة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين واعادة ما مضى وتذكّار ما قد نُسي.

معاوية: هيهات. ما مثل مقام أخيك يُنسى وما لقيتُ من أحد ما لقيت من قومك
وأخيك.

سودة: صدق فوك. لم يكن أخى ذميم المقام ولا خفي المكان. كان والله كقول
الخنساء:

وإن صخراً لتاتم الهداة به كأنه عَلِمَ في راسه نار
معاوية: صدقت لقد كان كذلك.

سودة: مات الرأس وبُتر الذنب وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتُ
منه.

معاوية: قد فعلت. فما حاجتك؟

سودة: إنك أصبحت للناس سيّداً ولامرهم متقلداً والله سائلك عن أمرنا وما
افترض عليك من حقنا. ولا يزال يقدّم علينا من ينوء بعزك ويطش بسلطانك فيحصدنا
حصد السنبِل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة. هذا يُسر بن اوطاة

قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي فوهي بما أستعصم الله منه والجا
إليه فيه (تقصّد أنه يريد منها أن تتبرأ من علي وتشتمه) ولولا الطاعة لكان فينا عز ومَنعة
فإِما عزلته عنا فشكرنا لك وإِما لا فعرّفناك.

معاوية: اتهددني بقومك؟ لقد همت أن أحملك على قَتَبِ اشرس فاردك إليه
ينفَذَ فيك حكمه.

سودة: اطرقت تبكي. ثم أنشأت تقول:

صلى الاله على جسم تضمّنه قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقرونا
معاوية: ومن ذلك؟

سودة: علي بن أبي طالب.

معاوية: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

سودة: قَدِمْتُ عليه في رجل ولّاه صدقتنا (جباية الزكاة) من قبله فكان بيني وبينه ما
بين الغث والسمين فأَتَيْتُ علياً لأشكو إليه فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إلي انفتل من
صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر. فبكي ثم قال: "اللهم أنت
الشاهد علي وعليهم إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك". ثم اخرج من جيبه
قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا
عليكم بحفيظ.. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يَقدّم عليك
من يقبضه منك والسلام..

فأخذته منه. والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته.

معاوية: لقد لمّظكم ابن ابي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تُفطمون.
والثفت إلى موظفيه وقال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها.

سودة: التي خاص أم لقومي عام؟

معاوية: ما أنت وقومك؟

سودة: هي إذن والله الفحشاء واللؤم. إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا فانا كسائر قومي.

معاوية: اكتبوا لها ولقومها.

- قُتِب: رحل خشن يوضع على البعير يسفر عليه المفضوب عليهم. خزمه: خزره.

حول الأبيات: البيت الأول تصح عندي روايته وكذلك الأخير. وذكر الحسين في البيت الثاني لا يصح تمرخيماً لأنه لم يكن قد برز وتزعم يوم ذاك ليذكر مع والده. لكن الشطر الثاني في البيت ينبيء بأصالته فلعل سهواً حصل من الراوي فوضع الحسين مكان اسم آخر أو كلمة أخرى. وينبغي عدم قبول البيت الثالث لأن لغته لغة ما بعد الأوان الأموي. أما الحديث في جملة فطبيعي وليس فيه ما يُشعر بأنه مقحم أو مفتعل أو خارج عن لغة ذلك الزمن وتفكير أهله..

خارجية

كانت عميرة زوجة مجاشع من بكر بن وائل. اقنعها أحد الخوارج بمذهبهم فمالت اليهم فدعت زوجها لتتابعها في ذلك فاي، فعزمت هي على تركه والالتحاق بمقاتلي الخوارج. ومروقت اشتاق إليها زوجها وكان يحبها فكتب إليها:

وجداً يصاحبني لعل صباية منها ترد خلية لخليل

فلئن قُتِلْتُ لَيُقْتَلَنَّ قَتِيلُكُمْ فتيقني إني قَتِيلُ قَتِيلِ

- يريد أنها إذا قتلت فسيموت هو حزناً عليها.

فكتبت إليه:

ابلغ مجاشع أن رجعت فإنني بين الاسنة والسيوف مقبلي

أرجو السعادة لا أحدث ساعة نفسي إذا أنا جُبتُها بقفولٍ

ووهبت جذري والفراش لكاعب في الحي ذات دمالجٍ وحجولٍ

. المقليل أصله مكان القيلولة وهنا تريد مكان الإقامة عموماً. الحِذْر: غرفتها. الدمالج: الاساور.
الحجول: الخلاخيل.

وقد يحدث العكس. فقد ملت مقاتلة منهم حياة الحرب فعادت إلى أهلها
وتزوجت. وقالت في ذلك:

اتيتُ رمحاً مسه لئنْ وعفت رمحاً مسه قاتل

هند وابنها

لما توفي يزيد بن أبي سفيان وهو يقود أحد جيوش الفتح الشامي جاء المقتزون إلى
أمه هند بنت عتبة فقال لها أحدهم: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خَلَف منه.
فقالت: أو مثل معاوية يكون خَلَفاً من أحد؟ والله لو جُمعت العرب من أقطارها ثم
رُمي به فيها لخرج من أيها شاء.

وقيل لها: إن عاش معاوية ساد قومه. فقالت: ثكلته إن لم يشد إلا قومه.
. هذا يعني أنها كانت تُعدّ ابنها لكي يحكم العالم! وليست هذه طموحات
عاهرة كالتى تحدث عنها سلمان رشدي في آياته الشيطانية.

أم خالد القسري المسيحية

خالد القسري أحد جبابرة الولاة الأمويين، صورة للحجاج لم تشتهر كشهريته
لأن الشهرة حظوظ، كما يبدو، تولى الحجاز للوليد ثم العراق للشام. كانت أمه
مسيحية. فكتب إليها مرة يدعوها إلى الاسلام ويقول لها أنها ستكون بذلك أقرب
إلى بزه إذا اقتربت من دينه. فردت على دعوته بالكتاب التالي:

للأمير خالد بن عبد الله من أم خالد. أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما
دعوتني اليه من دينك الذي ارتضيته لنفسك ولعمري ما لئنني خيراً عند نفسك وإن
لك ديناً ولي دين وزعمت أنه أقوى لك على بزي إذا قربت منك. ولعمري أنك
لقوي على بزي أين كنت. واعلم يا بني أنني قرأت كتاب الله (تقصداً للإنجيل) أنه
من عمل كبيرة اسودّ ثلث قلبه فإن عاد اسود ثلثاه فإن عاد اسود قلبه كله. ومن
عمل الشيء وهو يراه حسناً فقد خاس. واعلم يا بني أن كل ذنب مع الدم أثم.

- أمّ: يسير جداً وسهل ولا يكاد يذكر. ما لَيْتني: ما نقصتني (ما قصرت)
ما نقلته أم خالد عن الانجيل لم يرد فيه بنصه وإنما هو خلاصة لبعض المواعظ فيه.
وبيت القصيد في هذه الرسالة الأمومية هو فقراتها من كتاب الله ألى أمم ... من
الواضح أن أم خالد كانت تعرف ماذا يفعل ابنها في ولايته بالناس وتبلغها أخبار
ارهابه الدموي المدمر. فتوجت ردها على دعوته اياها للخروج من دينها بهذه
العبارات التي تبدو خارجة على موضوع الرسالة ومقحمة عليها. لكنها جاءت في
سياق مقصود هيأته لها فرصة الرد على رسالته: إن كل ذنب يسير الا القتل. ومن
فعلها اسودّ قلبه ومن بررها لنفسه فقد خاس. والخايس هو المتغير الفاسد المتن.
مسيحية العرب والسرّيان هي المسيحية الأم. ولم تستنقع بالدم. ورسالة أم خالد
إلى خالد تمثل هذا الواقع.

خلوة مع صديق

خيرة بنت أبي ضُغيم البلوية تتحدث عن خلوة ليلية مع حبيبها:
وبتنا خلاف الحي لانحن منهم ولا نحن بالاعداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط الطل والندى من الليل بُزدا يَمْنَة عَطِران
نذود بذكر الله عنا من الصبا إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن رِيّ العفاف وربما نقعنا غليل القلب بالرشفان

- خلوة خيرة البلوية كانت مع صديق. والتزما فيها بشرط الصداقة الجاهلي
وهما اسلاميان. كانت خلوة صداقة لا زواج وكان ذكر الله هو الحاجز ما بين
جسديهما! لكنهما أخذتا بنصيب يسير من القبل لينقعا غليل قلوبهما العاشقين. لم
تكن خيرة مضطرة إلى الكذب. فالشعراء أحرار فيما يقولون وكان بوسعها أن
تصف ما جرى لو أنه جرى خلافاً للشروط فلا يحاسبها أحد لأن الشعر لم يخضع
للتحريمات..

احتراما لاثوثها

زُوجت فتاة من شايب في عهد عمر بن الخطاب فقتلته. فنهى عمر عن تزويج الصغيرات من المسنين. وله توجيه آخر ينهى فيه عن تزويجهن الدميم مراعاة لذوقهن. وفي بلاغات النساء: وقف رجل على امرأة حسناء وإذا بشيخ قصير يأتي ويكلمها. فسألها الرجل عن الشيخ فقالت هو زوجي. فقال الرجل متعجباً: كيف رضي مثلك مثله فقالت:

ايا عجبى للحدود يجري وشاؤها تُزفَ إلى شيخ من القوم تنبال
دعاها إليه انه ذو قرابة فويل الغواني من بني العم والخال

غريبة مع عين

تزوجت امرأة من ناحية تسمى بقاء رجلاً من ناحية لينة فعُذِن عنها فقالت تشوق إلى موطنها:

من يهد لي من ماء بقاء شربة فإن له من ماء لينة أربعة
لقد زادني وجداً ببقاء انني وجد مطاينا بلينة ظلعا!

الصابرة والشاكر

كان عمران بن حطان، أمير شعراء الخوارج، دميم الخلقة وكانت زوجته في غاية الجمال فكانت تقول له:

إنا لعلی خير إن شاء الله: أعطيت مثلي فشكرت وابتليت بك فصبرت..

مباراة في الهجاء

طلق أعرابي امرأته وكانت من بني عامر فجرت بينهما المهاجاة التالية:

الزوجة: إنك ما علمت لضيق الفناء صغير الاناء قبيح الثناء

الزوج: وأنت والله ما علمت إن كنت لواهية العقد قليلة الرِّفد مُجانبَةٌ للرشد

الزوجة: وأنت والله إن كنت لصارع (مصرع) السيف في البلاء ضائع الضيف
في الكلاء منتهجاً للؤم في الملاء (الملاء)

الزوج: وأنت والله لطويلة اللسان مؤذية للجيران عارية المكان
الزوجة: وأنت والله إن كنت للقيم الصُّحبة فاحش العُدوة بين الكبوة فاتر النزوة.
وانتهت المباراة إلى هنا بتسجيل انتصار الزوجة من جانب الزوج الذي أوقف
المباراة اقراراً بهزيمته.

سلمى بنت القراطيسي تتغزل بنفسها

فتاة حسناء من أهل بغداد في القرن الرابع الهجري، والقراطيسي هو صانع
القرطاسيه أو بائعها:

عيون مها الفلاة فدائ عيني وأجباد الأطباء فداء جيدي
أزَيْن بالعُقود وإن نحري لأزَيْن للعُقود من العقود
ولا أشكو من الأوصاب ثَقلاً وتشكو قامتي ثقل النهود
ولو جاورت في بلدٍ ثموداً لما نزل البلاء على ثمود
- أوصاب: أمراض.

تريد أن الله كان سيعفو عن أهل ثمود اكراماً لها. وربما كان سيمسخها تمثلاً من
مرمر وقيمه في المدينة ليحميها من احتمالات غضبه في المستقبل.

اكرم امرأة.. وأحزم وأذكي

نزل الخبيل السعدي وهو في بعض أسفاره على ابنة الزُّبْرَقان بن بدر وكان يهاجي
إياها فعرفته ولم يعرفها فأنته بغسول فغسل رأسه وأحسنّت ضيافته وزودته عند
المغادرة فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: وما تريد من اسمي؟ قال: أريد أن أمدحك فما
رأيت امرأة في العرب أكرم منك. قالت اسمي رهو! قال: تالله ما رأيت امرأة شريفة
سميت بهذا الاسم غيرك. قالت: أنت سميتني به. قال: وكيف ذاك؟ قالت: أنا
تُحْلِيدة بنت الزُّبْرَقان. وكان الخبيل قد ذكرها بسوء وهو يهجو أباه فقال:

فانكحتم رهواً كان عجانها مشق إهاب لوسع السلخ ناجله
فأقسم لها أن لا يذكرها بسوء بعدها أبداً ولا يهجر أباهها وقال ينتقد نفسه:
لقد زل رئيسي في خليفة زلة ساعتب قومي بعدها واتوب
واشهد والمستغفر الله أنني كذبت عليها والهجاء كذوب

الحرّة الصليحية

أروى بنت أحمد الصليحي ولدت في خراز باليمن ونشأت في رعاية أسماء بنت شهاب أم المكرم الصليحي أحمد بن علي وتزوجها المكرم ثم أصابه الفالج فخولها سلطاته، فاتخذت لها معقل في موقع يدعى ذو جبلة كانت تقيم فيه بعض أشهر السنة. وقامت بتدبير الدولة وقيادة الحروب الى ان مات زوجها وخلفه على الحكم ابن عمه سبأ بن أحمد فاستمرت تحكم باسمه وكان الوزراء والأعوان يجتمعون اليها وتكلمهم من وراء حجاب.

وكان يُخطب باسمها في المساجد عند الصلاة على العادة الجارية في القاء خطب الجمعة والاعياد باسم سلطان البلد وكان الخطيب يبدأ بذكر المستنصر الخليفة الفاطمي ثم يثني بالسلطان الصليحي ويختم بالحرّة فيقول: اللهم أديم أيام الحرّة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين... وكان الخليفة الفاطمي قد عهد بالسلطة في الدولة الصليحية (كانت تدار من مصر لانها قامت على اثر حركة اسماعيلية في اليمن بقيادة فاطمية) الى سبأ ابن عم المكرم وامر بتزويج الحرّة منه حتى تواصل مهامها التي لقيت رضا الفاطميين. ومات سبأ فتحصنت أروى بذئ جبلة واستولت على ما حوله من الولايات والحصون وأقامت لها وزراء واعوان تدير الدولة بواسطتهم. وقد لقبت ببلقيس الصغرى ودام حكمها اربعين سنة(عاشت ٨٦ سنة) وهو اطول حكم لامرأة في التاريخ بعد الملكة البريطانية فكتوريا (لا نحسب حكم اليزابث الحالية لانها لا تمتلك سلطة) وتزيد على فكتوريا اذا حسبنا لها مدة قيامها بالحكم في حياة زوجها وابن عمه. وقد انتهت دولة الصليحيين بوفااتها اذ لم يكن بين الذكور من امرائها من يملأ فراغ أروى.

والحرّة الصليحية أيضاً لقب حماتها أسماء بنت شهاب وكانت تتمتع بنفوذ كبير

في الدولة فكان يُخطب باسمها مع زوجها المكرم وتحضر المجالس بدون حجاب على وجهها، إلا أنها اسرفت في الأبهة ومظاهر السلطنة فكانت تسير في موكب من مئتي جارية يلبسن الحلى والحُلل ومعها جنائب الخيل مسرجة بالذهب ولم تستقل في الحكم الذي انتقل الى ولدها المكرم زوج اروى وهي دونها في الموقع الذي تبوأته في تاريخ الدولة الصليحية.

المرأة في الصين

ليس لهذا القسم من كتابنا عن المرأة ولا للكتاب نفسه علاقة بالمؤتمر الأمريكي للمرأة المنعقد، مع كتابة هذه السطور، في بيجينغ عاصمة الصين. بل هو مكرس أصلاً لادانة من اشترك فيه وهو يعلم أو لا يعلم أنه يعمل تحت مظلة أمريكية. وكان الأليق بالوطنيين وأعداء الامبريالية أن يتنادوا لعقد مؤتمر للمرأة يمثل مظلومي ومظلومات العالم الثالث من دون اقحام الغربيين في هموم لا علاقة لهم بها. إن الغرض من هذا المؤتمر تقديم البديل المشوه لتحرير المرأة وطمس تجارب التحرر الرائدة التي نفذها شيوعيو القرن الحالي في عصرهم الذهبي الذي يجب أن يبقى في الذاكرة

تبدأ الحضارة الصينية مع أسرة تجوو، القرن الحادي عشر ق م، وهي من حيث التارخة ثالث أسرة إذ سبقتها أسرة شيا التي لم تكتشف بعد وإنما ذكرت في السجلات التاريخية، وأسرة شانغ المعروفة للمؤرخين وتحسب عموماً في عداد ما قبل التاريخ. وفي أسرة تجوو اكتملت عناصر الدولة والمجتمع في الصين وهي كشأنها في سائر الحضارات عناصر نظام أبوي ذكوري. وقد تساق هذا التطور مع بقاء الاقتصاد المشاعي هو الحاكم في اقتصاد المجتمع منطبعاً في سمة عامة لمجتمعات آسيا التي لم تطور اقتصاد فردي مكتمل، لكن نظام المجتمع كان أبوي ذكوري خالص. ولا يتناقض ذلك مع الحقيقة المتورخة التي تساق ما بين المجتمع الأبوي والمجتمع الطبقي فالطبقات وجدت أيضاً في الشرق وحملت نفس أصنافها وتسمياتها إلا أنها تمايزت عن نظائرها في الغرب من حيث افتقارها إلى الحدود الصلبة الحاجزة بينها أولاً ومن حيث أن ادارة الصراع الطبقي كانت في يد الدولة وحدها ثانياً. ويتداخل

هذا التمايز مع تمايز الاقتصاد الآسيوي الذي حافظ دائماً على أصول مشاعية منعت من تطور الاقتصاد إلى نظام التملك الصرف. واتسم المجتمع الآسيوي كنظيره الأوربي بحدة الصراع الطبقي مع وجود ملكية استغلالية سائدة تمسك الدولة بخيوطها كلها، وهي أعني الملكية الاستغلالية خاضعة مع ذلك لعوامل الصراع بين الاقتصاد الفردي والاقتصاد المشاعي/ مما يميز التطور الاقتصادي للشرق/ ولكن من غير أن يميزه في نظامه الأبوي؛ فهنا كان المجتمع للرجال كما هو في الغرب منذ اليونان وكانت الجنسوية هي ميزان العلاقة مع المرأة. وعندما ظهر كُونْفُوشِي (كونفشيوس) كان الوضع جاهز لتنظيراته التي لم تكن من بنات أفكاره بقدر ما كانت بنت المجتمع. والمرأة عند كونفشيوس سلبية مطلقة وحركتها مرهونة بولي الأمر وللمرأة الكونفوشية أولياء أمور يتقدمهم الأب ثم الزوج ثم الأخ ثم الابن، ولو أن انعدام النظام القبلي ساعدها على عدم تعدد الأولياء خارج العائلة.

وظهر الزواج الضرائري في الصين. ومن جهة التشريع، لم يكن هناك خطر على هذا الزواج ولا اباحة له. والملاحظ هنا أن الصين لم يكن لها قانون موحد ثابت يحكم علاقاتها الاجتماعية كالشريعة عند المسلمين وكانت العلاقات تخضع للأعراف والتقاليد شأن المجتمع الجاهلي^(*). وكان بإمكان الرجل أن يتزوج على زوجته لكن الضرائر لم يتعدن. وقد عوض رجال الدولة والطبقات المالكة والموسرين عن ذلك بالتسري. ولم يكن عدد السراري محدد. وكانت القصور الامبراطورية تفص بهن. ومن حيث الزواج الشرعي كان من المعتاد للامبراطور أن يتزوج زوجتين واحدة تكون هي الامبراطورة والأخرى زوجة عادية. وكان بوسعه أن يضيف إلى الزوجتين زوجات من جواريه المحظيات. لكن المعتاد هو زوجة أو زوجتين مع عدد غير محدود من السراري. أما الميراث فغير مقنن بسبب انعدام القانون الموحد المنظم لكن الذكر على العموم هو صاحب الحق الأول في ميراث والده. أما الأنثى فلا

* التشريع في الصين يخضع لمصدرين: العرف وقرارات الامبراطور. والاخير هو قوانين الأسرة التي غالباً ما تشرع مع بداية حكمها وتبقى سارية ما دامت في الحكم ما لم تعدل أو تلغى من امبراطور لاحق. وتطورت على هذا الأساس: العرف وقوانين الأسرة مؤسسة القضاء التي كان لها من المكانة ما لنظيرتها في الاسلام وقامت بدور هام في التخفيف من معاناة الناس العاديين تجاه المتنفذين والمتسلطين. وقد وصلت اصداؤها إلى المسلمين الذين تحدثوا كثيراً عن "عدالة ملوك الصين" وهم يقصدون قضاة الصين.

يوجد نص قانوني يعطيها حق الارث أو يحرمها منه. وجرت التقاليد على أنها تحصل على الميراث إذا لم يكن بين الورثة ذكور. وتملك الأرملة حق التصرف في أموال زوجها. كما تعطى المرأة حصة من المهر الذي يذهب في الأصل إلى الأب كما هي عادة العرب الجاهليين.

فيما يخص حرية المرأة، كانت المرأة من عامة الناس أكثر حرية من المرأة من الطبقات العليا فهذه كانت تلازم المنزل ويمنع خروجها إلى المدينة وحدها. أما المرأة الفقيرة فكانت تستطيع الخروج من منزلها وكان بوسعها العمل في المهن المخصصة للنساء أو في السوق. وحصل تطور في أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م) مع تقدم واتساع النشاط التجاري داخلياً وخارجياً فحصلت المرأة على فرص أوفر للعمل. ولم يكن للزوجة حرية التصرف في المنزل بوجود الزوج ومع أنها تتولى تدبير الشؤون المنزلية وبضمنها بعض وجوه الصرف فإن الزوج يملك وحده سلطة الصرف وتحديد المصروفات.

وكان حق الطلاق للرجل وحده. ولم تُعرف المخالعة عندهم. وتُلزم المرأة بالبقاء مع زوجها في مختلف الظروف وهو وحده الذي يستطيع فك الزواج. وفي الريف كان مصيرها بعد وفاة زوجها في يد أقرباء الزوج وتمنع من الزواج بعده. لكنها في المدينة تستطيع الزواج، ولو أن هذا الحق لم يكن مطلقاً. ومن الأعمال الأدبية المشهورة في الصين رواية تحدثت عن امرأة ارتكبت مخالفة مزدوجة وهي من بنات الارستقراطية المدنية فتزوجت بعد زواجها، ورجل من عامة الناس واضطرت الى الفرار معه من مدينتها الى مدينة اخرى. وصارت فعلتها حديث الناس في موطنها الاصلي. وقد تجرأ كاتب متأخر عنها بزمن فكتب هذه الرواية التي دافع فيها عن سلوكها.

ولم يعرف الصينيون الحجاب. والمرأة لم تكن تستر شعرها. لكن ملابسها كانت محتشمة وتغطي اجزاء جسمها كلها بما فيها الاذرع والسيقان.

لدى المقايسة، كانت حقوق المرأة في الاسلام اوسع منها في الصين من حيث: الميراث، حق الزواج وحق الجنس، حق الخروج من المنزل وحدها في حدود مدينتها بصرف النظر عن وضعها الاجتماعي، حق الطلاق متمثلاً في الخلع وعدم الزام المرأة بالبقاء مع رجل يظلمها، حقها في المهر كاملاً، تقليص الولاية عليها لتكون للأب

فقط لغير المتزوجة، وللزوج فقط للمتزوجة. والمرأة التي لا زوج لها ولا أب لا ولاية لأحد عليها. وقد مر في مباحث المرأة المسلمة أن القيود كانت على البكر الشابة أكثر منها على الثيب ومن تجاوزت سن الشباب. وتتقدم المرأة الصينية على المسلمة في سفورها. ومن جهة الحرية فالقيود متماثلة في الحضارتين، وحرية المرأة الجاهلية أوسع من نظيرتها في الصين والاسلام. لكن الصينية شاركت في الانتفاضات الفلاحية شأن نساء الخوارج في الاسلام. وظهرت منهن متنفذات في البلاط الصيني كالمتنفذات في البلاط الاسلامي. واعتلى بعضهن العرش الامبراطوري. وقد حكمت "وو تزه تيان" من أباطرة أسرة تانغ المعاصرة للأمويين خمسين سنة استقلت منها بالعرش خمسة عشر سنة. وكانت في العصر الذهبي للأسرة ومن الأباطرة الأقوياء. ولعلها تذكرنا، في حزمها المقنن بشيء من مبادئ العدل، بسيرة عمر بن الخطاب. وكثيراً ما تحكمت "التاي خو" في العرش من خلال تسلطها على وريث شاب أو وصايتها على وريث قاصر. والتاي خو هي الامبراطورة الأرملة. وكانت آخر وأبرز تاي خو هي عمة الامبراطور الأخير، الذي ورث العرش صغيراً فأدارت الامبراطورية عن طريق وصايتها عليه. وعرفت بالقوة والدهاء، لكنها كانت فاسدة ومتسلطة بخلاف التانغية ووتزه تيان. وقد شهدت انهيار الحكم الامبراطوري بثورة ١٩١١ التي قادها صون يات صن.

بعد انكشاف الصين للغرب تسربت إليها الأفكار الحديثة عن حرية المرأة. وشملت الحداثة النسوية الأزياء وحق الاختلاط مع حق العمل. ومن جهة الوضع الواقعي كان حق العمل مقيد بالمنافسة الغير متكافئة مع الرجال فلم يتسع نطاقعاملات في الدولة والمجتمع. ومعروف من هذه الجهة أن المرأة في الغرب لم تساهم بقسط كبير في الحياة الاقتصادية والسياسية، وموقعها في العمل يكاد يقتصر على الادارة والسكرتارية. والتحرر الأكبر للمرأة في الغرب هو ما يتحقق في دائرة الحق الجنسي، الذي امتلكنه الغربيات بالكامل. ولم تسلك المرأة الصينية في هذا الطور مسلك المرأة الغرباوية نظراً لقوة التقاليد الشرقية التي تميز بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال فتشدد في الأولى وتتسامح في الثانية. وهي معادلة حرجة تحكم الشرقيين وتنعكس في المعتاد عند الغربيين المعاصرين. لكن نساء الارستقراطية المالية والحكومية أخذن بأسباب التحرر الغرباوي في مفهومه الجنسي ولو أنه لم يكن بتأثير أحادي من الغربيين فالارستقراطية في جميع العصور تعرف هذا اللون من التحرر وتمارسه ضمن

مفهومها اللدائذي في الحياة.

تأسس الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١ في شانغهاي، التي كان الشيوعيون يسمونها "مدينة الفساد البرجوازي" وذلك لشيوع مظاهر التحرر النسوي فيها بتأثير النفوذ الأجنبي المباشر على المدينة. وهي أكبر مدن الصين من حيث السكان. واتسع نفوذ الحزب الشيوعي بسرعة ليصبح القوة الأولى في البلاد بعد حزب الكومين دانغ (الكومنتانغ) الحاكم. وانتظمت نساء كثيرات في الحزب واشتركن في نضاله السري الصعب والشديد التعقيد والمخاطرة. وقدمت الكثير منهن حياتهن في سبيل ذلك وكانت حكومة الكومنتانغ برئاسة جيانغ كاي شيه (تشانغ كاي شيك) تحكم عليهن بالاعدام فكن يستقبلن أحكام الاعدام بشجاعة تذكرنا بنساء الخوارج حين يقعن في قبضة آل زياد والحجاج. ومن بين اللواتي طالهن الاعدام زوجة ماو الأولى. وكانت قد تخلفت عن المسيرة الكبرى واشتغلت في إدارة التنظيم السري للحزب في مقاطعتها، فاكشفوا أمرها وأعدموها. ومن مشاهير المناضلات مع الشيوعيين أرملة صون يات صن الذي مات وهي في عز الشباب فلم تتزوج بعده جرياً على التقاليد وكرست وقتها للعمل السياسي والاجتماعي وهي من فانات زمانها ومن أصول ارستقراطية وأمضت صباها في المهجر الأمريكي وكانت شقيقتها زوجة تشيانغ كاي شيك لكنها اتبعت مبادئ زوجها الذي اتجه في أيامه الأخيرة إلى التعاون مع الشيوعيين /ليس بدافع طبقي، فهو بدوره من أسرة مهاجرين تجار، بل لانجاز التحرر الوطني. وقد عُيِّنت بعد التحرير نائبة لرئيس الجمهورية.

انجرت الشيوعية الصينية تحرير المرأة الصينية ضمن المعادلة التي تحرم شيوعية النساء وتمسك بشيوعية الأموال. والشيوعية الصينية نطت آسيوي أخذت من الماركسية تنظيمها للاقتصاد ومن اللينينية تنظيمها الحزبي ولم تأخذ منهما الفكر الشيوعي الذي تعيشه الصين وتصارع حوله منذ أكثر من ألفين سنة. وهي تعرفه أكثر من الغربيين وتتماهى به حضارتها شأن غيرها من أقاليم آسيا. والتميز قائم بعمق في الشيوعية الآسيوية ما بين شيوعية الأموال وشيوعية النساء. وقد أظهر الشيوعيون الخالص في آسيا القديمة طهرانية متشددة بخصوص المرأة قياساً مع أبناء الطبقات والفئات شبه الاقطاعية والارستقراطية المنتمية إلى معسكر الملكية الخاصة. فكانت المزدكية ترى الزهد في النساء كالزهد في الأموال. وهكذا رآها الشيوعيون المسلمون بدءاً من أبو ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني ومن بعدهم قرامطة العراق وشرقي العربيا. وقبلهم جميعاً حُرمت الشيوعية اليسوعية زواج

الضرائر وامتنع نبهها عن الزواج نهائياً لتجسيد الطهرانية في الموقف من الجنس. بينما كانت الطبقات المالكة ومنها الهيئات الحاكمة تمارس الاباحية الجنسية وتمتهن المرأة فتجعل وظيفتها غريزية خالصة. وهناك تطابق شبه تام بين جنسانية هذه الطبقات في آسيا ونظائرها في الغرب. ويشترك الفريقان من اقطاب التملك الفردي في اعتبار الجنس حاجة طبيعية بالكامل شأن البول والبراز، فمثلما يتعين على الانسان أن يتخلص من فضلاته على مدار ساعات اليوم فهو يملك الحق في تفريغ شحنته الجنسية عندما تضغط عليه في أي لحظة وفي أي ظرف as a natural need. وكان هذا الحق عند قدمائهم مخصص بالذكر، فأعطاه الغربيون المعاصرون للانثى أيضاً. ويصبح الجنس في الغرب مادة حياة تامة الانفلات وتستهلك من الغربيين الجزء الأكبر من أوقات فراغهم، بل وتتغلغل في ساعات العمل عن طريق ما يسمى sex in business وهو ما عرفته الحضارة الاسلامية في العصر العباسي - الاندلسي وسجله مؤلف اسلامي في كتاب مفقود عنوانه: "الأس فيمن قدمه الكس". ويجري هذا كله في حظيرة أهل التملك الخاص، من أرباب الدولة وارشتراطية المال على النحو الذي سجله القرآن حين قرن الفساد في الأرض بسلوك هذه الفئات، ولو أنه كما قلنا من قبل لم يتخلص من الارث الذكوري فأعطى للجنس ما أعطاه الغربيون في العصر الحاضر. وكما بيناه في الفصل السابق فالشريعة الاسلامية تتجاري مع شرائع العالم الأورو أمريكي في هذا المضمار لكن مع اختلاف في الطريقة، فالزوجات الثلاثة الاضافية والتسري والمتعة وهي ما يقع خارج العلاقة الزوجية مقرر في أحكام النكاح أما في الغرب فما هو خارج العلاقة الزوجية خاضع للعرف لا للقانون. على أنها بدأت تدخل حقل التشريع مؤخراً بأسباب الصفة القانونية على اللواط والسحاق. وقبلها على البغاء. وللبغاء في الغرب تنويعات تعكس عنصر الابداع وجنوح الخيال عند الغربيين المعاصرين ومنها الإلطاف المسرحي وهو أن تقوم فتاة بممارسة العادة السرية (هنا طبعاً لم تعد سرية) على المسرح لامتاع المشاهدين. ويتفوق الغربيون في ذلك على المسلمين لأن الجنسانية الاسلامية لا تبيح المتاجرة بأجساد النساء. ومن جهة الانحرافات فاللواط محرم عند المسلمين ويعاقب عليه والسحاق محرم ولا عقوبة عليه. بقيامها على مبدأ شيوعية الأموال الآسيوي أنجزت الشيوعية الصينية تحرير المرأة ضمن الوضع الفضائلي للمجتمع الآسيوي في قطاعه الجماهيري المتماهي بالإقتصاد المشاعي:

أعيد تنظيم العائلة بإلغاء النظام الأبوي الذكوري وتأسيس العائلة الوحدانية

المطلقة: زوج واحد لزوجة واحدة، مع اعتبار السيادة في العائلة متكافئة بين الزوجين. وتجرد الرجل من صلاحياته المكرسة له في النظام الأبوي ووزعت مسؤولية المنزل و الأولاد عليهما بالتساوي. وأعيد تنظيم التدبير المنزلي على هذا الأساس فصار العمل في البيت من طبخ وتنظيف ونحوهما بالمناوبة: يوم على الرجل ويوم على المرأة. وكنت مرة مدعو إلى بيت زميلة عمل فقالت لي: "اليوم الطبخ على زوجي وهو يجيده أحسن مني وهذه فرصة لك لكي تذوق الطعام الصيني اللذيذ". وألغى المهر بالاستناد إلى أن العلاقة الجنسية حاجة مشتركة بينهما، والمهر يدفع كما بينا في فصول فارطة ثمناً لجسد المرأة. ومع اقرار التساوي في الحاجة الجنسية والحق الجنسي لا يبقى مكان للبيع والشراء بينهما. والغاء المهر لا يعني إلغاء عقد الزواج. وقد تبين لنا حتى الآن أن الشريعة الإسلامية لا تعتبر المهر من أركان العقد وإنما جرى التشديد عليه كحق للمرأة من جهة التصور الخاطئ الذي يجعل الجنس حاجة للذكر دون الأنثى، والعقد يصح بدون مهر بعد التأكد من أن المرأة تنازلت عنه طوعاً من غير إكراه أو خداع من جانب الرجل. ويسجل الزواج الصيني في الدوائر الرسمية المسؤولة عن هذه الشؤون.

أحادية الزواج في الشيوعية الصينية مطلقة. فهي لا تتضمن فقط إلغاء الضرائرة والتسري في غرارهما التقليدي القديم بل وتستبعد التعدد في شكله الغربي الحديث المتمثل في إباحة العلاقة الجنسية خارج الزواج للمرأة والرجل. إن نكاح الرهط (تعدد الأزواج) وزواج الضرائر ومكمله التسري كائن عند الغربيين في حق الزوجة إقامة علاقة جنسية مع غير زوجها وهي في عصمته وفي حق الزوج إقامة علاقة جنسية مع غير زوجته وهو في عصمتها. وهذا الحق كائن في العرف الاجتماعي وقد ينص عليه في عقود الزواج (انظر باب أشكال الزواج في القاموس الملحق). وتبشر به الصحافة الغربية، كما تنشر مجلات الجنس مقالات عن مزايا الخيانة الزوجية. ويجري ذلك ضمن الجنسانية الغربية^(*) التي تعتبر تصريف الطاقة الجنسية كتصريف البول والغائط داخل في قائمة الـ natural needs ولا يجوز ممانعته. والمعروف طبياً أن ممانعة البول

* استميج القارئ عذراً في حيرتي بين غربي وغربوي وغرباوي فأنا أسعى لتحاشي الخطأ المطبعي الذي يحول الغربي إلى عربي وهو سهل يتم بإهمال النقطة فقط رغم أن ما بين العرب والغرب يزيد على النقطة.

والبراز مضر بالصحة، وقد نهى الاسلام القضاة عن القضاء وهم حاقنون لأن هذا يربك أحكامهم ويعرضها للخطأ. وقالت العرب: "لا رأي لحاقن" وهو الممتلئ بالبول أو الغائط. وفي رواية عن بعض اللغويين وذكر فيه هذا القول بحضوره أضاف أحد الحاضرين: "ولا لمنعظ" فقال اللغوي: أثبتوه فهو صحيح! والمنعظ هو التهييج جنسياً. والفرق هائل بين الحاجتين. فخرج المادة المنوية يمكن مما نعته، وبقاؤها في الجسم لا يضر بالصحة والـ natural منه هو اتحاد الذكر والأنثى للأنجاب حفظاً للنوع. وهو يتم عند الحيوانات في مواسم معينة من السنة فقط. ومن هنا اتجهت الشيوعية الصينية في بناء حضارتها الجديدة إلى تهذيب الغرائز وتغيير الصورة المجونة للرجل الآسيوي في ركضه اليومي المحموم وراء المرأة وللجنسين الغربيين وهما يلتهان وراء بعضهما لهناءً أدى به تفجره النووي إلى التحام الجنس بجنسه في ساحة الـ homosexuality..

حرم الشيوعيون الصينيون العلاقة الجنسية خارج الزواج. ويشمل التحريم علاقات الشباب قبل الزواج. وقد سُمح بالتقائهما إذا قررا الارتباط بصدقة نهية لزواجهما. وهذه الصداقة هي بمثابة فترة الخطوبة. ويفترض أنها تنتهي بالزواج إلا إذا اختلفا بعد تعرفهما إلى بعضهما البعض فوجدوا أن ارتباطهما بالزواج غير ممكن وعندئذ تنتهي الصداقة. وقد تستمر الصداقة سنوات ويكون ذلك إذا بدأت قبل السن المسموح به للزواج وهو ٢٥ سنة لكليهما. وبالطبع تمنع العلاقة مع آخر أو أخرى في هذه الفترة كما تمنع بعد الزواج، وإرتباط أحدهما بعلاقة كهذه يعني الفصم التلقائي للصدقة. ويتعرض من يقيم علاقة بدون هذا الشرط إلى الاستجواب. وقد حضرت عام ١٩٧٨ محاكمة في بيجينغ حوكم فيها شاب بتهمتين: الأولى سرقة سيارة والثانية إقامة علاقة غير شرعية مع امرأة. وعقوبة هكذا مخالفة هي أدبية في المعتاد لكن الصينيين يستعظمون العقوبة الأدبية ويجعلونها كالعقوبة المادية.

ولتضييق هذا المبدأ منعت العلاقات غير المشروطة بالزواج بين طلبة الجامعات. وهي مختلطة. لكن الطالب يُمنع من دخول القسم الداخلي للطالبات. ويشمل هذا المنع الطلبة الأجانب "وضحاياهم" بالطبع هم الغربيون. وكان الطالب الغربي إذا أراد الاتصال بطالبة من بني قومه يأتي إلى مكتب الاستعلامات في قسم الطالبات ويذكر لهم اسم الطالبة التي يريد لقاءها. فيؤمر بالبقاء في المكتب ويعثون على

الطالبة لتأنيده وتكلمه أمام أعين الحرس حتى لا تجري بينهما خلوة محذورة!
يتنا أن المرأة الصينية لم تكن محجبة في الماضي وأن سفورها محتشم. إلا أن خضوع الصين للنفوذ الغرباوي ارتكس في نساء المدن من فئات البرجوازية الكومبرادور والبرجوازية الصغيرة المتعلمة فظهر التخلع في هذه الأوساط دون الأوساط العامة من أغلبية الشعب الكادحة. وانتشر البغاء على نطاق أوسع من الماضي، وهو موجود في كل وقت وفي جميع الحضارات بما فيها حضارة الإسلام العباسية، إلا أنه اتسع واستشرى في الصين مع دخول الغربيين إليها^(٥) والملاحظ في البلدان التي يدخلها الغربيون ويتنفذون فيها تفشي آتئين إجتماعيين متلازمين هما البغاء والتسول. وقد اختفت مظاهر التخلع مع تأسيس الجمهورية الشيوعية عام ١٩٤٩ وشنت حملة لتصفية البغاء قضت عليه تماماً وطبقت سيرورة إصلاح للبغايا بتأهيلهن للعمل السوي انتهت بادماجهن في المجتمع الشيوعي. وحدثني سيدة بريطانية من الفريق الأممي الذي التحق بالثورة الصينية في الثلاثينات أنها تعلمت اللغة الصينية في مدرسة كانت مخصصة للبغايا المستصلحات. وفيما يتعلق بالسفور فان التخلع قد اختفى كما قلت ومنعت النساء من لبس الكيمونو والملابس القصيرة والملابس المقسمة على الجسم. وانتشر في الثورة الثقافية نظام الزي الموحد فارتدت النساء، البنطلون الفضفاض والسترة العمالية الزرقاء وكان ذلك اسرافاً في إهمال مظاهر الأنوثة الطبيعية للمرأة. وهو من معافسات ماوتسي تونغ وزوجته الثالثة. والاتجاه العام للقيادة الشيوعية في جملتها هو ارتداء النساء للزي النسائي مع الحشمة وعدم البذخ والمباغة في الزينة. ولماوتسي تونغ قبل الثورة الثقافية شعر يمتدح به بنات المليشيا فيقول:

جراة وعزيمة وبنادق من سبعة اقدام
وضياء الفجر ينير ميدان التدريب
لبفات الصين همم اسمى
يخببن ملابس الميدان

* يسمى القرايون المرض التناسلي "فرنجي". جيم قاهرية. نسبة إلى مصدره الأوربي.

لا الحرير ولا الساتان(*)

لكن هذا كان اثناء التدريب وأداء الأعمال المنوطة بالمليشيا قبل أن يعمم الزي الجماعي في الثورة الثقافية. وكان ماو قبل هذه الزوبعة على إنسجام مع بقية أركان القيادة الشيوعية في هذه المسألة وغيرها.

ومُنعت التسريحات المتنوعة للشعر. فكانت الفتاة قبل الزواج تكتفي بصفيرة قصيرة واحدة ترسلها إلى الظهر فإذا تزوجت قصت الصفيرة واقتصرت على تسريحة الشعر القصير بلا ضفائر ولا خصل مُسدلة على البدن. وكان هذا زي الشيوعيات قبل إقامة السلطة. وكانت زوجة ماو الأولى تمشي بهذه التسريحة في شوارع شانغهاي متحدية الثقيلعات السائدة في (مدينة الفساد البرجوازي).

المرأة الصينية في وضعها الاجتماعي هذا أخذت على عاتقها نصف البناء الاشتراكي بالضبط. وقد تجاوزت بحضورها الشامل في مواقع العمل والانتاج نظيرتها في أوروبا وأمريكا الشمالية، مما عبر عنه المعجم الصيني الحديث في صيغة "بان ثيان ثيان" التي صارت من مرادفات اسم امرأة في الصينية الحديثة. وترجمتها: "نصف السماء". ولم يكن ذلك من باب الاستعارة البلاغية بل هو الواقع كما رأيته بنفسي بين بداية ١٩٧٧ وبداية ١٩٧٩ وهي الفترة الأولى من إقامتي في الصين.

فقد وجدت المرأة في كل موقع عمل وفي جميع مضامير الإنتاج عدا مضمارين: التعدين، والملاحة. الأول لما يتطلبه من جهد عضلي شاق لا يناسب المرأة والثاني لتجنب الأشكالات التي يسببها إختلاط النساء والرجال في الرحلات البحرية وهي تدوم في العادة مدة طويلة. وفيما عدهما كان حضور المرأة بالمناسبة في الأعمال الإعتيادية كالزراعة والصناعة الخفيفة. وبنسبة أقل في الصناعة الثقيلة، وبنسبة أكبر في صناعة النسيج وصناعة التحف والخزفيات، وهي مرفق تقليدي كبير الأثر في الإقتصاد الصيني.

* هكذا في الترجمة العربية التي أجريت بإشراف المرحوم الأستاذ سلامة عبيد. والنص الأصلي:

بو آي خون نُجوان

آي وو نُجوان

حرفياً: لا يحببن الفساتين الحمراء بل يحببن ملابس الميدان.

ويتفوق عددهن في الخدمات الطبية فيزيد عدد الطبييات على عدد الأطباء بأكثر من النصف. وتظهر المستشفيات الصينية في كثير من الحالات وكأنها مستشفيات نسائية! لكنها تعالج شتى الاختصاصات. على أن الجراحات أقل من الجراحين بنسبة عالية وقد بدا لي أن نساء الصين لا يملكن الجرأة الكافية لبقر البطون وقطع الأوصال وإعادة تركيبها.. لكن الفتاة الصينية بنت العشرين تتجراً على إدارة رافعة عملاقة إذا وقف الإنسان تحتها لا يكاد يبصر ملامح سائقها لارتفاعها. وقد عشت في لندن حولاً قميصاً فلم يقع نظري على امرأة تسوق حافلة أوشاحنة فالبريطانية لا تسوق غير سيارتها الخصوصي الصغيرة، لكن فتيات بيجينغ يتقاسمن الحافلات الضخمة مع الرجال. والحافلة في بيجينغ مزدوجة لكي تتسع للعدد الاستثنائي للركاب. أما المحصلون في الحافلات فهم نساء بنسبة تزيد على التسعين بالمائة.

واعتمدت الخدمات الفندقية على النساء كنسبة غالبية. ومضيفو الفنادق والمطاعم نساء في المعتاد. وملا بسهن هي نفسها ملابس غيرهن من المشتغلات في المطارح الأخرى سوى أنهن يرتدين قمصان بيضاء ولا يستعملن الزواقة. وقد خلت مواقع العمل الفندقي من الفضائح الجنسية. كما خلت منه مطارح العمل والانتاج في غيرها. ويأتي هذا الوضع كاستمرار وتكريس لطهرانية الشيوعيين الصينيين؛ فاشترك المرأة في حرب التحرير والنضال السري لم يقترن بالانحلال الجنسي، ويخلو تاريخ القيادة الصينية من أخبار العلاقات غير الشرعية في مرحلتي الثورة والسلطة. وانفرد ماوتسي تونغ بتزوجه مرتين بعد زوجته الأولى القتيلة. وهذا فقط! وما نتحدث به بعض وسائل الإعلام في الغرب عن مغامراته يندرج في سيرورات تزوير التاريخ التي يتبادلها الخصوم من شتى الأمم وشتى الطبقات^(٩). وفي النزاع الذي اندلع بين الشيوعيين الصينيين لا سيما في عقد الثورة الثقافية وما بعده في الصراع مع جماعة الأربعة نشرت فضائح كثيرة مدّعاة من فريق السلطة ضد الفريق المتحى ولم يكن من بينها فضائح جنسية مما تعودنا على سماعه في مواسم الانتخابات في الغرب. لقد كان بالإمكان اتهام ليوشاوشي بالتجسس لليابان ويمشي الإتهام وسط الضجيج الغوغائي للشيوعية الستالينية لكن إتهامه بعلاقة جنسية كان سيقابل بالبرود من

* إن الغرب الذي يدستر الشذوذ الجنسي يستخدم الفضائح الجنسية في السياسة أكثر من الشرقيين.

الجمهور الصيني الذي لم يألف مثل هذه الحكايات.

في السياسة لم يكن للمرأة الصينية موقع متميز. وهي لا تتفوق في ذلك على المرأة في الغرب وتتفوق عليها المرأة في بلدان القارة الهندية المجاورة وهي الهند وباكستان وسري لانكا. ولو أن التفوق في زاوية معينة لا يؤثر تقدماً في الزوايا الأخرى ما لم تتكامل. ويلاحظ بوجه عام أن المرأة في أي مرحلة من التاريخ وفي أي حضارة وقفت متهية أمام ساحلين: ساحل السياسة وساحل الفلسفة. وقد تحدثت عن المرأة والفلسفة في الفصل السابق، ويبدو لي أن السياسة هي الأخرى موقع تهابه المرأة رغم التجارب الناجحة التي سلفت لها في الحكم. مهما يكن فالمرأة الصينية لها حضور في البرلمان الصيني يبلغ حوالي الربع ولو أن النشاط البرلماني في الصين لا يكاد يذكر والهيئات النيابية هناك شأن غيرها في بقية البلدان الاشتراكية هي أجسام عديمة الظل.

وأوجد الشيوعيون حلول جذرية لمشكلة رعاية الأطفال عند غياب الأبوين في العمل فألحقوا في كل مرفق انتاجي دور حضانة ورياض أطفال تشرف عليها شغيلات متفرغات. ويكون الأطفال في نفس الوقت على مقربة من أمهاتهم اللواتي يستطعن أن يتفقدنهم في الفترات ويمكن للمرضع منهن أن ترضع طفلها عند الحاجة. والرعاية مجانية.

هكذا وقفت الشيوعية الصينية بين التحرر والصيانة فأنزلت المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج لتحقيق إنسانيتها الكاملة في مشاركة الرجل ما كان مجالاً خاصاً به وجعلتها سيدة في نفسها وفي عائلتها وفي مجتمعتها. وصانت كرامتها الأنثوية عن الامتهان بإلغاء المهر والبغاء وتقييد العلاقات الجنسية خارج الزواج. وفي الحياة العامة كانت العلاقات الطبيعية تجمع بين الجنسين. ومن النادر جداً أن تتعرض المرأة للمضايقة خارج منزلها. والتعريض بها في الكلام نادر أيضاً. وعلى كثرة الحسان فيهن (*) فهن لا يلفتن نظر الشباب. وتجلس الطالبة مع الطالب في الجامعة فلا يشعر أحد أن الجالسين هما ذكر وأنثى. وكانت عريية محجبة من جارائنا لا تتحجب من الرجال الصينيين ولما سئلت عن ذلك قالت: ذولا مش رجال! وتخلو شوارع المدن من العبارات الجنسية التي تملأ الجدران في المدن البريطانية. وبينما يشعر المرء وهو

* قال ابن بطوطة في أحاديثه عن الصين أنها "بلاد فساد وحسن فائق".

يطوف في شوارع لندن أن ثورة جنسية على وشك الحدوث لا تجد في شوارع العاصمة الصينية ما يُشعرك بانقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى..

لكن الشيوعية الصينية قصرت في توفير فرص الزواج للمرأة. ولم يظهر الشيوعيون الصينيون تقدير جيد لمشكلة حرمان المرأة من حقوقها الجنسية كالذي أظهره المسلمون. ويرجع ذلك إلى انشغالهم بالبناء الإقتصادي وما تخلله من صراع سياسي بينهم وقد تفاقمت أزمة الزواج في السنوات الأخيرة وارتفعت نسبة العوانس. والجمهورية الحالية غير معنية بهذه المشكلة بعد أن فككت النظام الشيوعي في الاقتصاد وتبعاً له في المجتمع وسعت لاقامة نظام إجتماعي مستوحى من الحضارة الأمريكية حيث تأخذ الحقوق الجنسية للمرأة سبل توفيرها خارج مؤسسة الزواج. ويعيش النظام الإجتماعي الصيني حالة بلبلة بانتقاله السريع والجذري من منظومة قيم إلى أخرى. وتفصيل ذلك يخرج بنا عن الصدد. مهما يكن فإن تجربة الشيوعية الصينية في مجال تحرر المرأة هي تجربة رائدة للتحرر النسوي المؤنس والمتحقق في مدار مجتمع تحكمه العلاقات الشيوعية بطهرانيتها الموروثة مع ما فيها من مقومات تطور إرتهنت بإعادة الاعتبار للمرأة ونقلها من حافة منزلية كما كانت في الماضي ومن سلعة للبيع والشراء كما هي اليوم في الغرب إلى عنصر بشري فاعل في الحياة ومساهم نشيط في حركة التاريخ. ويمكنني المراهنة أن عودة الشيوعية إلى الصين ستعيد معها هذا الفرار البشري للتحرر النسوي. إن تجربة حية تعتمد على مثل هذا العمق الحضاري الهائل لشعب مُعْرِق في منظومات القيم الإجتماعية الكبرى يستحيل شطبها بقرار صادر عن هيئة حاكمة تحكم بناء على مرجعية دولية لم يعرفها الصينيون في ماضيهم ولا حاضرمهم وأغلب الظن أنهم لن يتعرفوا عليها في المستقبل.

قاموس المرأة

مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

القسم الذي ينشر هنا من معجمنا الكبير يوفر غراراً للدراسة والتقييم لمشروع لاسابق له في المعجمية العربية الحديثة، وهو بالتالي مشروع خلافي قابل للاخذ والرد والتخطئة والتصويب. واتوقع من المعنيين بمشكلات اللغة العربية ان يبينوا آراءهم فيه للاستفادة منها في تقويم العمل وتقريبه من الكمال. وسأتابع ما يكتب في الصحافة إن كتب، ويسرني ان اتلقى الملاحظات الشخصية على عنوان الناشر، دار الكنوز الأدبية

المؤلف

رموز ومصطلحات

الأساس	اساس البلاغة للزمخشري	مص	اللهجة المصرية
اه.	انتهى.	المحيط	محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني
التاج	تاج العروس في الشرح على القاموس لمرتضى الزبيدي	مُخَدَّثَة	ما أحدثه العرب في العصر الحديث من مفردات
ج	جمع	مستحدث	محدث في العقود المتأخرة من هذا القرن ولم تتضمنه المعاجم الحديثة
جج	جمع الجمع	مولَّد	ما ظهر من لفظ بعد عصر الرواية او ما غُيِّرَ عن معناه الى معنى آخر محدث.
خياط/مرعشلي	ملحق لسان العرب المطبوع معه ليوسف خياط ونديم مرعشلي		
سذن	اللهجة السودانية		
سط	لهجة سوريا الطبيعية (بلاد الشام)		
عق	اللهجة العراقية		
عامي	لما هو ملفوظ في اكثر من لهجة.	الوسيط	المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة.
فُرْجحة	أنيس فريجة في "معجم الالفاظ العامية"	باء باريس	الباء التي تلفظ على شاكلة الحرف p اللاتيني.
القاموس	القاموس المحيط للفيروز أبادي		

ملحوظات

- المنتقى في هذا القاموس من اللهجات غير مستوفى تبعاً لكل لهجة بالنظر لعدم قدرتنا على جمع اللهجات العربية جميعها بل وتعذر الاحاطة بلهجات البلد الواحد. وحيثما وردت اشارة الى لهجة معينة بنسبة مفردة ما إليها فلا يعني هذا بالضرورة اقتصارها على تلك اللهجة. فليلاحظ.
- لفظ الحروف العامية يختلف حسب اللهجات. وقد نبهنا على ذلك في مقدمات المعجم.
- معجمت المترادفات من العامي كما من الفصحى ضمن خطة للمعجم في اثناء المفردات والتيسير على الكتاب في اختيار مفرداتهم تبعاً للمقتضيات المتعددة للغة الكتابة.

الكتاب الأول العائلة

الباب الأول

المرأة

الفصل الأول

تسميات المرأة

كذلك في مصر كما عند عرب بخارى.
نساء جمع امرأة. متطور عن سامية أقدم.
ففي العبرية "نشيم" و المفرد أشه على غير لفظ
الجمع كما في نساء وامرأة. والنساء متطورة عن
نشيم. و لجمع النساء صيغتان اخريان هما نسوة
ونسوان. ونساوين (جمع). عامي والمستعمل في لغة
الكلام نسوان ونساوين.
النسبة القياسية الى امرأة لم تستعمل والشائع عند
المعاصرين هو نشوي ونسائي. يقال: ملابس نسائية
وشئون نسائية أو نسوية وطب نسائي واتحاد نسائي...
ملحوظة: تسميات الانثى بحسب مراحل
العمر تجدها في كتاب الانسان. وقد اجتزئت
تسميات المرأة في هذا الجزء من ذلك الكتاب.

مَرَاة: مؤنث مرء. واختصت بالانثى مقابل
الرجل.

إمرأة: مؤنث إمرأ. بنفس المعنى. والنسبة
إليها إمرأتي.

مَرَّة : امرأة. قال أبو طاهر القرمطي:

يابني العباس من ينصركم

اصبئي ام خصي ام مرة

وهي الدارجة في العامية المعاصرة. والنسبة
إليها مَرَّتِي.

مَرَاة مخفف مرأة. وترد في العامية المعاصرة
منسوبة في الغالب : مَرَاتِي. ومرأة فلان . وهي

الفصل الثاني

القاب المرأة في الخطاب والتكريم

فينظرُ لي النحاة بعينِ مفتٍ
يروونَ بانني قد قلتُ لحناً
وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن عادةً ملكت جهاتي
فلا لحن اذا ما قلت ستي

وهنا يرجعها البهاء زهير الى يا ست جهاتي.
لكن اختزالها من سيدتي هو الأخرى بالقبول ولو
أنها لم تقف عند النداء بل تعدته الى اللقب. كما
نُقل في الشرح عن عيسى الصفوي. وهو الدارج
اليوم. ومن الكنايات اللبنانية: "أولاد الست وأولاد
الجارية" في الكلام على التمييز بين الناس في
المعاملة

خالة خطاب الصغير والصغيرة للكبيرة
الغريبة عنهما.

هانم سيدة (مصر) من التركية

خانم صيغة فارسة للهانم

خاتون سيدة. مغولية/ استعملت قديماً مع
انتشار المغول في العالم الإسلامي وهي مؤنث
خان. ج خواتين.

سيدة مؤنث سيد. خطاب او لقب يكثر في
العصر الحاضر ويختص بالمتزوجات. ج سيدات
آنسة للعدراء عند المعاصرين. و تخاطب بها
المعلمة في سوريا بصرف النظر عن وضعها
الزوجي. ج اوانس وآنسات. البحري:

يامن راي البركة الحسناء رؤيتها

والآنسات اذا لاحت مغانيها

وأصلها، وهو ما عناه البحري، الفتاة الطيبة
النفس المحبوب قربها والمأنوس حديثها.
ميت لقب عام للنساء.

وفي تخريجها يقول الفيروز أبادي: "ستي
للرأة اي يا ست جهاتي او لحن والصواب
سيدتي" وفي شروح القاموس برد مايلي: "قوله
الصواب سيدتي ويحتمل ان الاصل سيدتي
فحذف بعض حروفه قاله الشهاب القاسمي ونقل
شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه ينبغي أن
لا يقيّد هنا بالنداء لانه قد لا يكون نداء. قال
والظاهر ان الحذف سماعي وان النداء على التمثيل
لا انه يُقيد كما توهموه. وانشدنا غير واحد من
مشايخنا للبهاء زهير:

بروحي من اسميها بسثي

الفصل الثالث

حقوق المرأة وأوضاعها الاجتماعية

دفاعهم عن النساء.

نصف السماء: بان ثيان ثيان: وصف للنساء يستعمله الشيوعيون الصينيون في دفاعهم عن دور المرأة في الحياة البشرية. وهو شائع في الصين كمرادف للمرأة ويتردد في منشوراتهم العربية بترجمته الحرفية المثبتة هنا.

حرائر تقال في الاصل للنساء من غير الاماء. وتعمم على النساء مدحاً. قال المعري ينهى عن زواج الضرائر:

قراكن ما بين النساء اذية

لهن فلا تحمل لانة الحرائر

ولشيخنا عبد المعين الملوحي من قصيدة في الهند:

احب امرؤ القيس الحرائر نُفماً

فلم ير احلى في الحرائر من هندو

استعمل الحرائر مدحاً وليس لتمييزهن عن الاماء لان الاماء لم يعد لهن وجود.

خزومة كناية عن المرأة على زنة فعلة من الحرام. وهي كالحریم و الحُرْم وتطلق اليوم على المرأة غير الشابة والعامية البسيطة. وسمعت خطاباً للشاعرة نازك الملائكة سخرت فيه من تسمية المرأة حرمة لما فيه من الاشعار بضعفها واستضعافها

خَظْل غيرة الرجل على المرأة ومنعها من التصرف. وأصل الخَظْل الحجر على الغير ومنعه من الحركة والتصرف والمشي. وخَظْل عليها يحَظْل فهو خَظُول: غار عليها ومنعها من الظهور للرجال. غُفِر دية المرأة المغتصبة يدفعها المغتصب. ومهر الجماع عن شبهة.

عَظْل منعها من الزواج. (راجع الكتاب الثاني - الزواج)

معيوفة امرأة عافها زوجها من غير أن يطلقها. (عق)

حجاب بيثر المرأة لجسدها وسُعرها. وقد يشمل ستر الوجه. وهي محجبة

سُفور القاء الحجاب. وهي عند المعاصرين سافرة. (للمزيد انظر الباب الثاني من كتاب الحب والجمال)

خَلْع عامية للسفور غير المحتشم تظهر فيه اجزاء من الجسم غير المهدودة في السفور التقليدي. يقولون: فلانة تلبس خَلْع. وفلانة مخْلعة ..

نِشوية يضعها بعض الكتاب والمترجمين مقابل feminism ويراد بها الانتصار للمرأة والعمل من أجل حقوقها ومن يقوم بها هو النِشوي أو نصير المرأة مقابل feminist وهم نسويون أو انصار المرأة. ويقابلها جنسوية sexism للتحيز ضد المرأة. وقد تكون للتحيز من الجنسين ضد بعضهما البعض.

نصف اجتماع وصف يستعمله النسويون في

الباب الثاني

العائلة

الفصل الاول

تسميات عائلة

الاقربين وأختصت بفاطمة واولادها الذين استمرت من خلالهم سلالة النبي. يقال عترة الرسول ولا يقال عائلة الرسول. آل أهل الانسان وعشيرته الاقربون. وتقارب الاسرة. يقال: آل فلان وأسرة فلان. **أهل** أهل الانسان اسرته وذوو قرياه. ج اهلون. شاعر:

وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوماً ان ترد الودائع
والأهلون في هذا البيت هم العائلة فهو ينظر فيها الى قول القرآن: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" وتكسيها "أهالي" يفيد معنى آخر يرد في كتاب المجتمع - باب الاقوام والتجمعات السكانية. حاقمة خاصة الانسان من اهله وولده. **ذوو** آل وأهل. يقال: ذوو فلان أي اهله واقرباؤه لعل أصلها ذوو الارحام فاخترلت . ملحوظة المفردات: اسرة، عترة، آل، أهل، حامة، تتقارب تعريفاتها في المعاجم. وفي الاستعمال تتقارب اسرة مع آل وأهل وذوو. ويندر استعمال عترة وحامة. واستعملت اسرة كما مر للسلاطة الحاكمة ايضاً. ويستعملها بعض المعاصرين مرادفاً للعائلة بتأثير بعض اللغويين الذين يعتبرون ان عائلة ليست عربية النجار.

عائلة من يضمهم بيت واحد من الآباء والابناء ومن يليهم من الأقارب. وهي أصغر وحدة اجتماعية. مولدة. تجمع على عوائل وعائلات. والاول شائع في لغتي الكلام والكتابة والثاني في لغة الكتابة يلجأ اليه الكتاب والمحرون بسبب شيوع الاول على ألسنة العامة.

عيال أفراد العائلة المعالون عدا من يعيلهم. وفي الحديث: " الخلق كلهم عيال الله " والعيال جمع عيّل ومفردها غير مستعمل بهذا المعنى وإنما يستعمله المصريون بمعنى الطفل.

عيلة، بامالة الياء، عائلة (عامية). من مفردات الف ليلة وليلة.

أشرة يضعها المعاصرون مرادفاً للعائلة. وتعريفها عند المعجمين أهل الانسان وعشيرته الأقربون. وتأخذ في الاستعمال المعاصر معنى آخر تكون فيه أوسع من العائلة بحيث تمتد الى السلالة فتستعمل للسلالات الحاكمة فيقال اسرة تانغ واسرة مينغ في الصين ويقال: الاسرات الفرعونية. والجمع اسرات مستحدث وقياسية أستر. ولا يقال عائلة تانغ والعائلات الفرعونية. ويستعملها المعاصرون أيضاً بمعنى الآل (انظر المادة).

عترة نسل الانسان ورهطه وعشيرته، وفي الحديث: "ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي." وتشمل حسب المفسرين أهل بيته

الفصل الثاني

أفراد العائلة

ج بنات. وتقابل بنين. يقال مدارس مختلطة للبنين والبنات...

نَجَلُ ابن. ج انجال. ويستعملها المعاصرون للتكريم. يقولون: نجل الشاعر ونجل الرئيس ونجل الفقيه...

كريمة كناية تكريمية عن الابنة لا ترد الا مضافة فيقال هذه كريمةتي وهذه كريمة فلان. وفي "اسباب النزول" للواحدي النيسابوري في سبب نزول "الرجال قوامون على النساء..." ان زوجة سعد بن الربيع نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها الى النبي وقال له: "يا رسول الله افرشته كريمةتي فلطمها.." ولا يقال: فاطمة كريمة محمد لانها لا تحل في النسب محل بنت.

اولاد البنات والبنون كبيرهم وصغيرهم. تقابل الانجليزية children

وُلْدٌ، بكسر الواو وضمة واو وسكون اللام، اولاد. وهكذا ترد في (عق). وهي في الاصل للمفرد والجمع. ويستعملها الموريتانيون وبعض أهل البوادي بمعنى ابن. يقولون: مختار وُلْدُ دادة اي مختار بن دادة. ومن شواهده القديمة بهذا المعنى:

فليت فلاناً كان في بطن امه

وليت فلاناً كان وُلْدَ حمار

والولد يفتحان للمفرد والجمع أيضاً ويقلب في لغة الكلام المعاصرة على المفرد. ومن شواهده القديمة:

كلامها خلف عن فقد صاحبه

هذا اخي حين ادعوه ونا وُلْدِي

أب بالتخفيف. وقد يشدد كقول دُعِيل الخزاعي في المعتصم:

ومك تركي عليه مهابة

فانت له ام وانت له اب

ج آباء. وقد يعمم الجمع على الاجداد والاسلاف.

والد أب

أُمُّ بالتشديد. وتجمع على أُمّهات اذا أُريد بها امهات البشر وعلى أُمّات لما يخص الحيوان. المعري:

ولبيض امك ارادت صريحه

لابنتها دون الغواني الصريح

والدة ام

الأبوان و الوالدان الام والاب. ج والدون

إِنَّ للولد الذكر. الجمع ابناء وبنون. وقد ترد ابناء بالمعنى العام فترادف الاولاد. وبمعنى آخر يقول المعاصرون: ابناء الشعب وبناء حارتنا او بلدنا او بلدتنا. ويريدون مجموع الاهالي والجمهور ودلالة بنين حاصرة على الذكور. يقال: مدارس البنين ومدارس البنات. اصل ابن هو بن المشتركة في الساميات عدا الآرامية. وتحذف الهمزة عند الاضافة فيقال احمد بن محمد وتلفظ ابن.

إِثْنَةُ مؤنث ابن.

بِنْتُ الأنثى في باكورة العمر. ويعممها بعض العامة على العذراء حتى تتزوج. وترد بنت بمعنى ابنة في النسبة فيقال "فاطمة بنت محمد" وقلما يقال: فاطمة ابنة محمد لا ستقالهم اياها.

ضَنَا اولاد.(عامية) والأصل ضَنْءٌ وضَنُو.
ويخاطب بها المصريون أولادهم فتقول الام لابنها
: يا ضنائي.

ضَنَايا ضنا (مغ)

حفيد ابن الابن وابنة الابن. ج احفاد
وحفدة. ويستعمل المعاصرون حفيدة للأنثى
ويجمعونها على حفيدات.

سيط الحفيد وابن وابنة البنت. واستعمل في
عربية الاسلام للدلالة على ابن وابنة البنت ومنه
قولهم: الحسين سبط الرسول، وسيط ابن المجوزي ابن
بنته من كبار المؤرخين وسيط ابن التعاويذي من
شعراء القرن السادس وعبد الكريم الجيلي خاتمة
اقطاب الصوفية وهو ابن سبط عبد القادر الجيلي. ج
اسباط.

ذُرِّيَّة تطلق على الاولاد الصغار المباشرين
للولدين، وعلى النسل البعيد. يقول العامي: "أريد
ذرية" اي اولاد. ويقال: ذرية آدم اي نسله. وعن
ثعلب أن الذرية نسل الثقلين الانس والجن. وفي
القرآن: "ذُرِّيَّةٌ من حملنا مع نوح" في اشارة الى
موسى وبني اسرائيل بوصفهم من نسل الذين نجوا
من الطوفان. ج ذراري ويستعمله المغاربة بالبدال
في معنى الاولاد.

نَسل الاولاد المباشرين والذرية البعيدة.
ويغلب عليه المعنى الاخير. سلم رجل على أبي
العيناء الاديب الاعمى فسأله: ممن الرجل؟ قال:
من بني آدم. فقال ابو العيناء: مرحباً بك فوالله ما
كنت اظن هذا النسل الا قد انقطع. ويقال: فلان
نسل فلان او من نسله فلا يراد به أنه ابنه بل من
أحفاده. ويستعمل الجمع أنسال في مباحث
الارتقاء الدارويني.

عَقِب ، فتح فكسر، الولد يبقى بعد الوالد.
وأعقب فلان : ترك عَقِباً اي ولداً أو أولاداً من
صُلْبِهِ. وفلان لم يُعَقِب اذا لم يكن له اولاد.

جد ابو الاب وابو الام. ج جدود واجداد.

ويعمم الجمع على الاسلاف.

جَدَّة ام الاب وام الام. ج جدات.

تَيْتِه بامالة الياء: جدة في (سط) و(مص)
ويقولون ايضاً: ستي

يبيي جدة في لهجة بغداد وما حولها وفي
بعض اللهجات التونسية. من الفارسية وفي
الجنوب جدة ويَدَّة بابدال الجيم ياء على لغة
تميم. ويقول التوانسة ايضاً عزيزة وهي للتحب
اكثر منها للتسمية.

نانة خطاب للجددة والمرية(عامي)

ملحق ١

مفردات النداء والخطاب

يا أبت صيغة نداء قديمة.

يا أبي صيغة نداء متداولة قديماً وحديثاً.

بابا نداء للمعاصرين يكثر عند اهل المدن من
الأغنياء والمتعلمين. وهي عامة في معظم اللغات.
يا بابا يحذف الهمزة. نداء قديم للاب يكثر
اليوم في البوادي والارياف.

بُويا يحذف همزة اب واشباع فتحة الياء،
نداء لاهل البوادي والارياف. وقد يستعمل في غير
النداء كما في هذا الشعر الشعبي الجزائري
لمصطفى صحراوي:

☆ بويـا سراج ومنـبـع حـنـان☆

يا إمي بكسر الهمزة، نداء للام في(سط)
وكسر همزة ام لغة قديمة.

ماما نداء للام يتوازي مع بابا عند من
يستعمله.

يِّمَّة ويِّمَّة مختزل "يا أمه"، نداء قديم نص عليه
الحليل يكثر في العراق والسودان والبوادي
والأرياف.

يُنَيّ على التصغير نداء قديم للابن.
ابني ويا ابني نداء شائع للابن كما في اغنية
وديع الصافي :

الله يرضى عليك يا ابني
بنتي ويا بنتي نداء للبنات من الوالدين. وفي
بعض اللهجات تدغم النون في التاء.
يُنَيّي بنتي على التصغير للتجيب. وتسكن
الباء وتخفف الياء في بعض اللهجات المعاصرة.

ملحق ٢

مفردات وافعال تخص ماسبق

أمومة مصدر أم وأبوة مصدر أب وبثوة
مصدر ابن وبنت.
أُمْتُ فلانة تَوَمّ، على الفعل اللازم، صارت
أماً.

أبا فلان يأبُو، على الفعل اللازم، صار أباً
ويقول القدماء: ماله اب يأبوه.
تأبى أباً واستأبى اتخذ له أباً. وتأبى فلاناً:
اتخذاه أباً له.

بَتَوِي نسبة الى الابن.
ابو يني في النسبة الى الابوين. "والعم
الابويني" من مصطلحات المواريث في الفقه.

أُمومي نسبة الى الأم
أبوي نسبة الى الأب
بنتي نسبة الى البنت

بَنَاتِي نسبة الى البنات. يستعملها العوام
والتجار للون والطراز الملائم لذوق البنات والفتيات
من الملابس ونحوها.

وَلَادِي نسبة عامية الى الاولاد للملابس
على غرار بناتي. والاصل القياسي أولادي.
نَجَلُهُ ينجله : ولده. نادرة. ومن شواهدنا
القليلة عند القدماء:

انجب ليأتم والديه به
اد نجلاه ونعم ما نجلا
ومن شتائهم : قبح الله نأجله اي والديه.
نَسَل ينسلي وأنسل يُنسل: صار له نسل كثير
تناسلوا يتناسلون: توالدوا وتكاثروا
تناسل: انتاج النسل. الحفاظ على النوع.
تناسلي: يراجع في قاموس الطب.
تكاثر: تناسل. (مستحدثة) بهذا المعنى
وتغلب على التناسل غير البشري. يقال: تكاثر
النبات وتكاثر الحشرات.....والفعل: تكاثر يتكاثر.
بمعنى تناسل يتناسل.
توالدوا: ولد بعضهم بعضاً كتناسلوا

الفصل الثالث

تسميات الزوجين

ويقال للزوج حليل ومنه المنسوب الى عنترة:
وحليل غانية تركت مجادلاً.
والحليلة أكثر تداولاً.
طَلَّة كناية قديمة عن الزوجة استعمالها الشعراء
في الجاهلية وصدر الاسلام. لعل المراد بها الواحدة
من الطل وهو الندى. ومن شواهد اللسان:
واني لمحتاج الى موت طلحتي
ولكن قرين السوء باقٍ معمر
وفي الاساس : امرأة طلة اي حسنة نظيفة
ومنه طلة الرجل لامرأته.
شاعة زوجة. وردت في سؤال سيف بن ذي
يوزن لعبد المطلب حين وفد عليه للتهنئة بطرد
الاحباش من اليمن سأله: هل لك من شاعة؟ قال
للغويون لانها تشايعه. وليس بقوي. فلعلها من
لغات اليمن القديمة. ويمكن تلمس علاقة لها
بالكلمة العبرية إمّشه وتعني المرأة والزوجة.
صَرَّة، بفتح الضاد، الزوجة الاخرى في نظام
الزواج الضرائري. ج ضرائر.
حَرَم كناية عن الزوجة يستعملها المصريون مضافة
الى اسم الزوج. يقولون: حرم فلان اي زوجته.
مُعَزَّة في اساس البلاغة: يقال لامرأة الرجل
معزته. وانشد يعقوب:
معزيتي عند القفا بهموها
يكون نكبي ان اقول نريني
وسمعتها من الفلاحين العراقيين، يقول
احدهم: مُعَزَّتِي والمُعَزَّة في الكناية عن زوجته.
شُرَّة جارية تعاشر كزوجة. ج سراري.
شاعر من العباسي الاول:
ان اولاد السري
كثرت يا رب فينا

زوجة للمرأة. ونقل ابن سيدة عن الكسائي
أن كلام العرب عليها. وانفرد الاصمعي بانكارها.
ومن شواهدا في اللسان:
يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم
ان ليس وصل انا انحلت عرى الذنب
وقول الفرزدق:
وان الذي يسعى يحزّش زوجتي
كساع الى اسد الشرى يستبيلها
زوج للرجل. ج ازواج. ويستعمل زوج
لكليهما في حالات مخصوصة تمس الطرفين كما
في هذا النص من قانون الزواج السوري
للكاثوليك: "عند الافتراق يجب أن يربى
الاولاد لدى الزوج البريء واذا كان احد الزوجين
غير كاثوليكي فلدَى الزوج الكاثوليكي."
الزوجان كلاهما
بَقْل زوج. في القرآن "وان امرأة خافت من
بعلها نشوزاً". ج بعول. وبعل في الساميات
القديمة تعني السيد والرب وفي العبرية والسريانية
اطلقت على الزوج كالعربية
عقيلة يستعملها المعاصرون اسم تكريم
للزوجة يقولون " فلانة عقيلة فلان". وأصل
العقيلة يجمع بين السيدة المصونة في المنزل
والزوجة الكريمة وسيد القوم من الرجال. ويقتصر
استعمالها المعاصر على الزوجة للتكريم. ج عقائل.
قريبة زوجة. ترد غالباً مضافة: قريتي وقريبة
فلان.
حليلة زوجة. قال محمود سامي البارودي
يرثي زوجته:
يا دهر فيم فجعتني بحليلة
كانت خلاصاً غنّي وعتادي

الفصل الرابع

حالات الاولاد

النفل فالمولود خارج العلاقة الزوجية.
لقيط مولود يعثر عليه منبوذاً فيكون مجهول
الابوين. ج لقطاء.

وَلَدٌ مَلَاعِنَةٌ ولد يولد من زوجة اتهمها
زوجها بالخيانة فتلاعنا وانفصلا. وله أحكام في
فقه المواريث.

توأم من ولد مع آخر في بطن واحد. يقال
فلان توأم فلان، وهما توأم وتوأمين وهم توأم.

خديج من وما ولد قبل اكتمال نموه في
الرحم. وفي حديث الزكاة "في كل ثلاثين بقرة
خديج" اي ناقص الخلق في الاصل كما في
اللسان ومراده تباع عبر به عنه لانه كالخديج في
صغر اعضائه ونقص قوته. واستعاره مجمع القاهرة
للعضو من النبات او الحيوان لم يكتمل خلقه
وسمي في موضعه من قاموس النبات والحيوان .
وتختلف المعاجم في الخديج بين عدم اكتمال
الحلقة وعدم اكتمال المدة وما اخترناه هو المفهوم
في علوم الاحياء.

يَتْن من ولد معكوساً فخرجت رجلاه قبل
رأسه. وهو المنكوس ايضاً. ويسمى في (سط)
مَقْعَدِي وفي (عق) خَيْال وهو الفارس..

حَمِيل من أخذت أمه من دار الحرب وهي
حامل به وولدت في دار الاسلام. ويضعه المترجمون
اليوم مقابل foetus وهو خطأ صححناه في
موضعه من كتاب الانسان من هذا القاموس
باستقصاء مفردات الجنين في اصول العربية.
والحميل بمدلوله الأصلي يتسع لما هو في حكمه

يَكْرُ بَاء مكسورة، اول مولود للابوين او
احدهما.

يُثْنِي من يأتي بعد البكر والعراقيون يقولون
يُثْنُو

قُعْدَةٌ: آخر الاولاد الذي تقعد بعده المرأة عن
الانجاب. وفي (عق) بذر القُعْدَة.

عَجْزَةٌ ، عين مكسورة، المولود لاب مسن.
وأنشدوا:

عجزة شيخين يسمى معبدا
ابن حلال ابن شرعي. وهي بنت حلال.
وتقال للمدح بالسلوك الحسن. (محدثة)

نَفْلٌ وَنَيْلٌ وَنَغِيلٌ: ابن زنا. وهي نفلة. والنفل
بتسكين الغين هو الدارج في لغة الكلام والكتابة
المعاصرة. وبناه الجواهري على المفعولية فقال يهجو
ساطع الحصري:

ومنغول من القتلار وغد
تراضع والسوغلة في فُلولي
وقد ظلم التاتار فهم شعب فيهم الصالح و
الفاسد.

ابن حرام نفل. (محدثة) ووردت اولاد
الحرام في شعر عباسي:

هذا لا اولاد للخطايا و البغايا والحرام
سَفِيح ابن سفاح. وليس هو النفل حصراً
لانه قد يكون من زوجة لكنها غير شرعية كالجمع
بين الاختين او سيفاح المحارم. يقال تزوجت المرأة
سيفاحاً اي بلا سُنة ولا كتاب. لكنه زواج. اما

من مواليد تحملهم الام في بلد وتلداهم في غيره.

فَلْيُون مصطلح في قانون الاحوال الشخصية المسيحي ويراد به الولد الذي يقدمه الرجل للمعمودية فيكون الولد فليونه وهو عزابه. والبنت فليونة والمرأة عرابتها. (إيطالي) ويحرم زواج العراب من فليونته والعرابة من فليونها.

فُذُوع الذي امه اشرف نسباً او أعلى مكانة من ابيه ومنه قول الشاعر يهجو بني باهلة ويمدح بني حنظلة:

انا باهلي تحته حنظلية

له ولد منها فذك اللذع

هجين عكس المذرع وهو من ابوه اعلى مقاماً من امه. ويقال عادة لمن امه غير عربية وله استعمالات حديثة تراجع في كتاب الانسان من هذا القاموس واخرى في قاموس النبات والحيوان.

زوب وريب ابن الزوجة. والاول غير دارج والثاني يختلط في المعاجم بالراب لكن اكثر النصوص القديمة على الريب وكونه ابن الزوجة وهكذا هو عند المعاصرين وهم يستعملونه في كناياتهم كقولهم: "الحاكم الفلاني ريب الاستعمار" ومنه قول الجواهري يرثي زعيماً وطنياً عراقياً:

حرب على مستعمر وريبه

وكان محمد بن ابي بكر ريب علي بن ابي طالب لان والده مات وهو صغير فتزوج علي امه ورباه عنده فقال عنه: "كان لي حبيباً وكان لي ريباً" ولم يقل كان لي ربوا. ويفهم من استعمالات المعاصرين ان الريب عندهم هو كل من تربى عند أحد وحظي برعايته فصار ريبه.

هزل ، بفتحين، ابن المرأة من زوجها الاول. وهو القاروط في عامية المحيط. وسمعت في سوريا من ابناء الجبل الاسن.

عَكَب الولد المتزوجة امه.

مُكَوَّكَس المولود من سلسلة إماء.

يتيم الصغير الذي مات ابوه. ولا يسمى من فقد أمه يتيماً بل هو العجى (انظر باب رعاية الاطفال) لان اليتيم يتضمن معنى فقدان الرعاية والاعالة وهي عند القدماء للاب ولذا تنقلب في الحيوان فيكون اليتيم من فقد أمه. ويلاحظ الوضع الاجتماعي في أصل التسمية . ومن فقد والديه فهو اللطيم.

ملحق بالباب

مفردات وأفعال لها صلة

نَغَل ينغَل نغولة: ولد عن زنا

يَتِم يَتِم ويَتِم يَتِمًا: صار يتيماً

يَتِمه وأيتمه: صيره يتيماً فهو مؤتم. ومؤتم الاشبال من رجال آل ابي طالب قتل لبوة ذات اشبال فلَقَّب بفعله . المصدر يتيم كما في قول الفند الزماني:

بضرب فيه تاييم وتيتيم ولرنان

عن "تأيم" انظر مفردات الوضع الزوجي في كتاب الزواج.

تَيْم تَيْمًا: يَتِم. وهي المتداولة في لغة الكلام.

إلتياط: ان يدعي الرجل ولداً ليس له. وقد التاطه يلتاطه، واستلاطه.

تَقِيل: شَبَّه الابناء بالآباء. تقيل اياه: اشبهه.

مولود لِرِشْدَة، بكسر الراء، ابن حلال . ولد شرعي.

مولود لِرِشْدَة : نغل

حق الدم: ثبوت جنسية الاب لولده الشرعي. يضعها المترجمون مقابل JUS SANGUINIS .

الفصل الخامس

رعاية الطفل

- ١ -

التغذية

تفطيمه فطماً فهو فطيم ومفطوم وهي فاطم وفاطمة. وانفطم الطفل: انقطع عن الرضاع. وأفطم حان أو اقترب موعد فطامه.

محاياة تغذية الطفل بما به حياته. وحايته تحايه: غَدته.

عجبي العجبي رضيع ماتت امه فأرضع او غذي اصطناعياً. ج عجبا. وفي الحديث: "كنت عجياً ولم اكن يتيماً" والحديث موضوع على الاكثر لانه كان يتيماً ولم يكن عجياً بعكس مضمون الحديث وهذه السيورة تسمى معاجاة وقد عاجاه يعاجيه. ومن شواهد الجوهرى:

انا شئت ابصرث من عقبهم

يتلمى يعاجيئون كالانوب

وعجونه وعجتيه اعجوه عجواً والعجاة بالضم وبالكسر لبن يغذى به العجبي. وأصل الاشتقاق مرجحاً عندي من العَجْوة للرطب الناضج المكبوس ، ويكون في العادة ليناً يصلح لتغذية الصغير والريض.

لحاء، بالكسر وبالفتح ، غذاء الرضيع عدا الحليب. والتخى الرضيع : اغتذى بطعام لين غير الحليب كالخبز المبلول. وألخته ثلخيه. ولشاعر بني اسد:

فهن مثل الامهات يُلخين

يطعمن احياناً وحيناً يسقين.

سرهف الطفل وسرهده وسرعفه: احسن

رضاع ورضاعة، بكسر الراء وفتحها، اغتذاء الطفل من ثدي طبيعي او اصطناعي. وقد رَضِعها يرضعها ورضعها يرضعها رَضْعاً فهو راضع. وأرضعته هي تُرضعه ارضاعاً. ورضعته بالتضعيف من الدارج في لغة الكلام. واسترضع استرضاعاً: طلب مرضعة للرضيع.

وتراضعا : رضعا معاً وراضعه رضع معه.

مراضع جمع مَرَضِع لموضع الرضاع وهو الثدي. في سورة القصص: "وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ" ومن الامثال العراقية : "أل ما يسوقه مريضه، سَوَّق العصا ما ينفعه" يريدون الاصل والمنشأ.

مَوْضِعَةٌ قنينة الارضاع الاصطناعي (الوسيط) . وهي الرضاعة في العامة. وفي (عق) قَمَّة كأنها حكاية لصوت الطفل اذا تكلم باطباق شفثيه.

بَرَّازة حلمة الرضاعة التي يمتص منها الطفل ما في القنينة من حليب ونحوه (سط) فقالة من البر وهو الثدي.

لَهَآيَة حلمة مصنوعة توضع في فم المفطوم لالهائه عن الرضاعة. (عق، سط) فقالة من اللهو.

فِطَام قطع الطفل عن الرضاعة. وقَطَّمته

غذائه ونعمه. وانشدوا في سرهف:

انك سرهفت غلاماً جَفَوا

وهو مسرهف ومسرهد ومسرغف: حسن التغذية، منعم. والسرهدة تنظر الى فرهود وهو الصبي الممتلىء الحسن والناعم التار. والفرهدة في بعض اللهجات التنعم وحسن الحال.

قريب تربية جسم الطفل. ورثه: غذاه جيداً وأتماه. ويقول العراقيون مُؤَثَّرِب للولد السمين المعافى. وفي اللسان: "المطر يَثْرِبُ النبات والثرى ويُثْميه". وللجواهري:

هذا السفاق تَرَّيْه

صحف ويسمونه كتاب

نأنأة احسن تغذيته. والنأنأة تفيد الضعف والعجز واللبونة. ومنه قول ابي بكر "طوبى لمن ما ت في النأنأة" وفي نأنأة الاسلام، اي قبل ان يقوى ويشد ويصبح دولة. واستعمال النأنأة لحسن التغذية يرجع بالذهن الى معنى التدليل والتنعيم تشغيماً اجادة تغذية الطفل، كالسرهفة. وقد سَغَّمْتَه. والتسغيمة عام في الانسان والحيوان والنبات.

غَلالة وتعللة المخصص عن "العين": "المرأة تعلل الصبي (يقصد الرضيع) بشيء من المرق وغيره ليجزا به عن اللبن". قال (والشعر لجري):

تعلل وهي ساعبة بنيتها

بانفاس من الشميم القراح

واسم ما تعلله به الغلالة والتعللة.

شابل صبي شپ في نعمة وحسن رعاية. وقد شَبِل يشبِل شَبولاً

خَلَّ سوء الرضاع والحال. وقد أحفلته امه. والخلل من اسيء رضاعه. مُثَّم بن نورة:

وارملة تسعى باشعث مُخْخَلٍ

كفرخ الحبارى ريشه قد تصوعا

قَرَّومَ الطفل اساء غذائه. والمقروم: الذي لا يشب، سأل الاصمعي صبيّاً من الاعراب وقد رآه هزلاً ضئيلاً عن سبب ذلك فقال: "قرمني العز" يريد أن شعوره بالعزة والكرامة منعه من طلب الطعام عند غير أهله. ويقول العراقيون "قُرَّومته" للمعجوز الضاوية المنحنية.

زَغَبِل طفل لم ينجع فيه الغذاء فعظم بطنه ودق عنقه. قال:

سمطاً يربّي وُلْدَةً زَعابلا

وهذا المنظر مألوف للمعاصرين عن جياح أفريقيا التي ينهبها الغريون.

جحن المخصص: السفل والوغل والجحن السيء الغذاء. وانشد ثعلب:

كولحدة الأُنْحى لا مُشْمِوْلَةٌ

ولا جَحْنَةٌ تحت الثياب جشوبٌ

تكملة باشكال الرضاع

مَلَج: تناول الرضيع ثدي امه بأدنى فمه، وقد ملجه هو وأملجته هي.

لَهَس: ان يلمطع الثدي بلسانه من غير أن يمصه. وقد لَهَسه يلهسه.

مَلَك: ان يمص الثدي باستقصاء. وقد مكّه وامتكه.

رَبِيكة: أول رضعة للمولود. وهي الضَّبِيك أيضاً.

رَغَل الطفل أمه يرغّلها رَغَلاً: اختلس منها

رضعة. وأرغلته هي: ارضعته. والرَّغُول شاة ترضع الغنم.

رَغَثَ الطفلُ رَغْثاً وارْتَفَثَ: رَضِعَ. وأرغشته هي: ارضعته. والمرغُث: المَرْضَع. قال رجل من غطفان:

إذا المرغث العرجاء بات يعرُها

على شديها ذو ونعتين لهوَجْ

امغلته: ارضعته وهي حامل فهي تُمَغِّلُ ولبنها المَغْلُ والمَغْلُ، وفي (عق) امغفل الطفل: اصابه اذى في بطنه من رضعة سيئة. ومغلته هي اساءت إرضاعه.

غالت طفلها ثَغِيلَه غَيْلاً: ارضعته وهي حامل أو في لحظة جماع. والثَغِيل هو حليبها ذاك. وتنهى العرب عن الثَغِيل. وفي أساس البلاغة قالت امرأة: ماسقته غَيْلاً ولا حرمته قَيْلاً" ويقولون: هذا الصبي افسدته الغيلة. واغاله ابوه واغالته امه فهو مُغَال: تجمعا وهي حامل أو في حال إرضاعه.

- ٢ -

الحضانة

مَهْد سرير الطفل. وهو الثابت في العادة. وارتجمل خياط مرعشلي المَهْدُ للمهد الهزاز والمهز هو الكاروك في (عق) عدا الجنوب حيث تشيع كلمة مهد. واصله المرجح كاروخ فاعول من كرخ يكرخ عندهم اي هرول أو مشى مسرعاً على غير انتظام. من الفارسية "كرخ" المفيدة للمشي. والكاروك لا يكون الا هزازاً. ومنه رد المرأة العراقية على الرجل اذا قال لها انت كبيرة السن: هازة كاروكك؟ ج مهد مُهَوْد وجمع كاروك كواريك.

قِمَاطُ ثَمَاش يلف به الوليد بدل الملابس. ج اقمطة. وقمطته قممِطاً فهو مقمُط وقمطته، بالتخفيف، فهو مقموط. والعامية على التضعيف. حَقَاطَة خيوة تلف حول مقعد الرضيع لحفظ

ملابسه من البول والبراز. (محدثة) وحَقَظْته البسته الحَقَاطَة.

حَضِينَة حفاضة (عق). ج حضّان. فعيلة من الحَضَن.

قَضْرِيَة وعاء مستطيل يثبت في خرق من المهد لفضلات الرضيع. (محيط/ عامية).

قَعَادَة وعاء نقال وقد يثبت في كرسي ليجلس عليه الرضيع اذا اراد التبرز (عق).

حِضَانَه، بالكسر وبالفتح، رعاية الطفل وتدير شؤنه. وتتضمن معنى الولاية عليه ايضاً. وحَضَنَتْه تحضّنه حضناً: رعته وربته.

دار الحِضَانَة مؤسسة تتولى رعاية الاطفال عند غياب اهلهم في العمل (محدثة).

مَرِيَة امرأة تتولى العناية بالطفل نيابة عن امه.

مَرْبِي محل الرباية والنشأة. مستحدث في لغة الكلام.

حاضنة مربية

داية حاضنة ، مربية، من الفارسية قديمة التعريب. الفرزدق:

ربيبية دايات ثلاث زبينهما

يلقمونها من كل شخن ومثيرو

داة حاضنة. داية. تركية. من العرب في الاوان العثماني.

تربية يراجع قاموس الثقافة.

- ٣ -

ملاعبته وتسكينه

هَذَهْدَة تهزير الطفل بلطف لتنويمه او اسكاته اذا بكى. وهدهدته تهدده.

تهدين تسكين الطفل وارضاهه ليهذاً أو ينام.

وهَذَنته هي وهَدَن هو هُدُوناً. جذره دال
على السكون ومنه الهدنة في الحرب
رَبَّتَ الطفل تَرْبَتَه تَرْبِيَةً ضربت بيدها على
جنبه بلطف لينام. ويستعملها بعض المعاصرين
متعدية بـ على.
ترْقِص اختصه مجمع القاهرة بالاطفال. ورقَصته
ترْقَصه

رَهْزَقَة ترقِص . وزهزقته: رَقَصته.

هَشَكَ الطفل رَقَصه (مص) لم أف له على
جذر في الفصح.

ثَغْغَ الطفل في الشيء: عَضَّضه قبل أن
تنبت اسنانه. المصدر: ثَغْغَة

خَبَعَ الطفل يخْبِعُ خُبوعاً: بكى حتى انقطع
صوته. وفي (عق): فَحَطَ من جذر سامي اقدم.
وفي العبرية فحَد بمعنى الخوف والفرع.

تَلُولِي، بامالة الواو، نوم طفلها بترديد كلمات

رقِقة مرتلة(عق) فعل شبيه بالفعل الانجليزي lull
الذي يفيد التهدئة والتنويم. ويصعب القول باشتقاق
العامي منه لان مفردات الطفولة في العامية لا تحمل
تأثيرات اجنبية ملموسة لعدم تأثر وسائل الرعاية
والحضانة بالاساليب الاوربية. وارجح انها منقولة من
فعل مشتق من الليل مثل اللَّيْل اَي دخل في الليل
ولايل تعامل معاملة ليلية.

دُرْجِجَة اداة تمشي على عجلات يقبض عليها
الطفل ويدفعها ليتعلم المشي.(سط) تصغير دراجة.
وهي الحِجْلَة في(عق) اشتقاق من حَجَل يحجل
اذا رفع رجله عند المشي وترث في الاخرى وهو
مشي الطفل في اوله. والدريجة والحجلة تعمل
اليوم باشكال وهيئات متنوعة

الكتاب الثاني

الزواج

الباب الأول

مفردات زواج

تَزَاجُجُ حصول الزواج بين جماعتين يتزوج بعضهم من بعض
نِكَاحُ زواج
تَنَاحُجُ تزواج
بُعُولَةُ زواج. واستعمل: تزوج، صار بعلاً أي زوجاً.
تَبَاعُلُ فِي المخصص: تباعل القوم تزوج بعضهم في بعض. وباعل بنو فلان بني فلان: تزوجوا فيهم.

زواج اقتران الذكر (الزوج) بالأنثى (الزوجة). وتعريفه اجتماعياً: "المؤسسة التي يجتمع فيها الزوج والزوجة بارتباط خاص اجتماعي وشرعي لتأسيس عائلة وصيانتها". وبهذا التعريف يخرج من الزواج المساكنة والسفاح (انظرهما تالياً) لكن السفاح قد يدخل ضمنها إذا اقتصر معناه على عدم شرعية العقد في مجتمع دون آخر مثل سفاح القرى.

زِيْجَةُ عقد الزواج. وهيئة الزواج. ج زيجات

الباب الثاني

أشكال الزواج

الرجل أي وُلد له ولد ضارٍ لتزوجه من قريته. ومنه الحديث: "اغتربوا لا تَضَوُّوا" أي تزوجوا الغريبات حتى لا يكون أولادكم ضاوين. وسبب ذلك أن زواج الأقارب قد ينقل الصفات الوراثية السلبية من الجهتين حسب الرأي السائد لدى الوارثين المعاصرين. ومن مفردات الزواج الأُقاربي ضَعْل وهو دقة البدن بسبب الزواج من قرية. ويراد بدقة البدن تعوق النمو. وضَعْل يضعل: دق بدنه من تقارب النسب.

يشغار زواج بلا مهر يكون بأن يتفق رجلان على أن يتزوج كل منهما قرية الآخر ولا يُدفع لهما مهر. من زيجات الجاهلية. وقد شاعَرَ يشاغِر مشاغرةً وتشاغراهما.

نِكَاح المَقْت أن يتزوج الابن زوجة أبيه بعد وفاته. من زيجات الجاهلية وأبطله الاسلام. والمَقْتى من يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته وهو أيضاً للولد الذي يولد من زواج المقت. والاصطلاح في الآية " / نساء: " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً " ويقول المفسرون أن ذوي المروعات من الجاهليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذا النكاح. ومما يلحق به: ضَيَّرَن وهو المتجرئ على زوجة أبيه. أوس بن حجر:

والفارسية فيهم غم منكزة

فكلهم لابيهِ ضَيَّرَن ضليف

استبضاع مضاجعة الزوجة رجلاً آخر بموافقة

تعدد الزوجات ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي polygamy والمراد زواج الضرائر أي الزواج بأكثر من واحدة.

نِكَاح الرَهْط تعدد الأزواج. زواج المرأة بأكثر من رجل واحد في وقت واحد. يقابل المصطلح الأجنبي polyandry. ومن تفرعاته نِكَاح الرَهْط الأخوي fraternal p. وهو اشتراك الأخوة في زوجة واحدة. وهو مرحلة متقدمة على نِكَاح الرَهْط الأولي البدائي.

النسبة إلى نِكَاح الرَهْط في الانجليزية: polyandric ترجمتها المورد إلى عبارة: "ذو علاقة بتعدد الأزواج". والقياس: رَهْطِي، polyandrous وترجمه المورد إلى: "متعددة الأزواج في وقت واحد". والقياس: رَهْطِيَة

ملحوظة: وضع العلاملي ضئد والعصري ضماد لنِكَاح الرَهْط. والضمد هو اتخاذ المرأة أكثر من صديق فهو يشير إلى تعدد الخلان والأخذان لاتعدد الأزواج

زواج المُتعة، بضم العين وكسرهما، زواج مؤقت.

تَفْشَل زواج الأبعاد. التزوج من غريبة. وتَفْشَل فلان: تزوج غريبة فهو يَفْشَل وهم مفاشل.

زواج الأقارب التزوج في الأقرباء. ويدخل في مفردات هذه المادة الاضواء يقال: أضوى

والشيعة والمعتزلة.

مُساكنة: زواج غير شرعي. بلا عقد .
(مستحدث) أورده الياس انطون الياس في
القاموس العصري مقابل co-habitation وهو
من باب السفاح

بيت شرعي مسكن مستقل تحكم به
الحكمة الشرعية للزوجة إذا تضررت من
مصاحبة أهل الزوج وحدث ما ينقص الحياة
الزوجية. والسكن المستقل من حقوق الزوجة في
الشرعية.

عُفْرة زواج الرجل في بيت أهل زوجته
واقامته عندهم. ويسميه الأنثروبولوجيون
الانجليز matrilocal حرفياً: سكن أمومي. ويقابله
سكن أبوي patrilocal لاقامة الزوجة مع أهل
الزوج. ومن هذا القبيل سكن خؤولة للاقامة في
بيت خال الزوجة anunculocal من زيجات
بعض الأقوام في افريقيا واستراليا.

sororate مصطلح يفيد الزواج بين أخت
الزوجة المتوفاة. معناه الحرفي: زواج الأخت لم
تضع له المعاجم المتخصصة مقابلاً عربياً.

levirate أن تتزوج زوجة الأخ المتوفى من
أخيه. ويقع ذلك غالباً مع وجود أطفال من الزوج
المتوفى لضمان رعايتهم على يد أخيه. وقد كثرت
هذه الزيجات في العراق في عقدي الثمانينات
والتسعينات بسبب توالي الحروب طيلة هذين
العقدين. معناه الحرفي زواج الأخ ولم تتضمنه
المعاجم المتخصصة .

قَتْحُرة زواج الاختطاف. مصطلح سوداني
يقابل المصطلح الاجنبي kidnaponiage ينظر
إلى القُنْجور للرجل الصغير الرأس الضعيف العقل.

زواج الأكان نسبة إلى معشر أكان من
المعاصر البدائية المعاصرة. ويجري فيه جميع
الاجراءات من خطوبة وتلبيس ولكن بدون
زفاف اذ يبقى الزوجان كل عند اهله وتقوم الزوجة

الزوج للحصول على ولد يحمل صفات مطلوبة
تتوفر في ذلك الرجل كالفروسية. عادة زاولها
بعض الجاهليين ومن بعدهم بعض سكان آسيا
الوسطى مع الفرسان العرب للحصول على أبناء
يحملون صفات أولئك الفرسان. وسمي هذا
استفحال. وكلاهما من الزنا المحرم في الاسلام.
والاستبضاع والاستفحال ليسا من أبواب النكاح
لكنهما يردان في المصادر بوصف نكاح تجوزا.
الاستبضاع استفحال من البُضْع ويرادف زواج
وجماع. والاستفحال من الفحولة.

نِكَاح البَدَل أن يتبادل الرجلان زوجتيهما.
وكان عند بعضهم في الجاهلية فأبطله الاسلام.

إِهْتِجَان اهتجنت البنت، على المبني
للمجهول، أَهْتَضَتْ قبل البلوغ. واهْتَجَنْت هي،
على المعلوم تزوجت صغيرة فهي مهتجنة.
والمصطلح هو الهاجن ومنه المثل: "جَلَتْ
الهاجن عن الولد" لأنها غير بالغ فلا تلد.
وأهجنها وليها. و أهجنهم أهلهم: زوجهم
صغاراً، للاناث والذكور. ومستقل تزويج الذكر
صغيراً بالفعل: إَلْتَبَأَ ابنه، أي زوجه صغيراً لأجل
النسل.

كُورة، بضم الكاف، زواج بالجملة مخفض
المهر. (سدن) وفي جذر الكلمة كُورُ بالفتح
للقطيع الضخم من الابل والقطيع من البقر، وكُور
بالضم لبيت الزناير. والعراقيون يقولون كُورة.

جمع الأختين أن تكون بين الضرائر أختان
في وقت واحد. من الزواج المحرم في الاسلام
وجمَعَ حاكم الموصل قرواش العقيلي بين أختين
ف قيل له هذا لا تقره الشريعة فقال: وأي شيء من
أفعالنا تقره الشريعة؟

زواج الإكفاء: عدم تزويج العربية من
الأعجمي. كان في الجاهلية وعمل به الأمويون في
خلافتهم حتى عمر بن عبد العزيز الذي أبطله.
وأقره بعض الفقهاء من أهل السنة وأبطله الخوارج

بزيارة زوجها ليلاً وتعد له الطعام من بيت والديها. ويقوم الزوجان معاً برعاية الأولاد الذين يظلون في حوزة والدي الزوجة أو أخوتها. ويسمى الأنثروبولوجيون هذا الزواج: dualocal حرفياً: سكن ثنائي أو سكن مزدوج.

زواج ثروبرياند نسبة إلى جزر تروبرياند. زواج اعتيادي غير أن رعاية الأولاد تكون على أهل الزوجة.

زواج تعاقدى زواج يُنص فيه على الحقوق الجنسية للزوجين، ومدته تحدد في العقد فيُطل بعد انقضاء الأجل أو يُجدد. فهو شبيه بزواج المتعة. معروف عند الغربيين في الوقت الحاضر.

زواج التارُج swinging marriage من الزيجات الغريبة في الغرب لا سيما الولايات المتحدة وفيه يتبادل الزوجان العلاقة الجنسية مع زوجين آخرين أو أكثر باتفاقهما

زواج مفتوح من زيجات الغربيين يكون بين اثنين يتفقان على حق كل منهما باقامة علاقة جنسية مع طرف آخر. وهذا كالسابق.

جُنْبُقَة اتفاق كليهما على الزواج رغم اعتراض الأهل وهروبهما إلى مكان آخر ليتزوجا (سदन) توليد من جُنْبُقَة بالضم للمرأة السيئة السلوك.

عَضْل وتعضيل منع الرجل ابنته أو أخته من الزواج. ويرادفه العَصْرَة في المصطلح الفقهي وهي محرمة. وفي سورة البقرة "فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن". وفي (عق). نَهْوَة وهي أن ينهى قريب المرأة عن زواجها من غريب لأنه أحق بزواجها فيتقدم لها فإذا رفضته كان العضل وهو المنع من الزواج بتاتاً. والنهوة قُفْلَة من النهي. وهي الحيار في البادية ونواحي الشمال الغربي من سوريا قُعال من الحيرة.

سِفَاح ومسافحة اقتران زوجين بعقد غير صحيح. يقال: تزوج بالمرأة سفاحاً أي بغير سنة

ولا كتاب. وفي "دعائم الاسلام" لأبي حنيفة الاسماعيلي أن الرسول مر بييت فسمع عزفاً فقال: ما هذا؟ قالوا: يارسول الله نكح فلان. فقال: كمل دينه. هذا النكاح لا السفاح ولا يكون نكاح في السر حتى يرى دُخان (كناية عن الطبخ للوليمة) أو يسمع جس دف. وقال: الفرق ما بين النكاح والسفاح ضرب الدف. والغرض هنا أن السفاح يكون في السر لأنه غير شرعي ولذلك اشترط الاعلان عن الزواج لدفع الريبة.

وسفاح القربي عند الأنثروبولوجيين زواج المحارم، التزوج من الأخت أو الأم أو البنت.

ملحق بالباين

مفردات وأفعال

عِصْمَة في اللسان: "يقال بيده عصمة النكاح أي عقدة النكاح" وينسب لعروة بن الورد: ☆ إنا للمكث عصمة ام وفب☆

وفي المصطلح الشرعي رباط الزوجة. يقال: فلانة في عصمة زوج وفلانة لا تزال في عصمته أي أنها زوجها الشرعية ولم تطلّق منه.

مَسِيكَة امرأة يتخذها الرجل من غير عقد شرعي. (مولد) وهو من باب السفاح.

تسالف الرجلان وتظاهبا تزوجا أختين وهما طأبان وسلفان وعديلان. ويقال: تزوجا بالمظاءة.

تقاصوا تزوج كل منهم أخت الآخر. (مع) والمعنى في قول العراقيين: قُصّه بقُصّة، والقُصّة هي الناصية.

تسَنّت فلانة: تزوجها وهي أكرم منه لكثرة ماله وقلة مالها. قياسه اللفظي من السَنّت مصطلح عام يشمل الزيد والجبن والعسل ومواد غذائية أخرى.

تسرى وتسرى اتخذ له سُرّة. وهي الجارية تعاشر معاشرّة الزوجة حسب نظام الرق.

الباب الثالث

اجراءات الزواج وطقوسه

يتزوج . من قولهم نكح فهو ناكح أي تزوج فهو متزوج.

اختطاب عرض المرأة على الرجل من قبل ذويها أو من له علاقة بها. يقال: اختطب القوم فلاناً: دعوة إلى تزوج صاحبهم.

تلييسة تقديم هدية الخطوبة للمخطوبة لتثبيتها رسمياً (سط)
نيشان تلييسة. (عق) من التركية. ومن أغانيهم:

نیشان الخطوبة اليوم جابوا لي ✨
عقد القران، بكسر القاف، اجراء عقد الزواج وهي في (سط) و(مص): كُتِبَ الكتاب من المحدث قديماً وردت عند ابن كثير في "البداية والنهاية" حوادث ٤٥٦ هـ.

إكليل عقد القران عند المسيحيين العرب.
تقدیس الخطوبة عند اليهود العرب، وتعتبر ركناً في صحة الزواج وتكون بهدية تقدم لها يبدأ بيد بحضور شاهدين.

کتوباه كُتِبَ الكتاب عند اليهود عموماً.
(عبرية) ويأتي بعد التقديس.

عروس الزوجة في أيام التقائهما الأولى بالزوج. وأصلها لكليهما ثم استقلت بالدلالة على

خُطوبة طلب الرجل يد المرأة (مستحدثة) وفصيحتها خُطبة بكسر الخاء، غير مستعمل.

خُطِبة وخطيب المخطوبان من الجنسين. محدث أقره مجمع القاهرة.

خاطب من يتقدم لخطوبة المرأة. وقد تكون الخطوبة له أو لغيره ومثال الأولى قول الحارث بن سليل الأسدي في خُطوبة: "جئتكَ خاطباً وقد يُنكح الخاطب" ومثال الثانية المثل: "أرسلته لي خاطباً فتزوج" وقول العامة "جاء الخطابة يخطبون فلانة لفلان" والخطابة جمع خاطب. والخطابة عندهم أيضاً هي المرأة التي تتولى الخطوبة نيابة عن الرجل. وجمع الخاطب بالمعنيين خُطَّاب. وفي حديث عدة سبعة" أنها تجملت للخُطَّاب" أي لمن سيأتون ليخطبوها. وهم بين خاطب لنفسه وخاطب لغيره.

وترد خاطب في لغة الكلام لمن له خطيبة، وهي مخطوبة أي لها خطيب. وهذه من الفصح. يقولون: "فلان خاطب" بمعنى عنده خطيبة. و"فلانة مخطوبة" أي عندها خطيب.

. قول الحارث: وقد ينكح الخاطب إذا قرئ على البناء للمجهول فهو من أنكحه: أي زوجه وإذا قرئت على البناء للمعلوم وال لزوم أفادت:

المرأة. وشاعت عريس المولدة للرجل، بالفتح والتخفيف، وعريس بالكسر والتشديد في بعض اللهجات. ويقال عروسان لكليهما. ويجمع عريس على عروسان وعروس على عرائس والأخير قد يشمل الجنسين. والعروس أصيلة في العربية والساميات ومنها أخذت الكلمة الأوربية eros ومشتقاتها الدالة على الحب والجنس.

ليلة الحنا ليلة التي تتم فيها الجلوة وتسبق في العادة ليلة الزفاف (عامية) نسبت إلى الحناء لأنها كانت المادة الأساسية في التجميل.

عُرس مهنة الإملاك والبناء حسب اللسان. وتتضمن: (١) انتقال العروس إلى بيت العريس. ومن هنا جعلها ابن الأعرابي خلاف الثمرة وهي انتقال العريس إلى بيت العروس (انظر زفاف). (٢) الاحتفال بالتقاء الزوجين. ولذا أطلقها القدماء على وليمة الزواج. ويستعير المعاصرون جمعه أعراس للمناسبات الحافلة كقولهم: أعراس الوطن وأعراس النصر...

زفاف، بكسر الزاي وبعض المعاصرين يفتحها، اهداء العروس إلى العريس. وفي تعريف الوسيط: "نقلها من بيت أبيها إلى بيت زوجها". وبهذا المعنى فهو يرادف العرس ويخالف الثمرة. ولذلك يقولون: رُفَّت إليه العروس ولا يقولون: زفوه إلى العروس. ويستعمل المعاصرون كلاً من العرس والزفاف في معنى الالتقاء والاحتفال به. والفعل زف عندهم مشترك للعروسين، فيقولون: زفوه وزفوها وزفوهما. وكثيراً ما يتم الزواج اليوم بالسفر إلى مكان قريب أو بعيد لقضاء شهر العسل ويكون الزفاف عندئذ ابصالهما باحتفال إلى مكان اللقاء إن كان قريباً أو مكان السفر إن كان الملتقى بعيداً.

زفة زفاف. تكثر في العامية. وأوردها الوسيط مصدراً مرادفاً للزفاف. وفي الأمثال البغدادية: "مثل الأطرش بالزفة" يُضرب لمن يجهل أمراً يكتنفه ويحيط به لأن الأطرش لا يسمع شيئاً

من الضجيج الهائل الذي تتم به الزفة في المعتاد. دُخِلَة، بالفتح وبالضم، دخول العريس على العروس ليلة الزفاف. وليلة الدخلة هي ليلة دخوله عليها. (مولد) ويلفظها العراقيون بتفخيم اللام فتتمايز عن الدخلة بالمعنى العام للدخول.

أعرس: في اللسان: "أعرس فلان اتخذ عرساً وأعرس بأهله إذا بنى بها وكذلك إذا غشيتها." فالإعراس جامع للدخلة والاحتفال بالتقاء العروسين. وعُرس: اعرس، عامية قديمة، جاء في اللسان "لا تقل عرس العامة تقولها ونص التاج على عاميتها. وهي اليوم في عامية زماننا.

جهّز العروس أعد لها جهّازها. ويقول العوام: جهّزوا لها فيعدونها بحرف الجر ويعطيها ذلك تمايزاً عن المعنى العام للتجهيز

عُرسية من يقومون بأعباء العرس ويصاحبون العروسين في انتقالها إلى بيت الزوجية (مولد في المحيط) وهم الزفافة (عق).

إشبين مرافق العريس والمتولي لأمره (محدث) عن السرياني.

إشبينه مرافقة العروس. ويسمى العراقيون سزودج من سرده الفارسية وهذه لها عدة معاني منها رئيس صحبة اللهو. ومنها ولدوا المعنى الغرسي.

نكافة التي ترافق العروس إلى بيت زوجها وتتولى الحديث باسمها. (مغ) من نقافة الفصيحة وهي الحريصة على السؤال المكثرة منه.

فاردة عروس تتزوج في غير قرينها أو عشيرتها. فهي كالنزعة. ويطلق الاسم أيضاً على الزفافين الذين يذهبون لأخذها من موطنها إلى موطن زوجها (فلسطينية)

ملحق بالباب

١- ما يُقدَّم للزوجة من حقوق وهدايا

مَهْر المال الذي يخصص للمرأة في عقد الزواج. ج مهور. ومهر مبلت: مضمون وفي المخصص:

وما زُوِّجَتْ إِلَّا بِمَهْرٍ مَبْلَتٍ ☆

سياق مهر. مأخوذ من قولهم "ساق إليها مهرها سياقاً" حين كان المهر من الابل والغنم ثم اتخذت معنى المهر عموماً. ويستعملها العراقيون بهذا المعنى العام.

صدّاق وصدّاق مهر. تتردد مع المهر في كتب الفقه وهي في لهجات المغرب.

معجل مهر معجل أو عاجل هو المدفوع فعلاً للزوجة في أول الزواج ومهر مؤجل أو أجل وهو جزء من المهر يؤخر دفعه إلى حين المطالبة به. ومن المعتاد أن يُدفع للمرأة بعد الطلاق

بائنة ما يكون مع العروس المسيحية من مالها وجهازها عند الزفاف. ولها أحكام في نظام الزواج عند المسيحيين.

شبكة، باء ساكنة، هدية الخطوبة (مص) لعل أصلها أنه حين يخطبها يكون قد شبكها بنفسه. ويقول المصريون في التعبير عن الحب "شبك قلبي".

صُبيحة هدية العروس من أهل زوجها صبيحة الزفاف (عق، سطر) وهي في (مع) تصبيحة

نُقُوط، بضم النون، هدية العروسين من الأقارب والأصدقاء. ونُقُط العروس: أعطائها النقُوط. في المحيط عامية وفي الوسيط مولدة.

محلّوان جزء من المهر كان بعض الجاهليين

يأخذونه إذا زوجوا بناتهم. وكانت العرب تغير من يأخذه. قالت امرأة تمجد زوجها:

☆ لا يأخذ الحلوان من بناتنا☆

مُتعة بضم الميم، هدية تمويضية تقدم للمطلقة تكون واجبة حسب الشرع إذا طلقها قبل الدخول بها، ولم يكن قد سمى لها مهرًا، ومستحبة في الحالات الأخرى.

رُضُوة، بضم الراء، مُتعة (سَدَن) تستعمل فيها مع المصطلح الشرعي مُتعة.

خاتم الخطوبة خاتم على شكل حلقة يلبسه الخطيبان في البَنيصر اليمنى ثم يحولانها بعد الزواج إلى اليسرى يسميه الاكثرون حَلَقَةً ويسميه المصريون دِبْلَةً بكسر الدال. وأصل الدبلة اللقمة الكبيرة والكتلة من الشيء.

-٢-

مفردات وأفعال

خطبَ المرأة يخطبها

كَتَبَ الكتاب وعَقَدَ القِران

لَبِثَها: فعل التلييسة لتثبت الخطوبة رسمياً (سط). وفي (عق) تَبِثَها.

أَمَهَر المرأة يُمهرها: خصص لها المهر وسماه لها.

مَأْذُونٌ مؤثّق عقود الزواج والطلاق.

تَزَوَّجَ هو وتزوجت هي - تزوجاً.

تَزَوَّجَها وتزوج بها يتزوج وتزوجته هي وتزوجت به. وهذه دارجة عند المعاصرين وتزوج في القوم الفلانيين: تزوج امرأة منهم.

زَوَّجَها وزَّوجَها تزويجاً وتزاجوا هم

تزوجاً تزوج بعضهم من بعض.

نكحها ينكحها وينكحها: تزوجها.
وأنكحها إياها: زوجه بها.

وفي القرآن: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم: زوجوهم.

ونكحت هي: تزوجت فهي ناكحة وناكح
وهو ناكح: امية ابن أبي الصلت:

لله در أبي علي إيمٍ منهم وناكح.

وتناكحوا: تزوجوا.

استكح المرأة: طلب نكاحها. واستنكح في

بني فلان: تزوج فيهم.

تبعلت تبعلًا: اعتنت بزوجها وتزينت له
وأحسنّت معاشرته. وفي الحديث: "جهاد المرأة
حسن التبعل". قال السيوطي في اللغائي المصنوعة
أنه حديث موضوع. ومفاد التبعل في الحديث هو
الزوجية وأداء حقوقها هو حسن التبعل.

مزواج: كثير أو كثيرة الزواج. والمزواج
يستدعي المطلق (انظرها في باب الطلاق)

الباب الرابع

فك الزواج

والناشر لأي منهما. وتغلب اليوم على المرأة.
خالع، المطلق والمطلقة بخلع.
مطلق، رجل كثير الطلاق لا يثبت على
زوجة.

نفقة، ما تستحقه المطلقة من المطلق عدا المهر
والمثمة إذا كانت حاملاً أو ذات ولد قاصر، أو في
مدة العدة للمطلقة طلاقاً رجعيّاً. مصطلح قضائي
يخص الأحوال الشخصية.

ظهار، بكسر الظاء، قول الزوج للزوجة في
حالة غضب أو خلاف: "أنت علي كظهر أُمِّي"
وعندئذ تحرم عليه حتى يقدم كفارة.

لعان، بكسر اللام، قضية ينهم فيها الزوج
زوجته بالخيانة وليس له شهود فيشهد أربع
شهادات بالله أنه صادق والخامسة أن لعنة الله عليه
إن كان كاذباً. وتشهد هي أربع شهادات بالله أنه
كاذب وشهادة خامسة إن غضب الله عليها إن
كان صادقاً. ويقع بعدها التفريق بينهما. مع
اسقاط عقوبة القذف عنه وعقوبة الزنا عنها. وقد
تلاعنا بتلاعنان ملاعنة.

إيلاء، أن يُقسم الزوج في حالة غضب أو
خلاف بأن يهجر زوجته فيتركها مدة إذا تجاوزت
الأربعة أشهر فلها مقاضاته بالعودة إلى فراشها أو

طلاق فك العلاقة الزوجية بالفاظ
مخصوصة. والطلاق عند المسلمين طلاقان:
رجعي يجوز فيه رجوع الزوجة إلى الزوج إذا
طلقها أولاً وثانياً. وبائن إذا طلقها للمرة الثالثة أو
في حالات يبتها كتب الفقه. ولا ترجع إليه إلا
بعد أن تتزوج زوجاً آخر فيطلقها وتتزوجها عندئذ
بعقد جديد.

خُلْع، بضم الخاء، طلاق الزوجة للزوج في
الشرع الاسلامي ويكون مقابل تنازلها عن المهر أو
دفعها تعويضاً للزوج.

مخالعة، خُلْع.

بَيِّنَةٌ انفصال الزوجة بالطلاق أو المخالعة.
ولها أحكام في قوانين الأحوال الشخصية.

مطلقة المرأة التي طُلِّقت من زوجها. وهي
صفة لازمة تختص بها بعد البينونة. وتستعمل
طالق عند انتهاء إجراءات الطلاق فيقال: هي الآن
طالق. وفي خطابه لها: أنت طالق. ج. طوالق.

مطلق الزوج الذي انفصل عن زوجته
بالطلاق.

نُشُوز رفض الزوجة للزوج أو رفض الزوج
للزوجة. وترتب عليه أحكام في القوانين الشرعية.

تطليقها. من قولهم: آليت ان افعل أولاً أفعل كذا. أي أقسمت وتعهدت...

ملحق بالباب

مفردات وأفعال

طَلَّقَ زوجته يَطْلُقُها طَلْقاً ويطْلُقُها طَلِيقَةً واحدة وطلَّقتْ تَطْلُقُ صارت طالقاً

اختلفت المرأة من زوجها وخَلَمَها هو: فعل الطلاق فيما يخص المرأة في الشرع الاسلامي.

تَخَالَعَا: اتفقا على الطلاق. وخالعه هي طلبت الاختلاع وخالعهما هو.

بانت تَبَيَّنَ بينونة: طَلَّقَتْ. وفي أخبار الحجاج أنه أرسل رجلاً ليطلق احدي زوجاته بكلمتين فقال لها: كنت فَبَيَّنْتَ فقالت: كنا فما حيدنا و بَيَّنَّا فما ندمننا.

المُحْلَل من مصطلحات الطلاق في الفقه السني ويكون بعد الطلاق ثلاثاً. والشرعية تمنع الرجوع بعد الطلاق الثالث إلا إذا تزوجت المطلقة من آخر ثم طلقها فعندئذ تصح لها العودة إلى زوجها الأول بعقد جديد. وكان هذا تدبيراً لردعهم عن التوسع والاسفاف في الطلاق. وعند بعض أهل السنة أن الطلاق يكون بانثاً إذا قال لها بلفظ واحد: "أنت طالق ثلاثاً"، فتحرم عليه ما لم تتزوج من آخر ثم يطلقها. ولحل هذا الاشكال يعقد عليها بعقد شكلي من رجل آخر ثم يطلقها

قبل أن يمسه فتحل لزوجها الأصلي. ويُسمى القائم بهذه الحيلة الشرعية محلَّل. وفي العراق تسمى الحيلة تجحيش. وقد جَحَّشَها يجحِّشُها. ويحدث في حالات أن المجحِّش يتمسك بالمرأة ويرفض تطليقها، فتصبح زوجته الشرعية لأن العقد تتوفر فيه أركانه المطلوبة ولو أنه يتم باتفاق مُشَبِّق مع المجحِّش.

آلى من زوجته يُؤَلِّي: أقسم لا يمسه. وفي القرآن: "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر..."

نَشَزَ عليه ونشز عليها ينشِز وينشِز: رفضته أو رفضها. وأصل النشوز الارتفاع وكأن أحدهما استعلی على صاحبه فكرهه وأراد فراقه. ظاهر من امرأته يُظَاهِر: قال لها أنت علي كظهر أمي.

تَفَاخَت، تَطَالَّق. طلاق جماعي متقابل بين العوائل من عشيرتين. من مصطلحات البوادي الشرقية. ويكون عند وقوع نزاع تصدع به العلاقة بين العشيرتين. ينظر إلى الفُخْت في احد معانيه وهو القطع فكأنهم أرادوا التقاطع فقالوا تفاخت مهجورة، امرأة هجرها زوجها فلم يعاشرها ولم يطلقها. تردد على لسان العامة. وأصل الهجر في القرآن وهو أن يهجرها في منزله إذا نشزت فيتترك مضاجعتها للضغط عليها، والمهجورة هي المطرودة من بيتها تعسفاً. وهي كالمعيرة

الباب الخامس

مفردات الوضع الزوجي

الحديثة: عذراء امراة لم تُفتض. ج عذارى وعذراوات
عُدرة، بضم العين، حالة العذراء، البكارة.
يكر، بكسر الباء، عذراء. ج أبكار
بكارة، بالفتح، عُدرة. والغشاء في مثلث
عشتار قبل الافتضاض.
بتول: عذراء. من المفردات الموغلة في القدم.
فهي في الأكديّة بتولتو. وفي الأرامية بتولا.
وأخذت في العربية والسريانية معنى العذراء
المتطهرة المنقطعة إلى الله ولذلك لُقبَت بها مريم.
مُخصّنة ذات زوج، متزوجة، وهو مُخصّن:
ذو زوجة، متزوج. من الإحصان ويعني تحصين
الانسان عن الزنا بالزواج.
تَيَّب غير عذراء. ج تَيِّبات. في القرآن: "تَيِّبات
وأبكار"
مشغولة امرأة مشغولة أي متزوجة أو
مخطوبة. وفي خبر زواج شريح سأل أم الفتاة:
أفارغة أم مشغولة؟ فقالت بل فارغة. والكلمة في
(سَدَن).
عزب الجذر الدال على عدم الزواج وله
اشتقاقات وصيغات مختلفة في المعاجم نشبتا مع
التنبيه إلى المستعمل منها والمستجد في العربية

الحديثة: لغير المتزوج: عَزَبَ وعازب وأعزب. والأخير
تقول المعاجم أنه لا يصح أو قليل. وهو كثير في
العامية الحديثة. ويستعمل الكتاب عزب وعازب.
والعَزَب لكليهما واستعملوا عازبة تأنيثاً لعازب.
وللمرأة يستعمل العوام عَزَبَة وعَزْبَا والأخيرة من
عزباء. والجمع لكليهما عَزَاب ويجمع الكتاب
عازبة عازبات
عُزوبة حالة العُزَاب. عدم الزواج. والعزوبة
لمن لم يتزوج أصلاً ولمن تزوج ثم فقد الزوج أو
انفصل عنه.
مِعزابة من طالت عزوبته حتى ليست له في
الزواج حاجة.
عانس عذراء تأخر زواجها. ج. عوانس.
أُجِم غير المتزوجة. وتعم العَزَبَة والعانس
والعذراء والأرملة والمطلقة. وأصلها للرجال والنساء
ومنه قول أمية بن أبي الصلت:
لله در ابني علي
لثيم منهم ونكح
أي غير المتزوج والمتزوج.
واستعملها القرآن لكليهما جمعاً: "وانكحوا
الأيامى منكم.." ويغلب استعمالها على المرأة.

وفي الأساس: "هي أيم مالها قيم". وفي حكم الایم الباهل والباهلة وهي الایم التي لا ولد لها أي أنها المنقطعة بلا زوج ولا أولاد. وفي قول الكميت:

فذلك أمور الناس اضحت كلها

امور مضجِع اشر النجوم، بهلُ

بهل هنا صفة لأمر الناس ومراده: مهتلة مضیعة والابهال الترك والاهمال.

أرملة التي مات زوجها. ج. أرامل. وهي الراجع أيضاً ولكنها تخص من ترجع إلى أهلها بعد موت زوجها. هكذا وردت في المعاجم. وتقال للمطلقة التي ترجع إلى أهلها أيضاً. ومن البين أن الصفة متوقفة على وجود أهل ترجع إليهم. وبخلافه فهي الأرملة أو المطلقة من غير قيد رجوع.

هَجَّالَة في (مع): عَزَبَة خالية من الرباط العائلي. جذر هجل يفيد الهُجُج والاهمال والحمق والتعرض للرجال..

مُعَلِّقَة امرأة فقد زوجها ومجهل مكانه فلا هي ذات زوج ولا هي أيم. وحكمها في الشرع الانتظار مدة معلومة تكون بعدها في حل من الزواج بآخر.

مَغِيْب ومَغِيْبَة، بضم الميم، امرأة غاب زوجها إلى مكان معلوم على أن يعود من غيبته في وقت ما، معلوم أو غير معلوم. وفي الحديث: "أمهلوا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة" توجيه بابلاغ الزوجة المغيبة بعودة الزوج حتى تستعد لاستقباله بزيئتها التي يحب أن يراها فيها.

لَقُوت، بفتح اللام، امرأة لها زوج وولد من غيره.

بُرُوك، فتح الباء، امرأة تزوجت وولدها بالغ كبير.

وَيْثَاء امرأة منحوسة يموت من يتزوجها. والميئى من تموت زوجاته. وأصلها من تموت له أو

لها ثلاثة. من الاثافي وهي ثلاثة وعمت على المنحوسين منهما بصرف النظر عن عدد موتاهما. وقد مات لعاتكة بنت زيد ثلاثة أزواج.

بأيرة: بنت يتأخر زواجها ويقل أو ينعدم خطابها (عامية) من البوار وهو الكساد في أحد معانيه. وتختلف عن العانس في أن العانس قد تُطلب وتُخطب ولا تتزوج لسبب منها أو من أهلها أو أي سبب آخر. والبأيرة هي التريكة في الفصحى.

نزاع المتزوجات في بلاد الغربة فهن ينزعن إلى أهلهن وبلادهن. عمر بن الخطاب: "يا بني السائب أنكم قد أضويتم فانكحوا في النزاع" أضويتم لزواجكم من القريبات فتفشلوا وتزوجوا الغريبات.

صُرُورَة وصارورة الممتنع عن الزواج تبتلاً. لكليهما. وفي الحديث: "لا ضرورة في الاسلام" نهى عن التبتل والترهب. والضرورة في الشعر المنسوب للنابغة:

فلو انها عرضت لا شمت راهب

عبد الله صورة متعبد

وتُجَل النابغة عن هذا الشعر المفكك الركيك ولولا شاهده على الضرورة لما رويناه.

حَظِيَّة ومحظية المفضلة من بين السراري. وقد تقال للزوجة المفضلة من بين الضرائر. وإلى الأولى يشير صعلوك من القرن الرابع يشكو من الجوع:

نفسى تحن إلى الهلام

السوت من دون الهلام

هذا لأولاد الخطايا

والبغايا والحرام

رمة بيت زوجة تتولى تدبير شئون المنزل
والعائلة ولا عمل لها خارج البيت (مستحدثة)

عضلوا حتى تأخر زواجها. والغنوسة حالة
العانس يصوغها المعاصرون على غرار غزوبة.

ترملت المرأة تترمل ترملاً: صارت أرملة.
وهي مترملة. ورملها: جعلها أرملة. الصياغات
الدارجة عند المعاصرين. والمعاجم على رملت
وأرملت. ونص المحيط على ترملت.

آمت المرأة تميم وتأميت تنأيم: أقامت بلا
زوج. وأيمها: صيرها أيماً. ومنه قولهم: "الحرب
مأجمة للنساء" أي تُفقدن الأزواج.
تئييت المرأة: صارت ثيباً. وتئييت (على
المجهول)

تعزب فلان وتعزبت فلانة: كانا عازبين.
تركوا الزواج. ويكون ذلك إذا لم يتزوجا أصلاً أو
تزوجا وفقدا الزوج أو انفصلا عنه وبقياً بلا زواج.

ملحق بالافعال

عَنَسَتْ (المرأة) تعيس وتعئس وعينست تعئس
عُنُوساً وعِيناساً وعُنُتْ: طال مكثها في بيت
أهلها بعد بلوغها ولم تتزوج. وعَنَسَهَا أهلها:

الباب السادس

صفات المرأة كام

لم تحمل بلا عقم. والعافر والعقيم من لا تحمل
لعله فيها.

خضيرة امرأة لا تكاد تتم حملاً حتى
تسقطه. شاعر:

تزوجت مصلاًحاً زقوباً خضيرة

فخذها على ذا النعت إن شئت أو دِعْ

مُسيع من تلد لسبعة أشهر. وقد أسبعت.

خُصوف التي تلد في موعدها من الشهر
التاسع لا تتأخر ولا تتقدم.

ظئر وظئور من تعطف على ولد غيرها
وترضعه. ج. أظُر وأظُور. والاسم ظئار.

مُشِيل التي يموت زوجها ويترك لها أولاداً
فتتفرغ لهم وتأنى الزواج.

مُرْضِع امرأة لها رضيع تُرضعه بنفسها.
والمُرْضِعَة من تُرضع ولد غيرها. ومنه مرضعة النبي
حليمة السعدية. وترد مرضعة في نصوص أدبية
بدلالة مرضع وليست حجة في ذلك لأن النص
البلاغي لا يراعي الدقة في المعنى. ويستعملها
المعجميون في شروحهم بهذا المعنى كقولهم:
استرضع: طلب مرضعة (وليس مرضعاً).

فاطم من فطمت رضيعها ولم تعد تُرضعه
وهي الفاطمة أيضاً.

مِذكّار، امرأة تلد الذكور وخلافها مثنّاث.
وميعقاب لمن تلد مرة ذكراً ومرة أنثى.

مِقْلَات، المرأة التي لا يعيش لها ولد. شاعر
جاهلي:

بُغاث الطير اكثرها فراخاً

وام الصقر مقلات نزور

مُثِم، من ولدت توأماً وميثام من تلد
التوائم.

خروس، اليكز في حملها الأول

وَلود، كثيرة الولادات. امرأة خصبة. فإن
كانت تلد سنوياً وتحبل قبل الفطام فهي مُمغل.

ضائى وضائفة ذات أولاد. من الضنء وهم
الأولاد.

منجاب، من تلد النجباء

مِحمّاق، امرأة تلد الحمقى. وهذه وما قبلها
صفة لاحقة بعد أن يكبر أولادها وتظهر عليهم
صفات النجابة أو الحماقة. وأحمقت: ولدت
الحمقى. قال الشاعر في امرأة يمدحها:

☆ لا أحمقت لا ولا أزلت بها غمٌّ ☆

عائط امرأة ينقطع حملها سنين من غير عقم
أو لا تحمل أبداً لكنها غير عقيم. وتعوطت تعوطاً

أشبلت تُشبل إشبالاً: قعدت على أولادها
بعد وفاة زوجها ولم تتزوج.
أثامت تُثم إقاماً ولدت توائم.
ثكلت ولدها تتكله ثكلاً وثكلاً: وثكلت
فقدته. وأثكلت: لزمها الثكل. وثكلتك أمك دعاء
بالهلاك. شعر:

✽ ثَكَلْتُكَ أَمَكُ مَا اعْتَذَرَكَ فِي غَدٍ ✽
وأثكلها: أفقدها ولدها. (لينتبه مراجع
القاموس إلى أن الولد للذكر والأنثى)
أثجبت تُنجب ولدت ولداً نجيباً. قياس افعل
غير المتعدي. وعدّها علي بن الخليل في العباسي
الأول:

ياخير من انجبه والد
ليخهيك الفارس ليث الخزال
ويستعملها المعاصرون بمعنى وَلَدَتْ على جهة
التكريم لها. ويستعملون إِنْجَابَ لعموم الولادة.
رثمت ولدها ترأه رأماً عطفً عليه فهي
رائم ورائمة ورؤوم. والدارج رؤوم
ملحوظة: أوصاف المرأة البيولوجية ووظائفها
في قاموس الطب.

رُؤوم التي تعطف على ولدها أو غيره و
تلازمه. يقال: الأم الرؤوم كما يقال الأم الخنون.
ورأَم جذر يدل على مُضَامَة وقرب وعطف
(مقاييس اللغة).
قاعده، امرأة انقطعت عن الولادة. وفي
القرآن:

"والتواعد من النساء اللاتي لا يرجون
نكاحاً..." والآية تشير إلى المرأة التي ناهزت سن
اليأس فلم تعد قابلة للزواج والولادة.
فاقده، من مات زوجها أو ولدها أو حميمها.
ثاكل وثكلت من مات ولدها وتقال للرجل
أيضاً لكن اختصت بالمرأة في الاستعمال.
واله ووالهة ثاكل شديدة الحزن على
فقيدها.

ملحق بالباب

أفعال ومفردات ذات علاقة

آثت إيناثاً: وَلَدَتْ أُنْثَى وأذكرت وَلَدَتْ
ذَكَراً. ومن ادعيتهم للحبلى: اذكرت وأيسرت أي
أن تلد ذكراً وتيسر ولادتها..

الكتاب الثالث

الحب والجمال

الباب الأول

مفردات حب

يستعمل الحب والمحبة في مكان بعضهما الآخر لكن الغالب على المحبة أنها عاطفة عادية.

وَقَدْ: في اللسان عن ابن سيدة "الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" وبمقتضاه يكون الحب للخير والشر والود للخير وحده. والود قلما يراد للعاطفة الشديدة فهو حب معتدل كالحبة. لكن الوداد في جملته الوجدانية اخص من الود كما في قول الصوفي:

سقاني شربةً احيا فؤادي

بكاس الحب من بحر السوداد

والوداد يسمي به المعاصرون بناتهم لموسيقاه ودلالته المستحبة.

والموَدَّة الود والمحبة

مَقَرَّة: مصدر ميمي يستعمله المعاصرون بمعنى يجمع بين المحبة والإكرام وفعله الأصلي أعزّه أي أكرمه وأحبه.

هوى: الحب بمعناه الخاص. وهو المراد في قول رابعة القَدَوِيّة:

احبك حبين حبّ الهوى

وحباً لأنك اهل لذاك

والهوى أيضاً: ميل النفس إلى الشهوات وهو

حُب ضد البغض. ومعانيه على الوجه التالي (١) ميل الطبع إلى الشيء الملذ كما في الكلبيات. ويختص بحب ما هو لذيق أو مفرح أو ما هو جميل ونحو ذلك (٢). ميل نحو الآخر ناشئ من القرابة كحب الأخ للأخ أو العلاقة الشخصية كحب الصديق للصديق (٣). ميل مبني على الاعجاب كحب شخصية سياسية أو ثقافية أو على الايمان كحب المؤمن لرمزه الديني، أو علاقة احسان كحب المحسن إليه للمحسن. ومنه قول العراقيين: "أحبك يا ناعمي" (٤). انجذاب وجداني لموضوع علاقة كحب الوالدين وحب الوطن (٥). انجذاب شديد نحو شخص آخر مثل حب الأم لطفلها وحب أحد الجنسين للآخر. والأول ناشيء عن غريزة الأمومة فهو حب راسخ والثاني ناشيء عن غريزة الجنس لكنه يكون عذرياً مجرداً (اهتمامياً) كما يكون جنسياً. وما عدا ذلك فهو الحب بمعناه العام.

وللحب بمعنييه العام والخاص مرادفات نتابعها في الفقرات التالية.

مَحَبَّة حب بمعناه العام في الغالب. يقال: "بين فلان وفلانة حب" فيفهم منه ارتباطهما بالعاطفة التي تربط بين الجنسين. ويقال: "بين الأخوين محبة" فيفهم منه ارتباطهما الأخوي. وقد

المراد بالآية "ونهى النفس عن الهوى" أما قوله: "ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" فأعم من ذلك إذ المراد به ما يميل إليه الانسان من أمور تحمله على عدم العدل ويدخل فيها مصالحه وشهواته.. والأهواء جمع للهوى استعمله السلفيون القدماء لوصف البدع والتزعات الخارجة عن العقائد التقليدية وسيأتي في موضعه من قاموس الثقافة.

عشق: فرط الحب. ويحده في الكليات بما هو مقرون بالشهوة. وفي القاموس: "إفراط الحب ويكون في عفاف وفي دعة" وهو الأصح. ويعد الأطباء المسلمون من الأمراض النفسية. وهاجمه الرازي في "الطب الروحاني". وسئل ثعلب عن الحب والعشق أيهما أحمدا؟ فقال: "الحب، لأن العشق فيه إفراط". وفي المخصص عن الزنجاني إن العشق مشتق من العشققة وهي شجرة تخضر ثم تصفر وتذوي. فشبه بها حال العاشق لأن العشق يمرضه ويذويه.

شَفَفَ: حب شديد. مأخوذ من الشَّغاف وهو غلاف القلب. فكأن الحب بلغ الشَّغاف ليصل إلى القلب ويتمكن منه. والمشفوف من شغفه الحب. ويعمم المعاصرون على حب الأشياء التي يولع بها الانسان فيقولون فلان مشغوف بالقراءة وفلان مشغوف بالخمر وآخر مشغوف بالسفر... الخ.

لاعج: الهوى المحرق. ج. لواعج، وتغلب صيغة الجمع في الشعر. ولعجه الحب يلعجه لعجاً: احرقة.

جوى: الهوى الباطن الموجع.

وله: ذهاب العقل من حب أو حزن.

هيام: جنون الحب والتحير فيه بحيث يذهب العاشق في الأرض لا يدري ما يفعل.

مقة: حب. والوامق الحب.. من شواهد اللسان:

إن البلية من تَمَلُّ حديثه

فانقم فؤادك من حديث الوامق

نادر في لغة الكتابة مهمل في لغة الكلام.

غرام حب ثقيل راكز لا يستطيع الافلات منه. وأصل الغرام العذاب كما في المخصص عن أبي علي الفارسي، لكن القرآن جعل الغرام صفة للعذاب "أن عذابها كان غراماً". فينبغي أن يكون عذاباً ثقيلاً أو راسخاً. والغرمى: المرأة الثقيلة. فالثقل من دلالات الغرام.

ذَفَ المرض الشديد. وكثر استعماله لمرض الحب.

شَوَّق نزوع النفس إلى الشيء. وعند الصوفية: هَيَّجَان القلب عند ذكر المحبوب. ويفرق الصوفية بين الشوق والاشتياق، فالشوق يسكن باللقاء والاشتياق يتضاعف باللقاء.

صَبَابَة: رقة الحب والشوق وحرارتهما. والصب هو العاشق الرقيق المشتاق. "وديون الصبابة" مجموعة منتقاة من شعر الحب لابن أبي حجلة.

ذَلَّ وتدلَّه: ذهاب العقل من عشق أو هم ونحوهما

وَجَد: الحزن والحب. وفي هذا البيت :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادني مسرك وجناً على وجد

يريد الشاعر ان نسيم نجد ذكره فزاد حزنه على احبته البعيدين. والوجد الصوفي ما يبلغونه في مراتب الحب الالهي مقروناً بشدة الشكر. وتواجد الصوفي تواجداً أخذته سكرة الحب. والواجد ذو الوجد. ومنه:

احسن بالواجد من وجده

صم يعيد النار في زنده

والوجد هنا هو الحزن على فقيده يحبه

الواجد.

ملحق بالباب

مفردات وافعال

أَحَبُّ يُحِبُّ فَهوَ مُحِبٌّ؛ وأَحِبُّهُ فَهُوَ مُحِبُّوبٌ .

حبيب: فعيل من الحب يغلب على طرفي العلاقة العاطفية . ويقال أيضاً لكل من هو موضوع الحب شديد كالطفل والوطن . ج. أحياء وأحبة . حَبِّبَ إليه الشيء أو الشخص: جعله يحبه . فهو مُحَبَّبٌ عنده . سورة الحجرات: "ولكن الله حَبِّبَ إليكم الإيمان" .

تَحَبَّبَ إليه: أظهر له المحبة .

تَحَابَّوا: تبادلوا المحبة . وهم متحابون . والتحابَّ تبادل المحبة . وقد يُفكَّ الإدغام في لغة الكلام فيقال تَحَابَّبُوا .

أَحَبُّ بِهِ: مأحبه . تعبير عن الإعجاب بشيء أو شخص محبوب .

مُحَبَّبٌ ومُحَبَّبَةٌ: محبوب ومحبوبة (عامية) . وكذا حَبَّابٌ وحَبَّابَةٌ .

وَدَّهْ يُوَدُّهُ: أحبه . والودود المحب لغيره الكثير الود . وتَوَادَّوا تَوَادًّا: تحابوا . وتَوَدَّدَ إليه: تحب . والاولياء : المحبون . وترد ودٌ بمعنى تمنى كقول القطب الجيلي عبد القادر: "وددت لو أن الدنيا في يدي لأطعمتها الجياع" . وددت بكسر الدال وحكاها الكسائي بالفتح أيضاً .

أَعَزَّه يُعَزِّهِ: أحبه . والعزیز عند المعاصرين المحبوب والغالي النفس . وهو المستفاد من الخطاب في المراسلات: أخي العزيز، والذي العزيز، والذي العزيز ، صديقي العزيز . . . ج. أعزَّاء وأعزَّة وعزاز . والجموع الثلاثة مشتركة لهذا المعنى المولد والمعاني الأخرى التي ترد في القواميس . يتعزَّز على: يتدلل (عامية) مولد من أحد

معانيه القديمة التي تفيد التعظيم والتمكن .

هَوَّيْهَا يَهْوَاهَا: أحبها . وهوى الشيء يهواه: رغب فيه وتعلق به . واستهواه الشيء: أعجبه فشغل هواه . واستهواه فلان: أترفيه فجعله يتقبل ما يقوله من غير نقاش . هأواه: سايره وداراه .

عَشِيقُهَا يَعَشِّقُهَا فَهوَ عَاشِقٌ وَهِيَ عَشِيقَةٌ . وهي معشوقة . ولا يقال عشيقة عند المعاصرين لأنها تختص عندهم بالمعاشرة غير الشرعية بين رجل وامرأة ومدلولها علاقة جنسية خالصة . وجمعها عشيقات . واستعملها الجواهري بمعنى المعشوقة في قصيدته عن زحلة اللبنانية:

في كل مقهى عشيقات نزلن على

وادي الغرام وعشاق معالميد

وإنما اضطره إليها الوزن فالبيت ليس حجة على خلاف معنى العشيقة عند المعاصرين .

وعشيق على زوجته: أحب أخرى معها

وتعشَّق: تكلف العشق . وتعشَّقها: عشقها

تيمَّه الحب: استعبده . والمثيم من استعبده الحب واستولى عليه . وتيمته بحبها . ينبغي أن يكون من تيمَّ وهو العبد ومنه تيم الله اسم قبيلة جاهلية ومعناه عبد الله .

وَلَّهْ وَوَلَّه: تخير وداخ من حب أو هم ونحوه . وتولَّه يتولَّه أغلب عند المعاصرين كقول سلمى الجيوسي:

إنما لا تتولَّه

فأنا قد اتَّله

وللوله مدلولات نفسية تراجع في كتاب النفسيات من قاموس الانسان والمجتمع .

دَلَّهْ يَدُلُّهُ وقَدَّلَهُ ، والأخير أغلب على

المعاصرين، ذهب قلبه من هم أو حب أو نحوه.
ودلّاه الحب تدليهاً فهو مدله: حيره وأدهشه

هام بها حباً فهو هائم وهيمان: اشتد حبه
حتى ذهب على وجهه لا يدري ما يفعل. وهيئته
جعله هائماً. ابن عربي:

..وهو لصاحب الحال الذي أفناه الجلال أو
هيمه الجمال

والمُستَهَام: الهائم، الكميت بن زيد

من لقلب متيّم مُستَهَام

غَمَ ما صَبَوَ ولا اَصْلَامِ

جمع فيه متيم، ومستهام، وصبوة وهذه
ستأتي.

شاقه يَشُوقُه شوقاً: هاجه وأثار فيه الشوق
إليه. واشتاق هو الشيء وإلى الشيء اشتياًقاً
وتشوق إليه. اشتد شوقه إليه. وشوقه تشويقاً:
أثار فيه الشوق إليه وجعله ينزع إليه (التشويق في
كتاب الفن من قاموس الثقافة). وتباريح الشوق:
توهجه وهيئجانه.

ذَيْفٌ: مريض مرضاً شديداً. وأدنفه المرض:
اشتد عليه فهو ذَيْفٌ ومُدْنَفٌ. ابن الفارض:

غَطَفًا على رَمَقِي وما لَبِقِيَتْ لِي

من جسمي المُنَى وقلبي الدنف

يريد المدنف بالحب.

شَفَّه الحب: أنحلّه وأوهنه: قال الشاعر:

من لَصِبِ شَفَه سَقَمُ

وتلاشى لحمه ونفثه

تعلّقها وتعلّق بها: أحبها. والتعديء بالباء هي
الدارجة عند المعاصرين.

هندته: أورثته عشقاً بالملاطفة. وحسب ابن
دريد كما في المخصص أن اشتقاق اسم هند من

التهنيد والصحيح هو العكس فاسم هند أصلي
مأخوذ من اسم البلاد وقد سمي به العرب بناتهم
لما عرفوه من جماليات الهند وحضارتها كما
يترجح عندي. والاحساس بالجمال شديد عند
العرب.

يَتَحَرَّقُ، يقول المعاصرون فلان يتحرق شوقاً
إلى كذا تعبيراً عن شدة الشوق والتهابه.

أَوْحَشَه: ضد آنسه، جعله يستوحش. ويريد
بها المعاصرون في الغالب استوحش لغيبه. كقول
الجواهري يداعب صديقاً:

لقد أوحشتنا حتى كنا

الفنا فيك مصطحب الوحوش

ويقول المصريون: وحشتي .

نَقَمَش على قلبي: استهواني وجذبي.
(سط) من نَقَش إليه أي مال إليه. والميم زائدة

متبول: من اسقمه الحب. والتَّيْل جذر للأذى
والمرض والعداوة. وفي (عق) للعيب والثقل. وهو
المعنى الأقرب للتبول. والكلمة مما يرد كثيراً في
شعر الغزل عند القدماء من جاهليين وإسلاميين
ومن مطلع قصيدة كعب بن زهير المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

صَبَوَ: الميل إلى اللهو وبضمه النساء. وقد
صبا يصبو. دُرَيْد بن الصِّمَّة:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه

فلما علاه قال للباطل إبعِد

وأضَبَّته: جعلته يصبو إليها. من شواهد
اللسان:

إلى هند صبا قلبي

ومند مثلها يُضْبي

الحب حسب التصنيف النفساني

حب غيري: حب من جانب واحد لا يهدف إلى السيطرة على المحبوب بل العناية به وجلب السعادة له. وهو حب الشاعر القديم الذي قال:

ويفرح قلبي ان اراها بنعمة

وان كان لا يجدي علي نعيمها

حب كاذب: حب أناني يجمع في وقت واحد أكثر من محبوب

حب امتلاك: يتميز بحدة العاطفة وشدة

القلق فيدفع إلى تمني امتلاك المحبوب. وتصحبه حالات مَرَضِيَّة كالفَقَم والأرق. وهذا هو العشق في معناه الذي شرحناه

حب عُذري: حب عفيف انتشر في صدر الاسلام والخلافة الأموية في البادية والحجاز. نسبة إلى بني عُذرة الذين كثر فيهم المحبون من هذا النمط. والحب الغيري داخل في الحب العذري وهو أيضاً مرادف للحب الاهتيامي (الرومانسي) الذي عرفته أوروبا في القرن الثامن عشر.

حب جنسي: حب بقصد المضاجعة. وهو الحب المرادف في الانجليزية المعاصرة للجنس حيث يقال: make love ويترجم : يمارس الحب. والترجمة ملتبسة لأن الحب في العربية لا يشترط الجنس حصراً. وترجمتها الصحيحة: يمارس الجنس

الباب الثاني

الغزل

الغزل. ولا يقال: شعر المغازلة أو غارلها الشاعر لأن المغازلة هي الحديث العادي المباشر بين المحب والمحبيب بل يقال تغزل بها أي أسمعها الغزل أو كتبه عنها والأخير هو الغالب والغزل هو معتاد الغزل. بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

وكان بالقرب منها كوكب غزل

يصفي فلما رآها سبخ الله

وراح يقسم ان لابات ليلته

إلا على شفتيها لانما فاما

ويوضح البيت الثاني أن هذا الكوكب الغزل هو في الحقيقة المغازل الذي وضعه العصري مقابل PHILANDERER وليس هو الشاعر الغزل. والشاعر الغزل هو الشاعر الرومانسي الاهتامي ويميز بذلك عن الشاعر الماجن الذي يكتب الأدب المكشوف والزفت وشعر المحون. والغزل يميل إلى المعنى الأول وإن كان بعض المعاصرين يستعمل الغزل الصريح.

تشبيب: في لسان العرب: "تشبيب الشعر ترقيقه بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأريثها". فالتشبيب مخصوص بالغزل الشعري. وشبب بها:

غزل، بفتحين، تختلف المعاجم في تعريفه. ففي لسان العرب: حديث الفتيان والفتيات. وفيه عن ابن سيدة: اللهو مع النساء. وفي القاموس: محادثة النساء. وفي الوسيط: محادثة المرأة والتودد إليها. وفي المنجد: يحادث النساء ويُفِيض بذكرهن. ووضعه العصري مقابل FLIRTATION وشرحه باللهو مع النساء. وأورد: شعر غزلي مقابل EROTIC POETRY ومغازل النساء مقابل PHILANDERER والانجليزي من PHILO اليوناني بمعنى الحب. ويختلط في EROTIC معاني الحب والشهوة والجنس فتخصيصه بالغزل ليس دقيقاً. ويستعمل المترجمون اليوم ايروسي (انظر مادة عروس في كتاب الزواج). تلخيصاً لهذه التعريفات ولاستعمالات الكلمة في المعصرين الاسلامي والحديث نقول:

الغزل: حديث الحب بين الرجل والمرأة. وشعر الغزل: شعر الحب الذي يتحدث عن صفات المحبوب الجسدية والأخلاقية وعن عواطف الشاعر أو معاناته في حبه. والغزليات قصائد

قال فيها الغزل. وهو يتشبيب: يتغزل بالشعر، يقول شعراً غزلياً.

نسيب: شعر الغزل الرقيق. ونَسِبَ بها ينسب وينسيب: قال فيها شعراً عاطفياً رقيقاً.

مباغمة في اللسان: باغم فلان المرأة مباغمة اذا غازلها بكلامه. قال الاخطل:

حَتُّوا اللطايا فولونا مناكبهم

وفي الخدود اذا باغمتها صَوْرُ

واليفغام في الاصل صوت مرخم مُنعم مبهم ومنه بغام الظبية وبغام الطفل وهو لغاه قبل ان ينطق.

ملحق بالباب

مفردات تتكرر في الغزل

وَصَلَ مواصلة الحبيبة لمحبا. نحو:

أتت وحجاب الموت بيني وبينها

وجادت بوصلي حيث لا ينفع الوصل

وقد فهم الشاعر الوصل هنا بالوصال الجسدي. أما هي ففهمته بالوصال الروحي

فَهَجَر وهجران: مقاطعة الحبيبة للمحب .

والهجر عند المسيحيين العرب انفصال من غير طلاق.

عاذل وعذول: الذي يلوم العاشق على

عشقه. والعذُل بسكون الذال وفتحها هو اللوم.

وكرر وروده في الغزليات وفي الاغاني المعاصرة كقول محمد عبد الوهاب امير الغناء المعاصر :

والقمر طلال علينا

والعذول غليب عن عينينا

ج. عُذَال والعواذِل للنساء واستعملها فريد الاطرش ، زميل محمد عبدالوهاب ، للجميع في اغنيته " يا عواذِل فلفلوا "

وُشاة المشاغبون على المحبين. هكذا ترد في الغزليات. ولها معانٍ أصلية تجدها في كتاب الأخلاق.

شَجَن حُزَن. يكثر في الغزل ويجمع فيها على شجون و أشجان كقول الشاعر

هلا اخذت لهذا اليوم أُنْبَتَه

من قبل ان تُصبح الأشواق لشجاناً؟

سَلَوَ وسُلُوَان نسيان الحبيب والشفاء من حبه. والسُلُوَان أيضاً دواء إذا شربه العاشق شفاه من عشقه وهو المقرح عند الأطباء وقد سلا عنها وسلاها يسلو. والسَلَوَة كل ما يُسَلَى

والسَلَوَانَة حَزَزَة كانوا يصبون عليها ماء المطر ويسقونها العاشق ليسلو. يقال: سلوت وسليت ومنه قول رؤبة:

لو أشرب السَلُوَان ما سَلَيْتُ

وَأَسْلَاهُ وسَلَاهُ: جعله يسلو وينسى. وللتسلية معنى يرد في موضعه من المعجم. وانسلى عنه الهم: انكشف.

تَوَرَّة، الفتاة ترسل بين العشاق.

الباب الثالث

الجمال ومرادفاته

يُتَبَّه عليه كما يُتَبَّت أثر الرسم. واستقل الرسيم بمعنى الجميل الثابت الجمال كأنه قد وُسم به وسمّاً

نَضَارَةُ البريق والرونق والبهجة. وهي نَضْرَةٌ ونضيرة وناضرة والمنظر نَضْرٌ ونضير وناضر

مَلَاَحَة، بفتح الميم، الحسن. وهي مليحة وهن مِلاح. ويقول العراقيون "مملوحة" لمن يستملحون وجهها من غير أن توصف بجمال فائق. وهو الدلالة الأصلية للملاحة.

صَبَاَحَةُ الجمال مع إشراق. وهي صبيحة وهو صبيح.

طَلَالَة، الأصمعي "الطلالة الحسن والماء". ويقع فيه معنى الجمال العذب. ولهذه الصفة علاقة بالطل وهو التسع الجاري في الأغصان والمطر الخفيف أو الندى. وهي طليعة. وطلال من أسمائهم

طلاوة الحسن والبهجة: وفي البيت التالي جمع الشاعر ثلاثة مرادفات للجمال وهو في امرأة سوداء:

وزاد بك الحسنُ البديعُ طلاوة

كانك في وجه الملاحه خال

والبديع هو المُحَدَّث العجيب الذي بلغ الغاية في بابه. وأعطته العامية المعاصرة معنى الجميل والجيد واشتقوا منه بَدَاعَة للحسن والجودة الفائقة.

جمال ضد القبح والدمامة. المفردة الأساسية في هذا الباب. يحده فلاسفة العرب بأنه: "صفة تُلاحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضاً". والجمال صفة للأشياء والأحياء والمجردات. وهو جميل وهي جميلة.

حُسن، بالضم ويكسره العامة، جمال. ويجتمع فيه معنيان: كونه ملائماً للمزاج والطبع وكونه صفة كمال. واستعير لذلك للجودة. فيقال: حُسنُ العمل وحسن السلوك وعمل حسن وسلوك حسن، والأخلاق الحسنة. شائع عند القدماء وعوام المعاصرين نادر عند الكتاب الذين تجنبوه لشيوعه في العامية. على أنهم يقولون حسن العمل وحسن السلوك وحسن الاداء وقلما يستعملونه مرادفاً للجمال.

بَهَاء يقال للحسن المهيّب المائي للعين. ومنه اشتقاق المياهاة والتباهي زنة مفاعلة وتفاعل من البهاء وكأن المياهي والتباهي يعرض ما عنده من بهاء ليفاخر به غيره.

وَضَاءَةُ الحُسْن مع ألن ونظافة. (يُنْظَرُ للوضوء ويعني غسل بعض الأطراف والوجه) وهي وضيفة وهو وضئ.

وَسَامَة أثر الحسن في الحسنة. وجذره رسم ووشم وهو أثر الكي. يقال وسمه بميسم كفر أو إيمان أي

وسموا أولادهم بديع وبديعة، ويتردد معنى الاسم بين البديع من أسماء الله الحسنى والبديع بالمعنى اللغوي. والأخير هو الأكثر لأنهم لا يسمون عبد البديع. الحال يأتي لاحقاً.

الطلاوة مثلثة الطاء. والطلبي للكلام فيه طلاوة واللون الطلي والشعر الطلي عند المعاصرين ما فيه طلاوة.

بهجة الحسن والنضارة مزوجاً بما يثير الفرح والشعور بالسعادة.

بضاضة رقة البشرة مع نضارة وامتلاء، بصرف النظر عن لونها. وهي بضّة وجسدها بضّ. أحمد شوقي:

كعدارى اخفين في الماء بضاً
ساحيات به وابدين بضاً
والبضباضة: الرخصة الجسد المتلفة البدن
الصافية اللون (الوسيط)

زشاقه جمال القد ولطفه واتساقه
فتنة أصل الفتنة صهر المعدن في النار
لاختباره. ومنه سمي الصائغ فتان. ووُلدت منها معاني كثيرة وردت في القرآن. وفي اللسان: "يقال فتّن الرجل بالمرأة واقتن. وأهل الحجاز يقولون: فتنت المرأة إذا ولّته وأحبها وأهل نجد يقولون: أفتنته." وتوسع المعاصرون في فائدة وفتانة للحسناء التي تخلق الألباب بحسنها. واستعملوا الفتنة أيضاً بمعنى الحسن الخلاب.

وقد فتنته بحسنها فتنته فهو مفتون بها. واقتن هو الفتاناً وفتن فتنة.

قرينة الفتنة بالنساء هي الابتلاء بهن وكأنه خضع لاختبار الجمال الخلاب فلم ينجح فيه فصار مفتوناً به. ومن معاني المفتون المجنون. وفتنته المرأة إذا وضعته موضع الاختبار بحسنها.

غندرة جمال مع دلال ونعومة (عامية) من غندّر

وغندور الفصيحة، وهو صفة الغلام الناعم وخصصتها العامة بالمرأة فقالوا غندورة يفتح الغين على عادتهم في زنة "فعلول". ومن الأغاني اللبنانية:

حلوة حلوة وغندورة

ملحق بالباب

أفعال ومفردات تتعلق بالجمال

جَمَلْتُ فلانة تَجْمَلُ وجمل الشيء يجمل صارت جميلة وصار جميلاً. وتجمع جميلة على جمائل ويميل المعاصرون إلى جميلات وتجمع الجميل جملاء. وللجمال اشتقاقات أخرى ترد في مواضعها.

حَسَنٌ وحَسَنَ الشيء يحسّن وحشنت فلانة صار حَسَنًا وهي حَسَنَةٌ. والحسناء صفة استقلت عن الموصوف للمرأة التي تتمتع بحسن فائق وجمعها حسنان وحسنات. ومحاسن المرأة عناصر الحسن فيها ويقال كذلك محاسن الشيء جمع لا واحد له "والمحاسن والمساوي" كتاب لليبيقي في الأدب والتاريخ.

وسَمَت فلانة فهي وسيمة والجمع وسام. والمعاصرون يميلون إلى وسميات.

نَضَرٌ ونَضِرٌ ونَضِرٌ ونَضِرٌ ونَضِرٌ (الوجه والشجر والنبات وغيره) صار نَضِرًا، كان ذا رونق وألّق. ونَضُرُهُ جعله نَضِرًا

مَلَح وجهها يَمْلَح: حَسَنَ واستمَلَح.

بَهِيَتْ تَبْهَى وبهت تبهو فهي بهية وهن بهايا وبهيات وهو بهي وهم أبهياء. والباهي: البهي من مفردات ألف ليلة وفي لهجات المغرب العربي وهم يقولون في جواب السؤال عن الحال: باهي.. أو باهي و زين.

حَلَا يحلو فهو حَلُولٌ وهي حُلولة. وخليت تحلى. وفي الخطبة الشقشقية لعلّي:

"ولكنهم خليت الدنيا في أعينهم". والصيغتان موزعتان على اللهجات بعضها تقول حَلَّتْ وبعضها خليت.. واحلولي: حلا. والحلّو: الحَسَنُ المستطاب.

وميزه الأقدمون عن الجميل فقال خالد بن صفوان لامرأة قالت له إنك لجميل: كيف تقولين هذا وأنا أصلع آدم (شديد السمرة) قصير؟ ولكن قل لي إنك لخلو. وفي القاموس: الخلو من يُستخف ويُستحلى من رجل وامرأة. ومن عبيات أبي نواس:

يقول والناطف في كفه

من يشتري الطلو من الطلو
الناطف: حلوى.

وَصَات تَوْضُوْ فِي وَضِيَّة.

بُهْج الشيء والوجه يَبْهَج بهجة فهو بهيج وهي بهيجة ومبهج: حسن ونضر وفي سورة الحج "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج". أي من كل صنف حسن رائق. وبهاج الورد: تضاحك. والمباهجة: المباحة. وبُهْج الشيء: حسنه وجمله. والتبهيج: التحسين

رَشِقَتْ تَرَشَّقُ فِيهِ رَشِيقَةٌ.

بَضُّ البدن يَبْضُ ويَضُّ صار بَضًّا. وَبَضَّتْ هي. تغندرت فلانة تَغْنَدِر: تدلت أوتأنقت (عامية)

خذ أشجح: سهل لين غير منتفخ وطويل في اعتدال. والسجاجة صفته. وسجاج كحذام نبيه بني تميم.

زهيدة: شابة لينة ناعمة.

قَرَّ الجسد ثَرَارَةً: امتلأ وتروى عظمه فهو تار. شاعر عن محبوبته:

وتصبح بالسفدة اتز شيء

وفي (عق) وجه يتز: يتلألأ. وجذر تار في السرياني يفيد الامتلاء والليونة والرطوبة.

أَتَّخَذَ: يقول المعاصرون جمال أَتَّخَذَ أي فاتن

جذاب.

عَرِيٌّ: في المخصص: "كل حسن غري، والقريان بناءان حسنان في الكوفة" والغري من أسماء مدينة النجف في العراق وكانت من أعمال الكوفة وسميت بالغري على تسمية البنائين اللذين كانا فيها وهما للمناذرة.

جَحَسَد: في القاموس: "الجسد جسم الإنسان". وينزع استعماله المعاصر إلى تخصيصه بجسم المرأة. وللكتاب اللبناني جورج حنا كتاب "المرأة جسد وروح".

الحال والشامة: كلاهما نكتة سوداء في البدن جَلَقَةٌ. وميز بينهما في اللسان فقال: "يقال لما لاشخص له شامة وماله شخص فهو الحال. وتعرف الشامة بأنها علامة في البدن مخالفة لسائر لونه. وفي حديث لابن عساكر "أصلحوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا شامة بين الناس". والشامة والحال لامتيازان عند المعاصرين وهما موزعتان على اللهجات فبعضها يقول شامة وبعضها حال وكلاهما للنكتة التي تخالف سائر البدن بارزة أم لا وهي من سمات الحسن. ج. حال يَحِلَّان وجمع شامة شامات. وصاحبة الحال خيلاء وصاحبة الشامة شيماء.

وَقَشَة: الحال الأبيض.

وَحْمَة بقعة مخالفة لسائر البدن تكون أكبر من الشامة. شائعة في العامية ولم تذكرها المعاجم ووضعها المصري والمورد والمعجم الطبي الموحد مقابل BIRTHMARK وشرحها المصري: أثر الوحام في الولد، والمورد: علامة خلقية على الجسد. ووجودها في معظم اللهجات الحديثة يدل على وجودها في لغة الكلام القديمة ولم يقيدها المعجميون.

الباب الرابع

القبح ومرادفاته

العبوس الغليظ المتجمع من غير اتساق.
ويستعمل العراقيون جهامة بمعنى شكل الوجه
قبيحاً أو جميلاً. فيقولون فلان حلو الجهامة. ومنه
قول المغني السياسي الساخر عزيز علي في تقاعس
الحكام عن نصرة فلسطين:

والنواطير النشامسى
دولا حلوين الجهامة
نائمين شلون نسومه

وهو يجهم وجهم. وجهم يجهم: صار عابس
الوجه كريهه.

شناعة، شدة القبح. وهو شنيع وهي
شنيعة. وشنع يشنع: صار شنيعاً واستعيرت لمعان
تأتي في مواضعها من القواميس.

كريه، من معاني الكريه: القبيح، الذي
يكرهه من ينظر إليه. وفعله كره يكره، لازم على
زنة فغل. وإذا أريد الكريه بمعنى البغيض قيل كره
يكره فهو كاره والشئ مكروه وكريه.

قبح خاصية في الشئ أو الشخص تؤذي
النظر وتبعث على النفور من المرئي. وهو قبيح
وهي قبيحة. ج. قباح. والقباحة القبح إلا أنها
مالت إلى الاختصاص بالاخلاق والسلوك. قبيح
يقبح صار قبيحاً واستقبحه عده قبيحاً

ذمامة، القبح ويغلب على الأحياء دون
الأشياء. هو دميم وهي دميمة. ج. دمام ودمائم.
والمعاصرون يميلون إلى الجمع السالم فيهما:
دميمون ودميمات.

بشاعة، الكراهة والخشونة والقبح. في اللسان كلام
بشيع: خشن كريه ورجل بشيع المنظر إذا كان دميماً ورجل
بشيع النفس أي خبيث النفس (يريد بالرجل الانسان) وبشيع
الوجه إذا كان عابساً باسراً وثوب بشيع: خشن. وعند
المعاصرين: وجه بشيع: كريه دميم ومثله عمل بشيع ومنظر
بشيع. وقد يشيع يشع. واستشعه عده بشيعاً

سماجة، القبح والكراهة. والسفح
والسميج الكريه غير المستلح وهي سفجة.
والسماجة عامة في الأحياء والأشياء وأصحاب
السماجات من فئات المرفهين عن أرباب الدولة في
العصر العباسي سموا بذلك لقيامهم بحركات
مستهجنة أو سخيفة لامتناع سادتهم. وقد سُمج
يسُمج. واستسجه عده سفجاً.

جهامة وجهمومة، صفة تختص بالوجه

الباب الخامس

صفات الجمال في المرأة

الفصل الأول

صفات عامة

دقيق.	غيداء وغادة: فتاة ناعمة ناعسة مثنية ليناً.
غراء: الغراء: الحسنة البيضاء. وقال الأصمعي	تكثر في الشعر وفي تسميات المعاصرين لبناتهم.
قلت لأعرابية ما الغراء فقالت: التي بين حاجبيها بلّج	ج. غيد. والغيد صفتها. وتقايدت في مشيتها:
وفي جبهتها اتساع تتباعد قُصتها معه عن حاجبيها	تمايلت وتثنت.
فيكون بينها نفث (فضاء)	خريدة العذراء والحياة المتحفظة. ج خُرد.
عَيَطَل: طويلة العنق والجسد مع تحسن.	أحمد شوقي يجمعها مع الصفة السابقة:
وثيرة: سمينة ممتلئة.	☆ فداء ليلي الليلي الخُرد الغيدُ ☆
هضم وهضماء: هيفاء لطيفة الكشح.	والخُرد والتخرد صفتها. أوس بن حجر:
ويطن هضم وأهضم. والصفة هي الهَضَم.	ولم تلهها تلك التكليف إنها
سنيعة: جميلة لينة العظام لطيفة المفاصل	كما شخت من كروميّ وتخرد
كاملة الخلقة. جذر صنع يفيد الطول والرفعة	وفي (عق) استخرد فلان فلان: استرلم عليه
والوفرة والحسن. وفي (نجد) سَعه: رَقاه ورفع عنه	واستضعفه كما لو أنه خريدة.
وأحسن إليه.	خُرد شابة ناعمة. ج خُود. وتخُود الغصن:
مكسال: البطيئة الحركة ترفاً ودلالاً. مفعال	تنثي وماس.
من الكسل	رخصّة: ناعمة لينة.
وهنانة: مكسال. فعلانة من الوهن.	مُخَصَّرة: الدقيقة الضامرة. وكَشَح مُخَصَّر:

خَفُوت، في اللسان عن الليث: "الخفوت التي تأخذها العين مادامت وحدها فتقبلها فإذا صارت بين النساء غمزتها." يريد أنها تبدو جميلة حين تكون وحدها فإذا صارت بين جسان ظهرت عيوبها.

منمنمة لطيفة الأعضاء صغيرتها. (من عامية المحيط) اسم مفعول من النمنم وهو صغار الخرز اللطيفة الملونة

ممشوقة: طويلة جميلة القوام مع رقة ونحافة غير مخلة.

ممسودة: مطوية الخلق. والمشد قتل الحبل جيداً. وفي مفردات الراغب: امرأة ممسودة مطوية الخلق كالحبل الممسود وفي التاج: بطن ممسود: لين لطيف مستوي لا قبح منه.

مسمورة: نحيفة معصوبة البدن.

مزمورة ومزماراة: الفتاة الناعمة الرجراجة.

مُطُول الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة الجيد.

عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي

قتلَ بيضاء حرة عطبول

شَطْبَة، في الأساس: لها قد كالشطبة وهي السعفة الخضراء. وجارية شطبة إذا كانت تازة.

والشطبة في العامية التي لها قدٌ طويل ممشوق كالشطبة.

زُعبوب شطبة تارة أو بيضاء ممتلئة الجسد. ج رعايب. حميد بن ثور:

رعايبُ بيض لا قصارُ زعانف

ولا قِمَعات حسنهن قريبُ

جيداء: طويلة العنق في حسن: نسبة إلى الجيد، مرادف للعنق كثير الورود في الشعر. والجيد صفتها.

جَعْدَة: ذات شعر جعد. وجعدة من

أسمائهن.

جسد سبط يقال امرأة سبطة الخلق: رخصة لينة. وجسد سبط: حسن القد والاستواء. من المنسوب لامرئ القيس:

فجاءت به سبطُ العظام كأنما

عمامته بين الرجال لواء

يشير إلى رجل، والصفة مشتركة لهما. والعرب تجعل استواء خلقه الرجل من كماليات السؤدد والمكانة

فرعاء: كثيرة شعر الرأس طويلة فروعه. يقال: لا بد للفرعاء من حسد الفرعاء.

لَفَاء: اللَّفَفَ فخامة الفخذين، وامتلاء ما بينهما وهو في النساء نعت وفي الرجال عيب.

عجزاء سميئة العجيزة.

مَمْكُورَة: يقال مَمْكُورَة الساقين لذات الساقين الممتلئين المستديرين.

ومَمْكُورَة الخلق للمدمجة الخليفة مع امتلاء وسمن. شعر:

مَمْكُورَة الخلق ما طالت وما قَصُرَت

عجزاء لفاء في احشائها قَصَمُ

عجزاء، لفاء، قَصَمَ: راجع ما قبلها.

مَعْكَة وعَكْناء: ذات عُكَن (طيات) مستحسنة في بطنها.

مَجْدُولَة: ساق مجدولة أي مُحَكَمَة الطي منسقة. وامرأة مجدولة: لطيفة القصب محكمة الفتل

مُهَفِّهَة: ضامرة البطن دقيقة الخصر.

زِدَاح: ثقيلة الأرداف تامة الخلفة.

غِيْفَاء: غيداء لانث جوانبها ومال عنقها لكن من غير نعاس. وجذر غيف يغيد النعومة والترف والتشي. والغاف شجر حلو الثمار.

وَزْكَاء: ضخمة الوركين

الفصل الثاني

صفات الأنوف

قليل في الأرنية. وسموا خنساء كما سموا ذلفاء.
شما: السَّم ارتفاع القصبة وحسنها
واستواء اعلاها مع إشراف قليل في الأرنية.
ويستحسن العرب هذه الصفة في الرجال فالأشم
أكثر تداولاً من الشماء ويستعار للسمو والرفعة
والأنفة. حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة احسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول.
أنوف، طيبة رائحة الأنف

أقنى الأنف الأقنى هو الشكل السائد لأنوف
العرق النورمندي. ووجد عند العرب والمصدر القنا
وهو ارتفاع في أعلاه واحديداب في وسطه مع
دقة الأرنية وضيق المنخرين.

ذُلُفاء الذُلُف قصر الأنف وانبطاحه مع
استواء وصغر في الأرنية. ومن الأحاديث
الموضوعة: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً
صغار الأعين ذُلُف الأنف" والاشارة إلى يأجوج
ومأجوج. وهذه صفة عيون أهل الصين وأنوفهم.
والذلفاء من اسمائهن.

خنساء: ذلفاء إلا أن أنفها أقصر مع ارتفاع

الفصل الثالث

جماليات العيون

قال:

إذا ما الغانيات برزن يوماً
وزججن الحواجب والعيونا
وازدج الحاجب: تم إلى دُنابى العين.
تَلَج: نقاوة ما بين الحاجبين وتباعدهما.
ويلجت تَلَج فهي بلجاء. والبلج الاشراق ومنه
انبلاج الصبح وتبلجه. ومن الرجز في المديح:
البلج بين حاجبيه نُوره
والحق أبلج: أي واضح يَبُّ.
ناعسة عيون ناعسة وطُوف ناعس: فيها
فتور مستحسن. أحمد شوقي:
يا ناعس الطرف لاذقت الهوى ابداً
والنعاس فتور في الحواس ينشأ عن الحاجة إلى
النوم واستعداد الجسم له. وصاحبه نعان وهي
نعسى ونعسانة على المعنى الأصلي. وأكثر المستعار
يرد على ناعس وناعسة.
صفات أخرى للعيون في كتاب الانسان.

عَيْناء: واسعة العينين حسناؤهما مع اتساع
في السواد. ج عَيْن ومنها الحور العين لنساء الجنة.
نَجلاء: واسعة العينين. والتَجَل صفتها.
وطفاء: كثيفة شعر الحاجبين مع طول
واسترخاء في الاهداب. والوطَف صفتها.
غَطفاء: طويلة الاهداب مع التوائها .
وصفتها الغَطَف
كحلاء: الكَحْل أن يعلو منابت الاهداب
سواد طبيعي. وكجَلَّت تكحل
حوراء الحور غلبة سواد العين على بياضها
والحور في الظباء والمها دون البشر ويشبه الشعراء
به عيون حبيباتهم. وقد خورت تحور.
بَرَج، احداق البياض بالسواد كله. وبرجت
عينها تبرج. شعر:
كحلاء في برج صفراء في عَج
كانها فضة قد مسها ذهب.
رَزَجج الدقة في الحاجبين مع طول وتقوس.
وهي زجاء والحاجب أَرَج. وزججحت حاجبها.

الفصل الرابع

جماليات المرأة بحسب الفم

وقد رادفها ذو الرمة في الشاهد مع حوة. وفي اللسان:

فيها لمى من لُغسة الأدعاج
فجعل اللّمي من اللّمس.

ظمياء صفة مشتركة للشفاه والعيون. في الشفاه
سمة مع ذبول مستملح وفي العيون رقة الجفنين.
رَشُوف: طيبة الفم. وتزوج أعرايي فليل له
كيف رأيتها؟ فقال: وجدتها رصوفاً رَشُوفاً أنوفاً.
الرصوف الضيقة العضو

رَتَل: اتساق الأسنان واستواؤها ويأضاها.
ونغر رَتَل:

ومبيد رتل كان النحل عسل فيه بارد
فَلَج: تفرق الأسنان، وانفراجها. وهي صفة
مستحسنة في الاسنان ولا يراد بها وقوع مسافات
بيّنة من سن لأخرى إنما عدم تراكبها وارتصاصها
بحيث يدخل بعضها في بعضها، فالفلج هو
انتظامها في صفها من غير تشتت ولا تراكب.
ظَلَم، بفتح الظاء، يريق الأسنان
الشديدة البياض الذي يظهر كأنه الماء الرقاق.
ابن الفارض:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها
فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
يريد مزجها بهذا الماء الوهمي الذي يترقق في
أسنانها.

ثَغَر، الفم، والأسنان ومقدم الأسنان. والثغر
للفرجة في الجبل وللمدينة الساحلية ذات المرفأ. والثغرة
للفرجة والنقرة. ويستعملها المعاصرون للفتحة والمنفذ
فاللفظ أولى بالفم منه بالأسنان. على أن الفعل المشتق
منه يفيد دلالات تتعلق بالأسنان. وستأتي في موضعها
من قاموس الطب. والثغر في الغزل دون الكلام العادي
ويرد بمعنى الفم والأسنان كما في قول رضا الهندي
(معاصر):

امفلج ثغرك ام جوهر؟
ورحيق رضا بك ام سكر؟
والتفليج للأسنان.

لمى: سمة في الشفة مع قلة احمرار. وصاحبها
لمياء. وقد يعبر به عن الشفة نفسها كما في قول محمد
سعيد الجبوي - أوائل القرن العشرين:

ايها الساقبي ومن خمر اللّمي
نشوتي فانهب ببنت العنبي
لعمساء: اللّمس واللّغسة سواد خفيف
مستحسن في الشفة. ذو الرمة:

لمياء في شفيتها حوة لّمس
وفي اللّثات وفي انسيابها شنب
حوة لون أسود مشرب بحمرة كثيفة. ولقد
جاء ذو الرمة بالمنفر إذ صور حبيته ذات أنياب
وإنما أراد أسنانها فراها لا تستقيم مع موسيقى
البيت. وموسيقى الصورة أولى من موسيقى
العبارة.

ويتقارب تعريف اللّمي واللّمس في المعاجم

الفصل الخامس

جماليات الوجه

وجه طلق: ضاحك مشرق

وجه أسجح وخد أسجح: سهل منسوق معتدل الطول غير نحيف ولا منتفخ. ذو الرمة

ووجه (اووخد) كمرأة الغربية اسجح

والسجاجة تقال للرفق والعفر ومنه قولهم: "قد ملكت فأسجح"

خد أسيل: أملس مستوي

غَمَازَة: دارة تحدث في الخد عند الابتسام. في (المحيط) عامية وفي (الوسيط) مولدة.

وجه مكثم: جيد الاستدارة ناتئ الجبهة قليلاً فاتته سهولة الخد ولم تلزمه جهومة. وصفت ألفت إذلبي في "حكاية جدي" وجه فتاة بأنه "مستدير مكثم".

أسارير: خطوط وإطار الجبهة والوجه ومحاسنها يقال برقت أساريره أو أساريرها وتهللت أساريره أو أساريرها، تعبيراً عن الفرح بشيء.

قَسِمَات: الفتح والكسر معاً في الوسيط، ملامح الوجه. من شواهد قديماً:

كان دناتيراً على قسماتهم

يصفها بالحسن وكأنها الدنانير الذهبية

وللشيخ باقر الشيبني من المعاصرين:

هذا الذي يبدو على قسماتي

اثر الخرام فما يقول وشاتي

ووجه مقسّم: أعطي كل قسم منه نصيبه من

الحسن فهو متناسق. قال الشاعر:

ويوم توافينا بوجه مقسّم

ملحق بالأبواب السابقة

مفردات ترد في الشعر الغزلي

تَرائب: موضع القلادة من الصدر. من معلقة امرئ القيس:

ترائبها مصقولة كالسَجَنَجَل (المرأة)

ومن أراجيز الحرب للمسيّب بن نجبة الفزاري:

قد علمت ميالة الذولب

واضحة الخدين والتائب

نَهْد: تعبير جمالي عن الثدي يرد في الشعر دون الثدي المستعمل كمصطلح أساسي للعضو. ج نهود. والناهد والناهدة الممتلئة النهْد البارزته وهو من محاسن الثدي ونَهْدُ ثديها ارتفع وبرز.

مُقَلَّة، يختلف فيها اللغويون واختارها الوسيط مرادفاً للعين. ج مُقَل. وترد في الشعر وورود العين أكثر، وللجواهرى:

إن وجه الدجى انيتا تجلى

عن ضبايح من مقلتك اطلأ

مَبْسِم الثغر والمقلّة تعريف طبي يرد في موضعه.

شَفَافِيف جمع عامي للشفة. ورد في ألف ليلة ويكثر في الأغاني المعاصرة.

بَنان: الأصابع أو أطرافها. ويرد في الشعر
عند التغزل بجمال الأصبع كقول الشاعر:

خطرات النسيم تجرح خديه

وليس الحرير يُدمي بَنانه

ويقول عبد العزيز بن عبد الله إن البنانة تطلق
في المغرب على الموز تشبيهاً له بالأصبع لتقوسها
(نحو تفصيح العامية). وهو اسم الموز في الإنجليزية
وأرجعه قاموس وبستر إلى أصل إفريقي من غير أن
يحدد في أي لغة إفريقية.

ليت، بكسر اللام، صفحة العنق التي

يتذبذب القرط فوقها. الجواهري:

إلىَّ إلىَّ بجيدٍ وليت

كلَّ عروقهما النافرات

خطوط من الكلم الساحرات

لَبَّة: ما بين النحر وأعلى الصدر أو هي النحر
نفسه. ابن زيدون:

والروض عن مله الفضي مبتسم

كما فككت عن اللَّبات أطواقا

الباب السادس

صفات القبح والدمامة عند المرأة

لخناء و"يا ابن اللخناء" شتيمة رائجة عند القدماء.
طُرْطُبة ذات الثدي الضخم المسترخي.
ضهياء: امرأة لم تنم أعضاؤها التناسلية
ورثاها ولا يأتيها الطمث.
ذَمَصاء: الذمَص رقة الحاجب من مؤخرته
وكثافته من مقدمته.
قَمَلِيَة قصيرة جداً
ذَرَامَة وذَرُوم: القصيرة القبيحة المشية:
من البيض لا ذرامة قَمَلِيَة
إذا خرجت في يوم عيد ثواربه
حَصُون: من أحد ثديها أكبر من الآخر.
وفي المخصص: التي ذهبت إحدى حلمتيها.
دُرْدُوحَة: التي طولها وعرضها سواء. ج
درادح. أبو وَجْرة:
ولد هي كالنكر الهجان إذا مشت
أبى لا يماشها القصار الدرادح
مُصَوَّصة: مهزولة من داء. وهي المهلوسة
أيضاً وكلاهما من الفصيح العامي.
مُتَخَرِّجَة: في المخصص: تخرخرت المرأة
كانت سمينه ثم هُزلت.

صفات شتى

مِجَال: غليظة الخلقة
وجناء: ضخمة الوجنتين
فُهْمَد: البدنية الضخمة
فوهاء: واسعة الفم. وهو أفوه
فَجَل: استرخاء البطن وتضخمه.
سَوَل: استرخاء البطن تحت السرة. وهي
سولاء

شوهاء قبيحة غير منسوقة الشكل (الجنر
شوه واشتقاقاته يراجع في كتاب الانسان)
مَقَاء: طويلة مع دقة في البدن وهو أَمَق.
والمَقَق حالتها.
خِرثاء: ضخمة الخاصرتين مسترخية اللحم.
عَشَة: دقيقة عظام اليدين والرجلين. وهو
عَش. وأنشد ابن الأعرابي:
تضحك مني ان راتني عشا
عُكْبَرَة: جافية الخلقة.
فِرْشاح: كبيرة سمجة.
خَبْناء: ضخمة البطن خلقة أو من داء.
والخَبَنَ صفتها. والمغيرة بن حبناء شاعر.
عَثْوَاء: في القاموس: الخثوة أسفل البطن إذا
كان مسترخياً. والخنواء وصف للمرأة دون الرجل.
رَسْحاء: هزيلة الأرجل. في حكاية أبي
القاسم البغدادي:
"رَسْحاء كأنها الضفدع كأنما لحسها من
خلفها الذيب"
حَمَش وحُموشَة: دقة الساقين. ومنه قول
الشاعر يهجو امرأة:
شوهاء خلقتها في وجهها نَمَشُ
في عينها عَمَشُ في ساقها حَمَشُ
وفي حديث المهدي مع الخيزران: هاتها على
حَمَش في ساقها. وقال الشاعر يذكر البراغيث:
وحَمَش القوائم حُذِب الظهور
طَرَقَن بلسيل فارقنني
صاوية هزيلة يابسة البدن وهي المصوِّية في
(عق). وقد صَوَّت تصوِّي
لخناء: اللخن قبح رائحة الفرج والأرفاغ وهي

الباب السابع

صفات نفسية وأخلاقية للمرأة

لاعة تعرفها المعاجم بتعريفين: امرأة حديدية الفؤاد قوية، وامرأة تغازل الرجال ولا تمكنهم منها. وبالجمع بين التعريفين فهي امرأة تلعب على الرجال وتتقصد العبث بهم ولا يقدرّون عليها لأنها قوية منيعة.

شُموع: امرأة مزاحمة حلوة الحديث. المتنبي:

لحاما لله إلا ماضيها

زَمَانُ اللهو والخَوَذُ الشُّمُوعَا

طامح وطمّاحة: زوجة جانحة تتطلع إلى رجل آخر. من الفصيح العامي. وطمّحت تطمّح عليه: تركته وذهبت إلى أهلها أو نشزت عليه لتطلعها إلى آخر. وفي العامية طمّحته متعدياً بنفسه (انظر مطروفة أدناه)

غانية: المرأة التي تستغني بحسنها عن الزينة. وعند المعاصرين هي المتبرجة وغير المتحفظة

سافر وسافرة مكشوفة الوجه. ذو الرمة

ولو ان لقمان الحكيم تعرضت

لعينيه مي سافراً كان يميح

ويقصر المعاصرون على سافرة. ويعممونها على حاسرة الرأس مكشوفة الوجه، ضد محجّبة وهي من تستر شعرها وجسدها وقد تكون مكشوفة الوجه. والحكم الشرعي في الحجاب هو كشف الوجه وستر الرأس والجسد ومن تفعل ذلك فهي المحجّبة. أما السافرة فمن تكشف عن رأسها. ويقول العامة مُخْلَعَة لمن لا تحتشم في ملابسها فتظهر أجزاء واسعة من بدنها أو أطرافها.

خُلوِب: خداعة للرجال

نوار: المرأة المتحفظة التي تنفر من الرية. والنوار اسم زوجة الفرزدق التي طلقها ثم ندم على طلاقها فقال:

ندمت ندامة الكُسْعَى لما

غدت مني مطلقة نوار

رَزَان: رزينة في مجلسها، ذات عقل وعفاف ووقار.

عُروب: المرأة المتحبة لزوجها

بُزْزَة: امرأة مهيبة قوية الشخصية تبرز للرجال وتشارك في الحياة العامة ولا تتحجب حجاب الشابة.

بهنانة: امرأة طيبة النفس والرائحة لينة في حركاتها ومنطقها تضحك ضحكاً خفيفاً. من شواهد لسان العرب:

يَاؤَبْ بهنانةٍ مخبئة

تفتؤ عن ناصع من التؤد.

شُخْشَاح: المرأة المضاهية للرجل بقوتها.

مسترجلة: متشبهة بالرجال. (عق) واسترجلت تسترجل. والفصيح ترجلت.

عُطِيف: امرأة مطواع بسيطة عديمة الكبر.

فَرْفُورَة: الفتاة المرححة النشيطة المغناج (سط) والفرفرة كلمة جامعة لمعاني الطيش وخفة الحركة والحزق.

لُعُوب امرأة حسنة الدل. وعند المعاصرين: لُبقة خفيفة تلعب على الرجال.

مطروقة: لا تثبت على رجل، طمّاحة.
الخطيئة:

وما كنتُ مثل الهالكى وعبرته

بغى الودّ من مطروقة العين طامح
خرير: المرأة المتهتكة. وفي الأساس: "هو
خليع بين الخلاعة وامرأته خريع بين الخراعة".

غاوية: مترفة تحب التزين والتأنق. (عامية) وهو
غاوي. وأصله للمعنى في الضلال النهك فيه

صنوط: المرأة تتخذ صديقين. والصنوط

فعلها. وأصل الصنوط الضيق والزحام. وهذه من

مصطلحات الجاهليين وكانوا يسمّون للمرأة غير

المتزوجة أن تتخذ لها صديقاً واحداً على سبيل

المعاشرة اللاجنسية في الغالب. ويرادف الصنوط

الصنم وهو أن تتخذ المرأة أكثر من صديق أو أن

تتخذ صديقاً وهي ذات زوج. والمعنى الأول هو

المراد في قول أبي ذؤيب:

تريدن كيما تضديدني وخالداً

وهل يجمع السيفان ويحك في غمدي؟

هرثانة: امرأة كثيرة التضجر والبكاء (مغ)

توليد من هرّ أي حرّ وأنّ وبكى بكاء يشبه

الحنين. والراء زائدة

ينفاص: الكثير والكثيرة الضحك.

عفير: بخيلة لا تهدي لأحد شيئاً. الكمية:

وإذا الخرد اغبرن من الحل

وصارت مهادهن عفيرا

المهاد ضد العفير.

فارك: ضد غروب. التي لا تحب زوجها.

الشريف الرضي:

فصيرت حتى نلتهن ولم اقل

جَزَعاً دواء الفارك التطليق.

دُؤدب: امرأة تذهب ونجيء بالليل. والدردية

عذو الخائف المتلفت.

عسوس: امرأة لا تبالي أن تدنو من الرجال.

هلوك: الساقطة من النساء. الجواهري:

امان الله والدنيا ملوك
ابت إلا التلون والسوقا
جَهْواء: قليلة الحشمة لا تستر.
عَنَقْفِير: سليطة اللسان وقحة داهية. وهي
من الكلمات التي يدل لفظها على معناها.
مُتَعَاء: قبيحة المشية. والمُتَع مشية قبيحة
للنساء.

عِنْفِص: امرأة بذية سيئة الأدب. قال:

لعمرك ما ليل بورهاء عِنْفِص

ولا عَشَّة خلخالها يتقعقع

هَتِغ في المعاجم: الملاعبة الضحاكة

والفاجرة والتي تخفي سرها. والأول والثاني في

هذا الرجز.

قولاً كتحديث الهلوك الهينغ

سلفعة وسَلْفَع: الصحابة البذية السيفة

الخلق. وفي الحديث: شر نسائك السلفعة. وفي

التفسير عن ابن عباس في قوله: "فجأته احداهما

تمشي على استحياء" قال: ليست بسلفع.

جُبَيْقَة: المرأة السيئة الخلق. وفي المخصص:

جُبَيْقَة.

خَزَنَل: المرأة الحمقاء والعجوز المتهمة.

وَزَهَاء: حمقاء.

شَلَقَة: امرأة جريئة لعوب (مص).

خَضراء الدِمن: المرأة الحسناء في منبت

السوء. من مفردات الحديث النبوي في قوله:

"اياكم وخضراء الدمن" وأصله النبات ينمو في

الزوايل كنى بها عن المرأة الحسناء خَلَقاً قبيحة

خُلُقاً.

حوس: امرأة تحاوس الرجال تخالطهم.

والحُوس جذر من دلالاته الجرأة والتوغل. وحاس

يحوس جاس يجوس

شرشوحة المرأة الوقحة العديمة الحياء)

سط).

الباب الثامن

حالات للرجل في علاقته بالمرأة

ملحق بالباب

صفات جمال وقبح في الرجل

منظراني حسن المنظر

وضّاح أبيض الوجه بشام.

طيرير ذو رواء وهيئة حسنة. العباس بن

مرداس:

ويعجبك الطيرير فتبتليه

فيخلف ظنك الرجل الطيرير

أحوري الأبيض الناعم، وهي أحورية.

شتيم غليظ الخليفة كرية الوجه. والشتامة

صفته:

وهزن مني ان راين موبهناً

تبدو عليه شتامة الملوك

ويدل البيت أن الشتامة صفة المتعوب الذي

يكد ويكدح حتى يتغير وجهه من الكد والكدح.

وقد مر في الأبواب السابقة ما هو مشترك من

الصفات بينهما. أما الصفات الجسدية والأخلاقية ففي

مواضعها من كتاب الانسان وكتاب الأخلاق.

رثاء الذي يديم النظر إلى النساء. من رنا
يرنو: أدام النظر إلى الشيء ساكن الطرف. وفي
(عق) يقال: غويتاوي. ويقال عينه مالحة وهذه
وردت في "البخلاء" للجاحظ عن بخيل يحذر
جليسه من التحرش بطعامه فيقول له: "أخاف أن
تكون عينك مالحة".

زير النساء: من يكثر مخالطة النساء
وزيارتهن.

رُكاكة رجل ضعيف الشخصية تستحقه
النساء ولا يهينه.

نظلي رخو يشبه المرأة في نعومته ورقته. (مصر)
عن التركية بلفظه ومعناه. ويطلق في التركية أيضاً على
المرأة المغناج ومنه الاسم التركي نازلين للنساء وسمى به
بعض العرب من الجيل الماضي بناتهم.

نشونة التشبه بالنساء (مصر).

تأثت يتأثت تشبه بالانثى ولان ولم يشتد.
انخنات تكسر ولين وتثن في الرجل. وقد
انخنث وتخنث.

متصاي الكهل أو الشيخ المتشبه بالشباب
في التأثت وملاحقة النساء. تكثر عند المعاصرين.
وتصاي تكلف الصبا

خيدع من لا يوثق بحبه.

مفروك رجل غير محظوظ عند النساء.
والفروك والفارك مرت في فصل صفات المرأة.

الباب التاسع

الزينة والتزين

الفصل الأول

مفردات الزينة ومصطلحاتها

والتجميل التزين. وجراحة التجميل فرع من الطب الجراحي لتجميل الأعضاء المشوهة أو التي أدركها الكثير.

مُبَهَّرَجَة امرأة مبهرجة: مسرفة في زينتها (محدثة عن الوسيط) والبهرجة عند المعاصرين تقال للمبالغة في المظاهر والزخرفة. والبهرجة معرب قديماً عن الفارسي بمعانٍ بعيدة عن هذا المعنى مالم نلمس قرينة بين الغش والتزييف وهو احد معانيها وبين التزين.

حَفَّ حَفَّت المرأة وجهها حَفًّا حَفًّا وجفافاً: إذا أزلت ماعليه من شعر. وحففته بالغت في حفه وتزينه. والحفافة في (عق) مزينة النساء التي تحف لهن وجوههن ونحوها. والحفافة بالتخفيف هي عملها.

تطريف قص الأظافر وتجميل اليد. (الوسيط) وفي اللسان: طرفت الجارية (الفتاة) بناتها إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء وهي مطرقة. والتطريف بمعناه في الوسيط من اصطلاحات المجمع.

تَكَحَّلَتْ تَكَحَّلَا واكتحلت اكتحالاً وكَحَلَتْ جفنيها: زينتهما بالكحل وهو مسحوق رمادي اللون يؤخذ رئيساً من الإثمد. وفي قول

تَزَيَّنَت المرأة وازينت تَزَيَّنًا: تجملت. والزينة ما تتزين به. ويقول العوام عن الذهب: "زينة وخزينة". وَزَيَّنَتْ نفسها وزينتها غيرها تَزَيَّنًا. وزانها يزينها زَيَّنًا. وازدان الشيء حشن وجمل. والزَّيْن كل ما يزين به. والزَّيْن كل ما يزين واستعمله المتأخرون لمعنى الجيد وسيأتي في موضعه. والمُزَيْن الحلاق؛ ومن يزين النساء ويصف شعرهن وهي مُزَيِّنة (مولد)

زَوَّقَتْ نفسها وتَزَوَّقَتْ: تزينت والاسم زَوَاق وفي (عق) زُواق.

تَبَرَّجَتْ تبرجاً أظهرت زينتها للرجال. من التَّبَرَّج جذر دال على الحسن وهو من صفات العين (انظر الباب الخامس). ويقابله

الترقُّش للرجل وهو عند بعض اللغويين كالتبرج للنساء، التزين بزيئة ظاهرة والمبالغة في تجميل المظهر. ويطرقش هو كما تبرج هي.

تَطَوَّسَتْ تزينت وبالغت في الزينة. تفعل من الطاووس. والمطوَّس كل شيء جميل.

تَجَمَّلَتْ تتجمل تزينت. وفي حديث عدة شبيعة أنها "تجملت للخطاب" وكان ذلك بعد أن وضعت فاعثرت عدتها منقضية. وجملتتها تجملها

الشاعر: "ليس التكحل في العينين كالكَحَل" تفريق بين الكحل التجميلي (التكحل) والكحل الطبيعي (الكحل). وهناك فرق بين التكحل والاكتمال فالأول تكلفه والثاني يختلط بمفهوم الذات. ولذا يقال في المستعار: لم تتكحل عيني بالنوم ولا يقال: لم تتكحل. والمكحلة علبة الكحل أصلها كُثْنُحْل ويلفظها المعاصرون كمرحلة. والميل بكسر الميم عود معدني رفيع يؤخذ به المسحوق من المكحلة لتكحيل الجفن وهو المروء أيضاً. والفقدانة سدادة المكحلة. وكُحْلُه مایعة كحل سائل عند نساء زماننا.

ترجيح الحاجبين: ترقيعها وتطويلهما.

أنیق الأنیق الحسن المعجب من شيء أو شخص. وتأنق في الأمر: تجود وجاء بالمعجب منه. والتأنق والأناقة عند المعاصرين في الملابس والهيئة والطعام والأثاث وسائر المقتنيات. والتأنق في العمل: إتقانه وإحكامه. وقد أنقّت تأنق فهي أنيقة وتأنقت تتأنق عند المعاصرين: تجملت ولبست ثياباً جميلة ترضي الذوق وتسّر النظر فهي متأنقة.

زُمُوش تطلقه المعاصرات على انتصاب الأهداب خلقة أو صنعة. والرموش الاصطناعية تستعمل للتعويض عن قصر الأهداب ودلالاتها في الجمع دون المفرد. والرمش في العامية هو الحركة المضطربة للجفن عند النظر أو الكلام. والرمش في الأصل احمرار الأجفان وتقتل الأهداب مع سيلان لكن المعاجم نصت على يرماش لمن يحرك عينيه كثيراً عند النظر أو الكلام. ومن مجمل هذه الدلالات للجذر تكون القرينة التي ولدت بها المعاصرات معنى الرموش

تفليج تفريق الأسنان المتراصة لجعلها مفلجة.

وَشْر تحزير الأسنان وتحديد أطرافها.

قاشرة المرأة التي تقشر وجهها بالأدوية ليصفو لونها. وفي الحديث: "لَعنت القاشرة والمقشورة" ولعن فاعلات الزينة على اختلافها يكثر

في الحديث ولعله من الموضوعات.

نُونة، في الأصل: نقرة في ذقن الصبي وأطلقت في (عق) على الطرة الحمراء في وسط الناصية فوق الأنف مما تتزين به نساء الهنود واستعارتها منهن نساء بعض العرب في العصور المتأخرة.

وَشْم زينة تقليدية تتشكل في خطوط وطُرُر ونقاط خضراء أو خضراء مزرقّة وتكون بعملية قاسية حيث تغرز ابرة في الجلد أو يشرط بها ويذر النيلج على المكان فيخضر أثره حسب المطلوب. ووشمت ذراعها، أو غيره، وشمّاً واستوشمت: طلبت أن توشم. والواشمة من تقوم بعملية الوشم. لَفَط وغلط وغلطة خط الوشم في الحدود. ويكثر عند نساء الحبشة والسودان. ج أَلَط وأعطط.

مَفَاتِن مفاتن المرأة: ما يفتن الرجال من محاسنها وجمالياتها. (مستحدث)

مَعَارِي معاري المرأة: ما يظهر منها كالوجه واليدين والرجلين. ويقال أيضاً مُحَاسِر من حسر أي انكشف.

خَشَل الخشل هي الأسورة والخلخال فيما نقله اللسان عن ابن بري حاكياً عن علي بن حمزة وهو ما كان منها أجوف غير مُضَمَّت. وهذا هو معناها في (عق) وتلفظ فيها بكسر الخاء. ويلجأ متعلموهم إلى مخشلات فراراً من لفظ العامة ولو أنه الصحيح. وخشَلها فهي مخشلة حلاها بالخشل.

تضمير طريقة لتخفيف الوزن استعمالها العرب للخيل لجعلها ضامرة. ويستعمل المعاصرون تنحيف للانسان.

الفصل الثاني

زينة الشعر

أَرْقَة زنة أفضل اللازم الذي يفيد اكتساب الشيء وحصوله للنفس.

تحريك، تكسير الشعر وتجميعه. والحبيكة الطريق من خصل الشعر المحبك

نُصُول ذهاب خضاب الشعر. وقد نَصَلَ يُنْصَل وينصَل، يقال: نَصَلَ الشعر: زال لون خضابه ونصل اللون أو الخضاب: زال.

تجعيد تجعيد الشعر تحويله من سبط إلى جعد. وجعدته تجعده فهو مجعد.

عَقَص الشعر: لويه وإدخال أطرافه في أصوله لتجعل منه مثل الرمانة أو الكرة. وقد عَقَصته تعَقَصه.

استرسل الشعر: صار سبطاً وتدلّى. ويقال أيضاً: انسدل وتسدل. وسَدَلته هي أُوخته وأرسلته من غير أن تضم جانبيه.

يَكْهله، بالكسر، الزي والهيئة كما في هذا الرجز القديم:

لست إذن لِزُغْبَلَة

إن لم اغمر بـكـلـتي

والجميل البكيل: المنتوق في ملبسه ومشيه. واليَكْلة بالضم في (عق) تسريحة عريضة للشعر يرتفع بها من مقدمه إلى أعلاه. وهي بالفتح في (سط) ومنها قول الشاعر الشعبي الأردني عمر الفراء:

سلام ارسل لمنديل القصب أَلَزَق

لسن الذهب يتلالا

تصفيف تصفيف الشعر: ترتيبه بأشكال وأوضاع مناسبة. (مستحدث) وصَفَّفت شعرها تصفّفه. والتصفيف هو الترجيل عند القدماء. وكانت لعبد الملك بن مروان مرجلة ترجل شعره اسمها حُسَيْنَة. والمصفف من يصف الشعر، والمادة التي تستعمل لتصفيفه. يقال في الاعلانات: "مصفف الشعر المدهش الدهن الفلاني".

تسريح تسريح الشعر: خلّه وأرساله أو ترجيله وتخليص بعضه من بعض بالمشط. وسرّحت شعرها تسرّحه. والتسريحة مستحدثة لهيئة التسريح أو التصفيف. سعدي يوسف:

نتعري على حافة اللندة

غير اني استرح شعرك

اني استرح شعرك

دولترة وارتيلاكتة.. واحتمالات تسريحة

في ممشق.

ترطيل الشعر تليينه بالادهان وتمشيطة.

مَشَط: مَشَطَت شعرها تمَشِطه: سَرَحته بالمشط. والدارج عند المعاصرين: مَشَطَتَه تمَشِطاً. والماشطة والمَشَاطة: مزينة الشعر ومسرّحته. وآل الماشطة أسرة دينية في العراق. والمَشَطَة واحدة المَشَط، اسم المرة منه، يقال: مَشَطَت شعرها مشطة واحدة.

إرفاه المواظبة على تدهين الشعر وترتيبه. والارفاه عام في الأخذ بأسباب الرفاهية والفعل

ولسبكلة سيد المشرق

ضَفِيرَة خصلة شعر تُضفر على حدة. وقد يُضفر الشعر كله ويرسل إلى الوراء أو تعمل منه ضفيرتان أو عدة ضفائر. وضفرت شعرها تضفره صَفْرًا.

قصية الخصلة من الشعر تلوى لكي تترجل وترسل ولا تُضفر. وهي في (عق) والبودي المشرقية بمعنى الضفيرة دون زيادة أو نقص في المعنى. ج قصائب.

جديلة ضفيرة. مولدة حديثاً يستعملها الكتاب وهي في عامية بلاد الشام أيضاً ونص (المحيط) على عاميتها. ومن أغانيهم ما يبدأ بخطاب.

يابو الجدليل

غديرة، في اللسان: الغدائر الذوائب. وعن الليث: كل عقيقة غديرة. والغديرتان الذوائبان اللتان تسقطان على الصدر. وفي القاموس الذؤابة. وفي الوسيط: الذؤابة المضفورة من شعر النساء. فالغديرة إذن هي الضفيرة إنما بأشكال وأوضاع مخصوصة.

ذؤابة، في الأساس: هي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر. وهو المعنى في قول المتنبي:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

في ليلة فارت ليلي اربعا.

والذؤابة في غير الأساس هي شعر مقدم الرأس وشعر في أعلى ناصية الحصان. واستعملاتها المجازية تفيد العلو والظهور والمقدّمية. لكن شروح المعاجم للغديرة (انظر ما قبله) ترادفها مع الذؤابة في معناها في الأساس وعند المتنبي.

خُصلة المجموعة من الشعر. ج. خُصِّل. عُشنة الخصلة من العرف والناصية والذوائب. وفي جذر غسن ما يفيد الجمال

والشباب.

سَبِيَّة الخصلة ج سبائب

قَصَّة شعر الناصية المقصوص من مقدمه بمحاذاة الناصية. وهي الناصية أيضاً. وهذا المعنى في (عق) و(مغ) وفي الأساس: أخذ بقصته أي بناصيته.

قُدْلَة عامية منقولة من القَذال وهو جماع مؤخر الرأس، ويراد بها عكسه: شعر مقدمه المقصوص من جانبيه مع ترك خصلة صغيرة متدلية في الوسط. من أهازيج الأعراس في فلسطين:

إنت غواك بقذلتك واحنا غوانا سيوفنا

فَرَّق الخط الفاصل بين صفيين أو خُصلتين من شعر الرأس. وفَرَّقَت شعرها بالمشط تفوّقه وتفرقه فهو مفروق عملت له فرقاً وهو من أشكال التصنيف.

سياسيب سياسيب الشعر: أطرافه المنسدلة. وتسببب: انسدل واسترسل (من عامية المحيط)

مَيْش تلوين خُصِّل من الشعر بلون خفيف مخالف للونه. والشعر مُمَيْش. ومَيْشْتة زينته بالميش. عامي وأصل الميش الخلط ومنه خلط الصوف بالشعر

يَقْرِيس وردة اصطناعية أو ما في شبه الوردة يزين بها الشعر. ج نقاريس ومن شواهد اللسان:

فَحْلَيْت من خَزٍ وبَزٍ وقرمز

ومن صنعة الدنيا عليك النقاريس

يَشْبِك أداة يشبك بها الشعر. وقد تتخذ لحض الزينة وهي على أشكال متنوعة منها دبابيس ومنها قفايص مستطيلة أو مستديرة ولها تسميات كثيرة محلية نحو: ماشة، يلقط، حباسة، شكالة.

قَفِيص أداة يُقَفِّص بها الشعر إذا أريد اسداله أو عقصه كما تقفص به الضفيرة لمنع انفراطها. شرايط جمع عامي للشريط تستعمل هكذا

لأشرطة الشعر المختلفة. والجموع في العربية تقبل الاختلاف في دلالاتها باختلاف الصيغ.

طَوَّقَ قوس ملون ومزخرف يطوق به الرأس من وسطه للزينة وتسييط الشعر. والطوق أيضاً حلية من معدن نفيس يُطوق به العنق. ويكون دائرة مغلقة حول العنق.،الأول مستحدث والثاني هو ما عناه ابن زيدون بقوله:

كما فككت عن اللبات اطواقاً

شامبو (باء بارس) محلول لزوج مكثف لغسل الشعر. هندية الأصل بمعنى يدلك ويكبس واستعملها الأوربيون لهذا المحلول.

مجففة شعر: أداة كهربائية تنفث هواء حاراً لتجفيف الشعر بعد غسله

حلاقة حَلَقَ الشعر: ازالته. وبهذا المعنى يقال لحلق اللحية والشارب وحلق شعر الرأس إذا أُريد به ازالته تماماً. والحلاقة بالمعنى المحدث هي إلى جانب معناها الأصلي يقال لقص الشعر وترتيبه حسب المطلوب. وهذا هو المعنى المراد في المصطلح الإنجليزي hairdressing وسمي الحلاق في العصر العباسي الأوسط مُزَيِّن لأن عمله زاد على محض الإزالة للشعر إلى ترتيبه. والمزَيِّن في لغة الكلام المعاصرة إلى جانب الحلاق. وزَيَّن فلان أي حلق. وحلق شعره يحلقه حلقاً وصاحب المهنة هو الحلاق والحلاقة. ويكتب على محلات الحلاقة: حلاقة رجالية أو حلاقة نسائية

الفصل الثالث

مواد وأدوات الزينة

وكانت ترد منها مواد كهذه وغيرها لكونها مركزاً تجارياً علاوة على كونها مركزاً دينياً. ومن أمثالهم في (سط): "لولا علية المكي كانت الحلة تبكي" يشيرون إلى غير الجميلة التي تستعين بالمكي لتجميل نفسها.

إشبيداج مسحوق أبيض ناصع من رماد الرصاص (كربونات الرصاص القاعدية) تزين به نساء الريف والبادية وجوههن ويسمى عندهم سبيداج. والكلمة من العرب قديماً عن الفارسية وهي فيها شبيهاج (باء باريس وجيم قاهرة) ديزم، بامالة الياء، لحاء شجر الدارم تحمر به نساء الريف والبادية شفاههن.

بخاخ الرشاش والمرذاذ. عامية مقابل الأجنبي spray . ويستعمل لبخ شتى السوائل لأغراض مختلفة منها للمواد التي يتطلبها التصفيف ورش العطر. من الفعل بخ بمعنى رش وهو مقتطع من بخر يخر.

مشط، بضم الميم و بكسرها، أداة تمشيط الشعر. ج أمشاط.

وقد مرت في الفصول السابقة مواد وأدوات استدعاها السياق لتوضع هناك

غسل وغسول ما يُغسل به. وقد يقصد بالغسول في الوقت الحاضر أي محلول كيميائي طبي يُغسل به البشرة أو تُرتطب مقابل الانجليزية lotion .

دهن يطلق على زيوت يدهن بها الشعر أو الوجه أو البشرة عموماً. ويُدَّهن عند القدماء يُروى شعره بالدهن لترطبه وتلينه. وتميل كلمة دهن اليوم إلى التخصص بدهن الشعر وتستعمل للبشرة المادة الأوربية المسماة كُريم وكُريمة. وأصلها في الانجليزية القشرة وأطلقت على القشدة ثم على هذه المادة التزينة. ودهنت شعرها تدُّهنه دهنًا.

بودرة، بامالة الواو، من powder الأوربية المحورة بدورها عن بارود العربية، للمسحوق المعطر الذي يدلُّك به الوجه وأي جزء من الجسم للتنعيم والتعطير وهي المسماة في العصر الاسلامي ذريرة، فعيلة من ذر الشيء يذره.

خُمْرة أحمر الشفاه والخدود. (مستحذنة) وقلم الخُمْرة قلم تحمر به المرأة شفثيها.

مَشْكُرة علبة تحتوي على مادة لزجة ملوَّنة تستعمل لاطهار جمال الأهداب. من الايطالية.

مَكِّي مواد الزينة (عامية) نسبة إلى مكة

الفصل الرابع

التعطر والتعطير

العطر.

عائكة التي تكثر من التعطر حتى تحمر بشرتها منه. وقد غثك بها الطيب يعتك غثوكاً: لصق. والعائكة ترد في أسمائهن أكثر مما في صفاتهن. ومدلول التسمية صفاؤها وحمرتها.

تضمخ تلطيخ الجسد بالطور. وضمخت جسدها تضمخه وتضمخت بالعطر

تلقمت بالعطر: وضعت في ملاغمها وهي ما حول الفم من الجهتين الذي يبلغه اللسان.

ملحوظة: أصناف العطور وأدواتها واستعمالاتها تراجع في كتاب التزيين والتحلية من قاموس الحياة والحضارة.

تعطر استعمال العطر. وتعطرت هي تعطر فهي متعطرة وعطرها غيرها يعطرها فهي معطرة. والعتطرة المطرة عند القدماء التي تعتاد العطر، والمطرة التي تعتاد السواك لتنظيف أسنانها. ومن أقوالهم: "خير النساء الخفيرة العطرة المطرة". والمعطار: الكثير التعطر من الرجال والنساء. والمعطار أيضاً للعطر الفواح. الجواهري:

والأرض بالدم ترتوي عن يمنية

وتمجّه عن روضه معطار

وعطرت فهي عطرة: تطيبت فصارت طيبة الرائحة. والعاطر عند الموالدين هو العطر وعند اللغويين محب العطر.

تطيت تعطرت، استعملت الطيب وهو

الفصل الخامس

تسميات من يملون الزينة

الأخرى وتلبس القميص مقلوباً
مُتفَال امرأة لا تتعطر حتى تظهر منها رائحة
كريمة - وأصل التُّفُل البصاق و الزَّئِد، والتُّفُل بالشاء
ما يترسب من شوائب وأكدار في قعر الأوعية.
ذُفْراء كريمة الرائحة وهو أدفر. والذَّفَر
بالذال رائحة الأبط المتن ويحوله العامة إلى الزاي
ويسمونها زفرا بالامالة وهو زَفِر.
بخراء كريمة رائحة الفم وغيره. وهو أبخر.
رَغْبِل ورَغْبلة امرأة تلبس الخلقان ولا ذوق
لها في اختيار الملابس. ويقول العوام: مرغيلة.
جُتْفا المرأة العسراء والتي تلبس الثوب
بالعكس (سدن) من الجنف وهو الميل والاعوجاج.

سَلْتاء امرأة لا تستعمل الخضاب أي لا تزين
يديها ونحوهما بالحناء وغيرها.
مَرْهَاء التي تهمل الكحل. وفي الحديث أنه
لَعَن السلتاء والمرهء. والحديث قد يصح لأن
الشرع الاسلامي يحث على النظافة والتزين
والتعطر.
عِفْوَل الأشعث المهمل غسل شعره وخلقه
ودَهْنه (الإفصاح)
حَقَّانة امرأة لا تتنظف ولا تزين. (سدن).
ومن كلامهم: حَقَّانة رأسها انفسخ" فقانة من
حَفَّ رأسها اذا بعد عهده بالغسيل والدهن.
قَوْنَع من تكحل إحدى عينيها وتهمل

المحتويات

الإهداء	٥
مفتتح	٧
فوائح لغوية	٩
في الجاهلية	١٣
خلاصات أولية	١٥
وضع المرأة الجاهلية	١٦
دورها في الحياة والتاريخ	٢٣
زنوبيا	٢٤
سجاح	٢٧
في الإسلام	٢٩
خلاصات أولية	٣١
المرأة بعد الجاهلية: تضيق الحرية واتساع الحقوق	٣١
القيمومة مظهر أعلى للجنسوية الإسلامية	٣٥
العدة	٣٨

٣٩	مظاهر جنسوية أخرى
٤٠	حقوق مكتسبة
	تقلص عدد الزوجات . توريث المرأة . حق الزواج وحق الجنس . الحق في اختيار الزوج . ضد الجنسوية الجاهلية . بشرة الانثى . حق الطلاق .
٥٠	احكام وقضايا
	اشكالات حول المرأة . تحديد النسل . شروط في العقد . توسع الشيعة في احكام الجنس / جنسانية الإسلام وجنسانية الغرب . الحجاب . حكم المضيفة
٦٤	أسماء نسوية
٧٠	ابن رشد والمرأة
٧٢	الزوجة النموذجية عند العربي النموذجي
٧٤	خلاصة
	نكورية الإسلام والبوليفية والغربيين . دراسة مقارنة
٨٤	نصوص ومواقف
	الزرقاء في صفين . حديث السفيرة سودة مع معاوية . خارصية . هند وابنها . أم خالد القسري المسيحية . خلوة مع صديق . احتراماً لأنوثتها . غريبة مع عنين . الصابرة والشاكر . مباراة في الهجاء . سلمى بنت القرطبي تتغزل بنفسها . أكرم امرأة وأحزم وأنكى . الحرة الصليحية
٩٥	المرأة في الصين
	تجربة تحرر تقوم على الفصل بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال
١١١	قاموس المرأة

كتب للمؤلف

- ١ . نظرية الحركة الجوهريّة عند الشيّرازي (دراسة في ثورة الشيّرازي الفلسفيّة)
- ٢ . المستطرف الجديد (منتخبات من تراث الإسلام)
- ٣ . المستطرف الصيني (منتخبات من تراث الصين مع دراسة)
- ٤ . كتاب التاو (في الفلسفة الصينيّة)
- ٥ . فصول من تاريخ الإسلام السياسي (مجموعة دراسات في التاريخ السياسي للإسلام)
- ٦ . من قاموس التراث
- ٧ . شخصيات غير قلقة في الإسلام

قيد الاصدار

القاموس الأول في سلسلة المعجم العربي المعاصر
(قاموس الإنسان والمجتمع) .

هذا الكتاب

دراسة لحياة المرأة العربية في الجاهلية ثم في الإسلام روعيت فيها المقارنة في أوضاع المرأة وما طرا عليها من تطورات ما بين العصرين الجاهلي والإسلامي وعلى امتداد العصر الإسلامي. وتضمنت إلى ذلك مقارنات مع الموقف من المرأة في الحضارات الأخرى ومنها حضارة الغربيين القديمة والحديثة. ولاستكمال المقارنة أضيف إلى الفصول فصل عن المرأة في الصين لتقديم غرار لتحرر المرأة تحقق على يد الشيوعيين الصينيين بتجربتهم المتميزة في البناء الشيوعي.

وألحق بالكتاب قاموس للمرأة مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر وهو مشروع المؤلف لتطوير المعجمية العربية للمساهمة في حل مشكلات التعبير اللغوي القائمة الآن. تميزت الدراسة بالصراحة والموضوعية على النهج المعتاد للمؤلف الذي يكتب لارضاء الحقيقة وحدها.

الناشر

800 34 71 6648 8B

AXIELL

